



المجلس البلدي - لمدينة تيزنيت



مؤسسة الشيخ مربيه رثه
لأحياء التراث والتبادل الثقافي

سوس والصحرَاء المغربية تواصل ثقافتي وحضارتي

أعمال مقدمة إلى الفقيه الأديب والقاص
م. العيني علي مربيه رثه

مؤسسة الشيخ مربيه ربه
لإحياء التراث والتبادل الثقافي

المجلس البلدي - لمدينة تيزنيت

سُوسُ وَالصَّحْرَاءُ الْمَغْرِبِيَّةُ تَوَاصُلُ ثِقَاتِي وَحَضَائِرِي

أعمال مهداة إلى الفقيد الأديب والمقاوم
ماء العيين علي نريته ربه

يَوْمَ الْأَحَد 12 يُولْيُوز 1998

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكتاب : سوس والصحراء المغربية

تواصل ثقافي وحضاري

أعمال يوم دراسي مهداة إلى الفقيد: ماء العينين علي مرييه ربه

الخطوط : أحمد المعتصم - تارودانت

لوحة الغلاف : محمد بنهدان - تنزيت

التصنيف : محمد رايس - إنزكان

رقم الإيداع : 45-1999

الطبعة الأولى : 1419هـ-1999م

طبع هذا الكتاب على نفقة المجلس البلدي

لمدينة تنزيت

المرحوم: علي ماء العينين مريه مريه

- ولد الفقيه سنة 1934 بقرية كرويس دائرة تافراوت إقليم تزنيت.
- تلقى تعليمه الأولي على يد والده العالم المجاهد الشيخ مريه مريه بن الشيخ ماء العينين، حيث حفظ القرآن الكريم ومنون اللغة وعلوم الدين.
- في سنة 1942 التحق بالمدرسة الإسبانية لمناجعة دراسية.
- في سنة 1953 انخرط في صفوف الحركة الوطنية، والتقى بأهم زعمائها آنذاك.
- في سنة 1956 شارك في مؤتمر أم الشكاح الذي ترأسه الشيخ محمد الأغظف بن الشيخ ماء العينين، ثم انخرط في صفوف جيش التحرير، مما جعله متابعاً من قبل السلطات الإسبانية، وكان في مقدمة الوفد الذي توجه إلى الرباط لتجديد البيعة مع مختلف قبائل الصحراء المغربية لجلالة المغفور له محمد الخامس، طيب الله ثراه.
- في سنة 1958 شارك في مؤتمر بوخشيشية الذي ترأسه آنذاك ولي العهد جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله.
- في سنة 1961 التحق بالوظيفة العمومية بوزارة العدل.
- في سنة 1970 تابع دراسية بكلية الحقوق بالرباط جامعة محمد الخامس.
- في سنة 1976 حصل على الإجازة من كلية الشريعة بفاس، جامعة القرويين.
- في سنة 1987 أنعم عليه جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله بوسام الاستحقاق الوطني من الدرجة الممتازة.
- سخر شطراً كبيراً من حياته لنشاطه العلمي وقد أرسى أصفافه، وخلف خزانة قيمة.
- له أشعار وقصائد في مختلف الأغراض والمناسبات، ومقالات منشورة في الصحف الوطنية، وكان قبلة للباحثين والدارسين للتراث المغربي وسوس العالمة وثقافتهما.
- لقي مريه يوم الأحد 29 ذي الحجة 1418 هـ الموافق 6 يوليوز 1997 م، تغمد الله برحمته الواسعة، وأسكنه ضريح جناته، آمين.

أشرف على إعداد هذا الكتاب وتصحيحه:

- الأستاذ: محمد ناجي بن عمر.

- الأستاذ: ماء العينين النعمة علي.



صورة للفقيد في إحدى جلساته الكتابية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

في إطار التبادل والتواصل الثقافي والفكري المستمر بين سوس العالمة والصحراء المغربية وباقي ربوع المملكة، نظم المجلس البلدي لمدينة تزنييت بتعاون مع مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، يوما دراسيا تأبينيا لروح الفقيه والأديب والمقاوم ماء العينين علي مربيه ربه، في موضوع: «سوس والصحراء المغربية: تواصل ثقافي وفكري». وكان مناسبة لمجموعة من الباحثين والأساتذة الجامعيين لطرح ومساءلة وتوضيح مظاهر هذا التواصل إن على مستوى الفكر أم الإبداع الأدبي أم التاريخ إلى غير ذلك من هذه المظاهر.

فبعد الجلسة الافتتاحية والشهادات، انطلق هذا اليوم الدراسي لمعالجة قضايا تهم طبيعة الحضور الثقافي لزاوية الشيخ ماء العينين وتأثيرها الإيجابي في الصحراء وباقي الأقاليم المغربية، وما ركزته في النفوس والعقول من قوة العقيدة وترسيخ الإيمان، فضلا عن أدوارها الطلائعية على مستوى الفكر والأدب، حيث لا يكاد يخلو إقليم مغربي من أحد العلماء الذين كان آل الشيخ ماء العينين من ضمن شيوخهم حتى أصبحت سميتهم بارزة مميزة بين المؤثرات العامة في الثقافة المغربية.

وتعالج أيضا ملامح ومظاهر من جهادهم عامة، وجهاد المجاهد والمقاوم العلامة الشيخ مربيه ربه خاصة، صحبة القبائل السوسية المجاهدة التي وقفت طويلا واستماتت في الدفاع عن المنطقة الجنوبية ضد المستعمر الفرنسي إلى وقت جد متأخر، بحيث لم تصل قواته إلى هذه المناطق إلا في منتصف الثلاثينيات، ولم يكن هذا الدفاع المشترك غريبا عن الصحراء وسوس، خاصة إذا علمنا أن عناصر التمازج والالتقاء كانت وما تزال متوافرة بشكل ملحوظ في مستويات عدة (الثقافي، والفكري، والاجتماعي، والاقتصادي، والحضاري بصفة عامة). وهذا ما جاء كتاب الشيخ ماء العينين: "دليل الرفاق على شمس الاتفاق" مؤكدا له ومصرحا على التحلي بوجوب الوحدة والإجماع بدل التفرق والاختلاف المؤدي للتشتت والضياع.

وأمام شح المصادر التي تغص بها الخزانات الخاصة، كان لزاما على الباحثين النظر في وسائل أخرى للملمة مادة هذه الحقبة المهمة، وكانت الرواية الشفوية مع ما يكتنفها من تزييد وعدم وضوح وتدقيق، إحدى السبل الممكنة لتدارك الكثير من الحقائق التي ما زالت تحملها بعض الصدور.

ولا شك أن علماء سوس قد غرغوا من هذا المنهل العذب بتواصلهم العلمي على مستوى المشيخة والتلمذة والحوار العلمي والروحي، وعلى مستوى التصوف والإخوانيات، وكان طبيعيا أن تدون بعض كتب الرحلات المتبادلة بعضها من هذا النشاط العلمي كما جاء واضحا في رحلة الولاتي التي بسط فيها نموذجاً من إحدى المساجلات العلمية بينه وبين الفقيه السوسي محمد بن العربي الأودوزي.

وهذا ليس جديدا إذا علمنا أن بعض علماء الصحراء وأدبائها كانوا يفسدون إلى سوس من أجل الدراسة والتدريس في رحاب مدارس سوس العالمة العتيقة (إلغ نموذجاً)، مما كان فرصة لعقد مجموعة مساجلات أدبية وفكرية وشعرية كما هو الشأن بالنسبة لماء العينين بن العتيق والشيخ محمد الإمام مع عبد الله بن محمد الإلغي والشيخ مربيه ربه مع الشاعر الطاهر الإفرائي وعبد الله الإلغي.

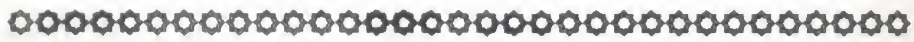
واختتم هذا اليوم وسط حضور متميز بقصائد شعرية تذكّر بمناقب الفقيه، وترتبط بموضوع اليوم الدراسي الذي انعقد في ظروف تنظيمية جيدة يعود الفضل فيها للمجلس البلدي ومؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي ولمساهمة السادة الأساتذة الأجلاء والباحثين الأفاضل.

وفي الأخير، نشكر السيد رئيس المجلس البلدي الأستاذ المحترم أحمد ادبعز الذي قدم جميع المساعدات المادية والمعنوية لإخراج أعمال هذا اليوم الدراسي في هذا الكتاب الذي لا شك أنه سيضيف لدارس الفكر والأدب المغربي لبنة جديدة في بناء صرح ثقافة مغربية متينة ومتميزة.

محمد ناجي بن عمر
ماء العينين النعمة علي



الجلسة الافتتاحية



كلمة السيد أحمد ادبهرز
رئيس المجلس البلدي لمدينة تيزنيت

بسم الله الرحمن الرحيم. والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه.
سيادة عامل صاحب الجلالة.
السيد قيدوم كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة ابن زهر.
السيد رئيس مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي.
أيها الحضور الكريم.
إخواني المنتخبين.
حضرات السادة الأفاضل.

يسعدني أن أرحب بكم أصالة عن نفسي، ونياحة عن سكان مدينة تيزنيت
ومجلسها البلدي، في هذه الجلسة المباركة التي ينظمها المجلس البلدي، ومؤسسة الشيخ
مربيه ربه، لإحياء التراث والتبادل الثقافي، تكرّما للفقيه والمقاوم والأديب ماء العينين
علي مربيه ربه.

ومن حسن الطالع أن يقام هذا التكريم، وهذا النشاط العلمي، والأمة المغربية
تعيش أجواء الذكرى العطرة، لميلاد المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأجواء الاحتفال
بالذكرى التاسعة والستين لميلاد حفيده مولانا أمير المؤمنين، صاحب الجلالة الملك
الحسن الثاني، نصره الله.

وحينما دعي المجلس البلدي إلى المشاركة في تنظيم هذا اللقاء الفكري، كان
ترحابنا تلقائيا، اعتبارا لمكانة آل ماء العينين المتميزة في ذاكرة سكان مدينة تيزنيت
السلطانية، ولأن الموضوع المختار لهذا اليوم الدراسي، أملت الظروف الحالية التي تمر بها
قضيتنا الوطنية الأولى، نحو الاستفتاء التأكيد لمغربية الأقاليم الصحراوية المسترجعة،
لتأكيد التلاحم بين أقاليمنا الصحراوية، وباقي الأقاليم المغربية.

حضرات السادة الأفاضل:

إن مثل هذه التظاهرات لنعتز بها كامل الاعتزاز، بما ستساهم به في استجلاء
ملامح ومقومات التواصل والتلاحق الثقافي والفكري بين سوس والصحراء المغربية،

وهي فرصة سانحة لثلة من الأساتذة الباحثين، لمعالجة موضوع هذا اللقاء العلمي، الهام والتميز.

حضرات السادة الأفاضل:

إن المجلس البلدي، ليعمل جاهدا على توسيع وتنويع أنشطته الثقافية، إيماناً منه بالدور المنوط بالجماعات المحلية في تفعيل العمل الثقافي. لذا، فإن عزمنا معقود على خلق تعاون وشراكة مع جميع الجمعيات الفاعلة ثقافياً، وكذا المؤسسات الجامعية. بمختلف تخصصاتها، التي يجمعنا وإياها هدف واحد، أساسه خدمة الثقافة والمعرفة في وطننا الشامخ.

حضرات السادة الأفاضل:

نتمنى صادقين أن يظل هذا التعاون مفتوحاً وعملياً، حتى نغنيه بلقاءات وندوات مستقبلاً، وسيكون لنا شرف تنظيم ندوة ثقافية وطنية خلال السنة المقبلة في موضوع: "شخصية الشيخ المجاهد ماء العينين".

حضرات السادة الأفاضل:

أيها الحضور الكريم.

إنني بهذه المناسبة السعيدة، أهني مؤسسة الشيخ مربيه ربه على أهمية ودقة اختيار موضوع هذه الندوة، لإلقاء الضوء على جوانب تاريخية من ذلك التمازج الثقافي، والتكامل العلمي والاجتماعي لمنطقة سوس والصحراء المغربية عبر التاريخ. وإن مدينة تيزنيت، بل وسوس كلها محظوظة وفخورة بتلك النواة الطيبة المباركة، التي شاء الله أن يهيئ الأسباب، لتكون مدينة تيزنيت مقراً للعالم الوقور، والوطني الغيور، والإمام المجاهد، الولي الصالح الشيخ ماء العينين، تلك الذرية الكريمة التي أنجبت فطاحل العلم والأدب، والشجاعة والنضال والجهاد.

حضرات السادة الأفاضل.

أيها الحضور الكريم.

ها نحن في هذا الملتقى الفكري، نتطلع إلى مواضيع هذه الندوة التاريخية، لتكريم عالم كبير من أعلام الثقافة والحركة الفكرية بالصحراء المغربية وسوس. ومنتظر بشغف وشوق الحقائق الموضوعية والمعرفية التي يتمحور حولها موضوع هذه الندوة، وما ستضمه عروض الأساتذة الأجلاء، المشاركين في هذا اليوم الدراسي، من تنوير فكري، لتقريب واستجلاء التاريخ وحقائقه.

وبهذه المناسبة أتقدم بجزيل الشكر، لمؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، على مبادرتها لتنظيم هذا اللقاء الفكري الهام، وإلى كل الأساتذة الباحثين الذين لبوا الدعوة، والضيوف الكرام الذين شرفونا بحضورهم المتميز، كما أنوه بالمجهود الذي بذله أعضاء اللجنة التنظيمية المكلفة بإعداد هذا اليوم الدراسي، وأتوجه بالشكر والتقدير للسلطات العمومية، وعلى رأسها سيادة العامل، على رعايته لهذه الندوة، وكذلك الأعيان والفاعلين الاقتصاديين بهذه المدينة، على مساهمتهم في هذا اللقاء المبارك، وإلى جميع الفعاليات المهمة، على المساهمة والمشاركة والحضور.

حضرات السادة الأفاضل.

أيها الحضور الكريم.

إن مدينة تيزنيت وسكانها ومجلسيها البلدي والإقليمي، سعداء بهذا اللقاء العلمي الهام.

والله أسأل أن تكلل أشغالكم بالتوفيق والنجاح.

كما لا يفوتني قبل أن أنهي كلمتي أن أتقدم بتعازي أعضاء المجلس، لأسرة الفقيد ماء العينين علي مربيه ربه، وأتمنى خالصاً أن تكون أعمال هذا اليوم الدراسي خير ما نهدي لروح الفقيد الطاهرة.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

كلمة السيد ماء العيدين مربيه ربه هيبه
ممثل مؤسسة الشيخ مربيه ربه إحياء التراث والتبادل الثقافي

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحابه أجمعين.

إنه لشرف عظيم، أن أتناول الكلمة لأعبر باسم مجلس وأعضاء مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، عن كامل تشكراتنا الخالصة، وامتناننا الصادق للسلطات المحلية بمدينة تيزنيت، وفي مقدمتها عامل صاحب الجلالة على الإقليم، وإلى المجلس الإقليمي والمجلس البلدي ورئيسيهما، على تنظيم هذا اليوم الدراسي، في غمرة الاحتفالات بالذكرى التاسعة والستين لميلاد عاهل البلاد ملكنا المفدى جلالة الملك الحسن الثاني، أطال الله عمره بالسعادة والعافية، وسدد خطاه، وأبقاه ذخرا وعزا لهذا البلد الأمين.

كما نتوجه بالشكر الجزيل والعرفان الصادق إلى السيد قيدوم كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأحدادير الدكتور حسن بن حليلة، ذي الأيادي البيضاء، وصاحب قصب السبق في كل ما يحدث من تواصل فكري وثقافي، على الصعيد الوطني بصفة عامة، وسوس والصحراء المغربية بصفة خاصة.

وتشكراتنا الحارة كذلك، نرفها لهذه الكوكبة الطليعية من أساتذة جامعاتنا، وباحثيها، خاصة من كليتي الآداب والعلوم الإنسانية بأحدادير والمحمدية، والأساتذة المشاركين من مختلف المؤسسات التعليمية.

كما لا يفوت مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي أن تتوجه بكامل الشكر، وتتمن عاليا مساهمة وجهود كل من المندوبية الجهوية لقدماء المقاومين، وأعضاء جيش التحرير، ومندوبية وزارة الشؤون الثقافية، ومندوبية وزارة الشبيبة والرياضة، وجمعية الأعمال الاجتماعية لقضاة وموظفي وزارة العدل، وكل من ساهم في تنظيم هذا اليوم الدراسي، لإبراز بعض سمات التواصل الفكري والثقافي، التي تركت بصماتها واضحة عبر مختلف مراحل التاريخ بين سوس العالمة والصحراء المغربية.

هذا اليوم الذي نتمنى صادقين مخلصين، أن تتبعه أيام دراسية أخرى، وندوات أخرى لا تقتصر فقط على سوس والصحراء، بل تشمل بقية ربوع هذا الوطن الموحد، وتاريخ أبنائه وثقافتهم المشتركة، ومصيرهم الواحد المشترك، بحكمة وتبصر عاھلنا المفدى، نصره الله وأيده.

أيها السيدات والسادة، شكراتنا لكم جميعا، على ما تجشمتوه من عناء السفر، وما بذلتموه من جهد ووقت ثمينين، من أجل هذا اللقاء وهذا التواصل الثقافي، بحضوركم جميعا، ومشارككم جميعا.

كلمة السيد حسن بن خليفة
قيدهوم كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير

لبسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على خير المرسلين.
السيد عامل صاحب الجلالة على إقليم تيزنيت المحترم.
السيد رئيس المجلس البلدي المحترم.
السيد رئيس المجلس الإقليمي المحترم.
السيد رئيس مؤسسة الشيخ مرييه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي المحترم.
السادة آل ماء العينين المحترمين.
السادة العلماء والأساتذة الأجلاء.
أيها الحضور الكريم.
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يسعدني ويشرفني أن أحضر معكم في افتتاح هذا اليوم الدراسي، المنظم بتعاون بين المجلس البلدي لمدينة تيزنيت ومؤسسة الشيخ مرييه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي حول موضوع: «سوس والصحراء المغربية: تواصل ثقافي وفكري»، تكريما لروح الفقيه والأديب والمقاوم ماء العينين علي مرييه ربه، وذلك في إطار احتفالات الشعب المغربي بعيد الشباب المجيد، وإنها لمناسبة غالية تضاف إلى مناسبة سالفه، جسدت روح التعاون بين كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير ومدينة تيزنيت من خلال سلطاتها ومجلسها البلدي، عندما أقمنا تظاهرات مختلفة، كـ"ندوة تيزنيت وباديتها"، التي ساهم في تنظيمها مجموعة من الفعاليات الجامعية المغربية، كما سبق لكليتنا أن نظمت معرضا للكتاب الجامعي، دائما في إطار التعاون بين كليتنا وهذه المدينة المجاهدة. وأتشرف اليوم بالحضور مع مؤسسة الشيخ مرييه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، التي سبق لكليتنا أن نظمت معها في غضون السنة الماضية، يوما وطنيا دراسيا حول الصحراء: «التراث والذاكرة»، صاحبه معرض للكتاب ووثائق ومخطوطات تعرض لأول مرة، وكل ما يتعلق بالصحراء المغربية.

وإن اختيار موضوع علاقات سوس والصحراء باعتباره محورا لهذا اليوم الدراسي، يؤكد مدى التواصل الذي كان وما يزال يقوم بين هذه المنطقة العزيزة من بلدنا وسوس، كما يؤكد التحام كل أطراف المملكة بعضها ببعض، فقد كان المغاربة من شمال المملكة إلى جنوبها، ومن جنوبها إلى شمالها سباقين للذود عن حوزة البلاد، كلما أحاط خطر خارجي ببلدهم وأرضهم، والصحراء المغربية مثلت فعلا نموذجا لهذه الحركية البشرية، الهادفة إلى الدفاع عن مقدسات البلاد، وقد انصهرت فيها كل دماء المغاربة عندما تعلق الأمر بمعركة التحرير واستكمال الوحدة الترابية.

على أن التواصل بين سوس والصحراء الذي هو موضوع هذه التظاهرة، لم يقف عند هذا الحد، بل أخذ كذلك أوجها أخرى متعددة، تمثلت في التفاعل البشري والحضاري والثقافي، والانسجام الفكري والأدبي بين علماء سوس وعلماء الصحراء المغربية.

وإن انكباب ثلة من الباحثين الجامعيين على هذا الموضوع، ومحاولة سير أغواره لمن شأنه أن يلقي الضوء على جوانب خفية من علاقات التواصل الحضاري بين سوس والصحراء، كما أن التحرك الثقافي من شأنه أن يساهم في إغناء ذاكرتنا الوطنية الغنية بالملاحم والبطولات، وإبراز أوجه التقارب الثقافي والحضاري.

فاسمحوا لي أيها السادة، بهذه المناسبة، أن أتقدم باسم كليتنا إلى السيد رئيس المجلس البلدي لمدينة تنزيت، والسيد رئيس مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، على هذه الدعوة الكريمة الموجهة إلى كليتنا، قصد المساهمة في تفعيل هذا اليوم الدراسي وتنشيطه، واسمحوا لي كذلك أن أنوه بهذه المبادرة الطيبة، التي تمهد الآن لمبادرة قريبة إن شاء الله، ستنظم في السنة القادمة بالرباط دائما حول موضوع: «التواصل الثقافي والفكري بين الصحراء وسوس»، وهي تظاهرة ستنظم على مستوى جامعي بالرباط، كما أود بهذه المناسبة، كذلك، أن أخيركم بأن كليتنا الآن هي منهمكة في تحضير ندوة وطنية حول مدينة السمارة باعتبارها حاضرة روحية وعلمية بالصحراء المغربية، وهذا من شأنه كذلك أن يساهم في تفعيل واستعادة الذاكرة المغربية عبر محطاته الوطنية.

وفي النهاية أتمنى لهذا اليوم الدراسي كل التوفيق والنجاح، وشكرا لكم مجددا، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.



من اليسار إلى اليمين: رئيس المجلس البلدي لتزيت والسيد العامل



صورة للجلسة الافتتاحية

كلمة السيد محمد الأمين أبو الفضل السباعي
ممثل جمعية الأعمال الاجتماعية للقضاة وموظفي وزارة العدل

بسم الله الرحمن الرحيم.
وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى وعلى آله وصحابه الطاهرين.
وبعد:

أتشرف لأحضر هذا الحفل التكريمي، بانتداب من جمعية الأعمال الاجتماعية لقضاة وموظفي وزارة العدل، التي تأبى إلا أن تكرم أحد أبنائها البررة الكرام، الذين أفنوا ريعان شبابهم في خدمة الصالح العام بصفة عامة، وخدمة المتقاضين وإرضائهم في دائرة ما يقتضيه القانون بصفة خاصة.

إن الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه عرف طيلة حياته الإدارية بالاستقامة والنزاهة، والاستماتة في العمل، ونكران الذات، بكل تفان وإخلاص، زاده في ذلك المكانة العلمية التي ورثها من أجداده بالفرض التعصيب، فهو ذو الحسب والنسب والمجد الموروث والمكتسب، مما جعله يحوز تنويه جميع المسؤولين الذين عمل معهم وتحت إشرافهم.

كان - رحمه الله - عنصرا نشيطا في صفوف المقاومة وجيش التحرير، يث الوعي وروح الوطنية في نفوس المواطنين، وتمت ملاحقته من قبل الاستعمار الإسباني في الصحراء المغربية، وكان هذا المستعمر يحاول إغراءه ويخطب وده، فلما استعصى ضيق عليه الخناق، فوجد السند في وزارة العدل، حيث التحق بالوظيفة العمومية سنة 1961، وعين أول الأمر بمحكمة طانطان، ثم طرفاية، فالسمارة العاصمة العلمية للأقاليم الصحراوية المغربية، حيث توفي - رحمه الله - سنة 1997.

هذا التكريم الذي نشهده اليوم سبقته عدة تكريمات، فالوزارة كرمته عندما رقتة إلى أعلى الدرجات، حيث تمت ترقيته إلى إطار منتدب قضائي، نظرا لمكانته العلمية، وتحليه بالأخلاق الفاضلة، فهو خريج كلية الشريعة، وحاصل على الإجازة قبل هذا. وذاك هو خريج مدرسة ماء العينين، وما أدراك ما مدرسة ماء العينين، كما كرمته

الوزارة عندما رشحته لنيل الوسام الملكي، فكرمه القاضي الأول والساھر الأمين على
بث العدل بين رعاياه الأوفياء جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده بالوسام
العلوي، جزاء على ولائه للعرش العلوي المجيد، وتفانيه وجديته في العمل.
رحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جناته، آمين.

وأختتم هذه الكلمة المتواضعة بأبيات للشاعر الأستاذ ماء العينين يحجب في الشيخ
محمد الإمام، وجدتها مطابقة لسيرة الفقيد:

هو البحر بحر العلم والحلم والتقوى * وبحر الندى والجود ديدنه البذل
وديدنه الإنفاق دأبا وإن ذا * جلي يراه كل من عنده عقل
فنى عمره في خدمة الحق دائما * فأقواله فصل وأحكامه عدل
والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

كلمة السيد إدريس الغويزي
المنسوب الجهوي للمندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم.

السيد العامل المحترم.

السيد القيدوم.

السيد رئيس المجلس البلدي.

السادة الأساتذة الأجلاء.

أيها الحضور الكريم.

إنه لمن الشيم الكريمة، والفضائل الحميدة، أن تتجه العناية نحو بعض الرجال، وبعض الشخصيات الفذة التي وهبت حياتها لخدمة الوطن، فأجزلت العطاء بأريحية وسخاء من أجل عزة وكرامة وطنها، مسجلة بذلك صفحات ناصعة في ذاكرة التاريخ، ومخلقة معالم بارزة في الوفاء والتضحية ونكران الذات، والدفاع عن حمى الوطن والمقدسات، وبذلك تبوأ مكانة الصدارة في المجتمع.

إن الحديث عن شخصية مرموقة مثل المقاوم والأديب ماء العينين علي مريه ربه، يتطلب الساعات الطوال، لما يحفل به عمره من أعمال تستحق كل تقدير وتكريم، فلقد ترعرع -رحمه الله- في بيت مجد وعلم، وتربى في كنف عائلة متمسكة بوطنها، ووفية للعرش العلوي المجيد.

اعتنق المرحوم الوطنية عقيدة ومذهبا، وكان رجلا راسخ الإيمان، مجاهدا، التحق بصفوف جيش التحرير سنة 1956، ومنذ ذلك التاريخ وهو يتنقل في ربوع صحرائنا، يث روح الوعي من أجل مقاومة الاستعمار، وشارك في معارك ضارية أشهرها معركة الدشيرة، كما كان عضوا نشيطا داخل صفوف جيش التحرير.

أيها السادة الكرام.

قبل ختام كلمتي هذه، أرى من واجبي أن أتوجه بالشكر الجزيل، إلى كل الذين ساهموا في تنظيم هذا اليوم الدراسي، الذي يعتبر التفاتة كريمة لأسرة المقاومة وجيش التحرير، وأخص بالذكر هنا: السيد رئيس المجلس البلدي بتزيت، ومؤسسة الشيخ مربيه زبه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، وكل الأساتذة الأجلاء المساهمين بعروضهم في هذا اليوم الدراسي.

والله ولي التوفيق.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

كلمة السيد محمد الكريم الشاعوري

مندوب وزارة الشؤون الثقافية

سيدي عامل صاحب الجلالة على الإقليم.

السيد القيدوم.

السيد ممثل مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي.

السيد رئيس المجلس البلدي.

السادة الأساتذة، أيتها السيدات الكريمات، أيها السادة الكرام.

نلتقي اليوم، وبقاعة الشيخ ماء العينين، لنؤكد باللموس التواصل الدائم ما بين سوس والصحراء المغربية، أوامر وصلات ثقافية وفكرية، روحية وعائلية، بل إن الجغرافيا بعنادها تلزم، وتعزز حلقات هذا التكامل، وما هذا اللقاء سوى الفرصة السانحة لوضع برنامج مشترك ومندمج يستهدف البحث الثقافي الشامل ضمن نسق وطني عام، يرسخ ثوابت أمتنا، ويدعم أقداننا وحدتنا.

أيتها السيدات، أيها السادة.

إن أمير المؤمنين الحسن الثاني الأمين قد زواج دائما ما بين التحرير والبناء من جهة، وصيانة ورعاية الموروث والإبداع الثقافي من جهة ثانية. وعلى هذا النهج المولوي سار وزراؤه وهم يفوضون تسيير الشؤون الثقافية، فإذا كانت المسيرة الخضراء المظفرة إبداعا حسنيا خالدا، فإن صاحب الجلالة - أعز الله أمره - قد بنى وشيد أولا الأسس القانونية لهذه الملحمة، على موروث وطني ثقافي أصيل، أساسه البيعة، ودليله الوثيقة التاريخية والتواصل القريب والبعيد.

فعلى هذا النهج الثقافي الهادف، وبأساليب البحث العلمي الرصين والأمين، سارت السياسة الحسنية في الميدان الثقافي المواكب للتحرير، فكان لنا في أقاليمنا الجنوبية هذه من العناية والرعاية ما يشهد به الواقع، وأعطى البحث الثقافي المستمر ما أغنى الوحدة الوطنية والتراية، وفند الدعاوى والتزهات.

إنها محطات بارزة في حياة العالم الوطني ماء العينين علي مربيه ربه، تزود من العلوم والآداب بأعمقها وأطيبها، وتحلى من الخصال بأحمداء وأروعها، وتفدى الوطن بهذا وذاك، فكان -والله- النموذج والمثال لما يدعونا إليه ملوكنا العلويون الأشاوس، ومن كانت هذه صفاته فالجنة مثواه وقراره.

أيتها السيدات، أيها السادة.

اسمحوا لي أن أهمس جهرا لأخي النعمة، بأن ماء العينين علي مربيه ربه ما مات وقد أنجبك، فسر على بركة الله، يرعاك الله ويحميك، ولتكن أعمال الملتقى ودراسات السادة الأساتذة الأماجد خريدة تحلي هامتك، ونبراسا يهدي مسيرتك، مثالا يحتذى لبلوغ المرتضى، من حامي البلاد والعباد الملك الحسن الثاني، دام عزه وعلاه. أشكركم، والسلام.

كلمة أسرة الفقيد

السيد ماء العينين النعمة علي (*)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين.

السيد عامل صاحب الجلالة على إقليم تزنيث المحترم.

السيد رئيس المجلس البلدي المحترم.

السيد رئيس المجلس الإقليمي المحترم.

السيد رئيس مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي المحترم.

أستاذي الجليل قيديم كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير المحترم.

السادة رؤساء المصالح المحترمين.

السادة أعضاء المجلس البلدي المحترمين.

السادة الأساتذة الأجلاء المحترمين.

إنه لحدث عظيم، أن نلتقي اليوم بمدينة تزنيث السلطانية، وبقاعة الشيخ ماء العينين، لنحيي هذه التظاهرة الثقافية العلمية، التي ينظمها المجلس البلدي للمدينة، بتعاون مع مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، لتكريس أحد رموز الأدب والعلم والمقاومة في الصحراء المغربية وسوس العالمة، ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه بن شيخنا الشيخ ماء العينين، وهي تظاهرة تربط الماضي بالحاضر، وتعيد قراءة تاريخنا الوطني، الحافل بالبطولات والملاحم والأجساد، وتبرهن عن وفاء الأبناء للآباء، وحرصهم على مواصلة المسيرة العلمية والثقافية والجهادية والوحدوية، التي قادها أجدادنا في سوس والصحراء وباقي ربوع وطننا المغربي الموحد.

وتكمن أهميتها في أنها تصادف حدثين أساسيين هما: مولد المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم، الذي أشرق بطلعته البهية أرجاء الدنيا، وخرجت بهديه البشرية من ظلمات الجهل والضلال والفساد، إلى دنيا الإيمان والهدى والرشاد، واحتفالات الشعب المغربي بعيد الشباب المجيد، الذي يصادف هذه السنة الذكرى التاسعة والستين، لميلاد رائد البلاد ومفخرة العباد جلالة الملك الحسن الثاني دام له النصر والتأييد، محاطا بالعز والتمكين والعمر المديد.

كما أنها تختلف عن طرق وعادات التكريم المتعارفة في مجتمعاتنا، ففقيدنا اليوم يكرم من خلال موضوع عام هو: «سوس والصحراء المغربية: تواصل ثقافي وفكري»،

(*) - نجل الفقيد.

وسيتحدث من خلاله عدد من السادة الأساتذة الجامعيين والباحثين المختصين، عن جوانب مهمة من تاريخهما النضالي والثقافي والأدبي المشترك، وستهدى تلك العروض لروح الفقيه الطاهرة؛ لأنها خير ما يهدى له، وستصبح مرجعا علميا أساسا، يستفيد منه كل باحث في تاريخ وثقافة وأدب الصحراء وسوس.

وقد عرف الفقيه بمحرصه الشديد على ربط أواصر الوحدة الدائمة والوطنية الصادقة، بين الصحراء المغربية وشمال المغرب عامة، وسوس خاصة، من خلال ما يلي:
أولا: وطنيته الخالصة، وتمسكه بالبيعة الشرعية لعاهل البلاد المفدى، وتعلقه بأهداب العرش العلوي المجيد.

ثانيا: جهاده ومقاومته للمستعمر الأجنبي، في الصحراء وسوس، الذي لم يقتصر على السلاح وحده، بل أرففه بالخطب التحريضية الحماسية، والكتابة المتواصلة في مختلف الصحف والمجلات الوطنية، التي تبث الوعي، وتنمي الحس الوطني وروح المقاومة في قلوب المواطنين.

ثالثا: مشاركته الفعالة في صفوف جيش التحرير المغربي، الذي ساهم في تنشيطه وتنظيمه، فخاض المعارك كمعركة الدشرة ولبلاية وطريق الصدرة، وكتب المناشير، ورسم الخطط، ونفذ المقررات التحريرية، وحضر كثيرا من جوانبه الملحمية النضالية، الصحراوية، مع مختلف فيالقه وزعمائه وقواده.

رابعا: انشغاله بالعلم الذي سخر له شطرا كبيرا من حياته، تشهد على ذلك مكتبته الكبيرة التي تضم أعرق المخطوطات، وأنفس الوثائق، وإجازات العديد من فطاحل الأدب والعلوم له في مختلف العلوم، نذكر منهم: الشيخ محمد الأغظف، والشيخ الطالب أبو بكر، والشيخ محمد الإمام، أبناء الشيخ ماء العينين. والشيخ سيدي محمد بن عبد العزيز، وماء العينين بن العتيق، والشيخ ماء العينين بن الشيخ حسن بن الشيخ ماء العينين، والشيخ المحفوظ بن الحضرامي، والشيخ الحبيب الصوابي، والطاهر الإفرائي، بالإضافة إلى إنتاجه الشعري في مختلف الأغراض الشعرية، وكتاباته النثرية، وتقاريفه، وتعليقاته، وحواشيه، ورسائله، ومجموعاته المتنوعة، ومناظراته الفكرية والأدبية، التي ما تزال تنتظر من الدارسين والباحثين والمهتمين دراستها وتحقيقها وتمحيصها، وكشف ما تتميز به من أصالة وغنى وتنوع، والتي ستساهم، لاشك، في إغناء ثقافتنا الوطنية.

خامسا: تزويده للباحثين والدارسين بما يحتاجونه من زاد معرفي وثقافي، كالمخطوطات والوثائق والرسائل، حيث استفاد منه عدد لا يحصى من هؤلاء، وتمكنوا من إنجاز أبحاثهم حول سوس والصحراء.

سادسا: امتلاكه لخاصية الرواية الشفوية، وتوظيفها في خدمة البحث العلمي، فلم يكن -رحمه الله- يحتكر العلم أو يذخره في ذاكرته، ولكنه كان يستغله في المنفعة والاستفادة والوحدة والدفاع عن الوطن، كما أنه كان لا يمل من البحث والمناقشة والمطالعة والدراسة، وإثارة القضايا العلمية والأدبية التي تحتاج إلى البحث والمناقشة مع المثقفين والأدباء والعلماء والفقهاء.

وهو في كل هذا يسير على نهج والده وجده العالم المجاهد الشيخ ماء العينين، الذي حرص طيلة حياته -رحمه الله- على ربط ونشائج الوحدة بين شمال المغرب وجنوبه، وبين الصحراء وسوس، كما كان يكن لسوس تقديرا كبيرا، ومكانة سامية لا مثيل لها، لما يتميز به من علم ومجد، وصلاح وجهاد، ويكفي أن نذكر قولته المشهورة عندما نزل بتزيت مهاجرا إليها، من مدينة السمارة بالصحراء المغربية، وقد التفت إلى أبنائه وتلامذته ومريديه وأحبته فقال لهم: «أرايتم هذه الجبال، إنها لا تخلو من صالح الرجال»⁽¹⁾.

وهذا ما يؤكد ماء العينين بن العتيق قائلا: «وسمعت شيخنا الشيخ ماء العينين رضي الله عنه وأرضاه يثني على أهل سوس بما تهواه الأفئدة، وتشتاقه القلوب والنفوس، وتزين بزينة المحابر والأقلام والطروس، وتزدهر بحاسنه المجالس والنوادي والدروس. فهم أهل الفضل والإحسان، ومنبع الوفاء والعرفان، وموطن الإخلاص والأمان، ومعدن الصلاح والإيمان، وهم أرباب القريض والبيان، وأصحاب المعاني والدرر الحسان، وفرسان الجهاد والإقدام والبنيان، فلا غرو إن صارت بذكرهم الركبان، ولهج بمفاخرهم الفكر والجنان واللسان، في كل زمان ومكان»⁽²⁾.

وإننا إذ نحتفي اليوم بالأديب والمقاوم والعالم ماء العينين علي مرييه ربه، فقيد سوس والصحراء المغربية، فإننا نحتفي بالمبادئ والأخلاق السامية، والمثل العالية الراقية، والقضايا العلمية الثقافية، والملاحم الجهادية النضالية، والقيم الروحية والدينية والحضارية والإنسانية الكبرى التي عاشها وجسدها ومثلها ودافع عنها هذا الرجل الفذ العظيم، الجدير بكل احترام وتقدير وتكريم.

وفي النهاية لا يسعني إلا أن أشكر كل من ساهم في إنجاح هذه التظاهرة، وأخص بالذكر:

(1) - "تحلية الطروس، وتسلية النفوس، في التعريف بأعلام الشعر في الصحراء وسوس"، ماء العينين بن

العتيق، مخطوط خاص، ورقة: 12.

(2) - المرجع نفسه، ورقة: 13.

- السلطات المحلية وفي مقدمتها عامل صاحب الجلالة على إقليم تزنت.
- السيد رئيس المجلس البلدي الأستاذ المحترم أحمد اديعز، الذي شجعها منذ عرضها عليه، ودعمها ماديا ومعنويا، وظل يراها ويوجهها إلى أن اكتملت ولبست حلتها التي نشهدها اليوم.
- اللجنة الثقافية بالمجلس وفي مقدمتها نائب رئيس المجلس البلدي، الأستاذ المحترم أحمد بومزكو.

- أعضاء المجلس البلدي جميعا والعاملين به.
- مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي.
- قيدوم كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير الدكتور حسن بن حليمة، الذي دعم بدوره هذه التظاهرة، ونوه بها، وليس ذلك بغريب عليه، وهو المعروف بدعمه لأية تظاهرة ثقافية في الجهة الجنوبية من المملكة التابعة لكليته، وحتى خارج هذه الجهة.
- نائب قيدوم كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير الدكتور أحمد صابر.
- أساتذة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير بصفة عامة وبصفة خاصة أساتذة شعبة اللغة العربية وآدابها وشعبة التاريخ والجغرافيا.
- النائب الإقليمي لوزارة الشبيبة والرياضة.
- النائب الإقليمي لوزارة الثقافة.
- النائب الجهوي للمندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.
- النائب الجهوي لوزارة السياحة على أقاليم تزنت-كوليم-طان-آسا الزا.

- صديقي وزميلي ورفيقي الأستاذ المحترم محمد ناجي بن عمر.
- الأساتذة الذين تحشموا عناء السفر، للمشاركة في هذه التظاهرة وإنجاحها، بعروضهم ومدخلاتهم ومناقشاتهم وشهاداتهم.
- أعيان مدينة تزنت وفي مقدمتهم عائلة آل بيشا المحترمة.
- الحضور الكريم.

وإلى الجميع شكرنا وتقديرنا.
وأختتم كلمتي بالآية القرآنية الكريمة -التي تنطبق على فقيدنا رحمه الله، وجعل الجنة مثواه- وهي قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ، وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾⁽¹⁾. صدق الله العظيم، وصلى الله وسلم على نبينا ورسولنا محمد الكريم.
والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، مادامت تجري من ربنا رحماته.

(1) - سورة الأحزاب، الآية: 23.

قصيدة شعرية بالمناسبة بـ **معلوان**: "قِرَى المَجْلَان"

السيد أحمد بن مبارك أبو القاسم (*)

تألّات الضمائر والسجايا * فأهدت كل ما انطوى من خفايا
وباح بما يكتنم كل قلب * ففاض العشق وانكشفت خبايا
وأومأت الحواجب في ابتهاج * مرحبة وأعربت الثنايا
وأقبلت المدينة في حبور * وفي الأيدي الورود على الهدايا
ورتلّت البلابل في انتظام * تراتيل التلاقي والتحايا
تنسي ما تراكم من هموم * وما أضنى النفوس من الرزايا
فشاق القلب ما حمل المغاني * على الترحيب، هاج به هوايا
فقلت من الأحبة؟ قال شاد * "كرام القوم طلاعوا الثنايا
أتونا في مواكب من قواف * على الإيقاع يحدون المطايا"
فقلت: لثلهم أهتز شوقا * وأنقل مسرعا لهم خطايا
فنقل الخطو للأحباب سعيًا * إلى الترحيب محو للخطايا
وهذا من فنون القول زاد * أقدمه فيغني عن قرايا
وللأضياف ما يرضي لهاهم * يجود به مطوعة سوايا
فأهلا يا منيري كل قلب * بأنغام تخفف من بلايا
فهاتوا من عصير القلب سحرا * وسر الحرف مزمارا ونايا
فذي تيزنيت تؤثر كل ضيف * وللضيفان، ما مكثوا، حظايا
فباقات النعناع في سفور * تراود فارسا للحلم شايا
فإن زفت إليه على بساط * بديع النسج مصفوف الحشايا
تزول بلابل الأشهاد سكرًا * برشفهما وتنتعش الخلايا
وينتظم المزاج فلا اضطراب * يوسوس في العقول ولا الحوايا

(*) - أستاذ باحث - تزيت.

سنسقيكم متى شئتم رحيقا * لذيذ الطعم نسميه الأنايا
ألايا ما أحيل الكأس منه * بنادي الشعر إن جادت سجايا
فتستيق القرائح للقوافي * فعند الكأس، هن بها سخايا
فتهمر المشاعر في انسياب * تصارع ما يناوش من قضايا
فما تزئيت والأرجاء طُراً * سوى نادي الأجلة في الرعايا
توثق فيه من زمن عهد * وتصدر من عباقره الوصايا
فكم من خالد كم من صلاح * يقود إلى الوغى منه السرايا
فيحطم كل طاغية غشوم * ويغنم ما يشاء من السبايا
أضاء هنا الهلال بلا أفلول * على رغم العتاة ذوي الدنايا
بشاطي "أحل" قد بزغت شمس * لها فضل على كل البرايا
أحال شعاعها موج الشواطئ * إلى سحب المكارم والعطايا
فأجرت في البلاد معين نور * تفرق فيه للمرضى الشفايا
من الصحراء للحمراء بحر * من الأنوار تمخره الخلايا
تمد الوافدين على الشواطئ * على قدر القوافل والقصايا
وكم من زائر لما تولى * يردد نلت من سوس هدايا
ألم يلق ابن عباس عصاه * بسوس مبنيا آيا فآيا
وقال أبو هريرة نلت من سو * س ما يبغي الرواة من الخطايا
وسدد في جزولة سيبويه * لسان العرب من عوج الخطايا
وكم من بحري كم حبيب * يساجل في المعاهد والزوايا
ويتلو في ظلال اللوز سحرا * وأرحان، الأصائل والغدايا
وللجعفي كم خيل عتاق * تروّض في الغدايا والعشايا
فينشد فوقها طورا وطورا * يذيق بها العدا زرق المنايا
وللطيري في القمم العوالي * أحاديث الزمان على البقايا
وإياس بعدل كان يقضي * بتزئيت ويفتي في القضايا
لذا طابت لما العينين مأوى * فصانتهما جواده والصفايا
فظلت للبلاد منار هدي * إلى أن دال دولتها البلايا

كذلك ردانة محراب سوس * ففيها كم خبايا في زوايا
بها أملى الخليل مع ابن بحر * على صبيان سوس والصبايا
تباروا في العلوم وكل بر * بألباب صفت مثل المرايا
وما كان الرجال به جدير * من فالنسوان هن به حرايا
كفى العجلان غيض من كثير * فما أحصي وقد كثرت مزايا؟
سلوا المختار كم ثمرًا جناه * فقدمه لمن نهموا هدايا
فلم يغمض له جفن عقودا * إلى أن لم بعضا من شظايا
أضاء بها السبيل إلى شباب * طموح كي يحققوا كل غايا
فذا لكم قراري فلان كفاكم * تطيب النفس ذلكم منايا



جانب من الحضور الكريم





الحضور الثقافي لزاوية الشيخ ماء العينين بالجنوب المغربي

د. محمد الظريف (*)

تسعى هذه المساهمة المتواضعة التي يشرفني أن أشارك بها في هذا اليوم الدراسي الذي تنظمه مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي لمدينة تنزيت، إلى إبراز الحضور الثقافي لزاوية الشيخ ماء العينين في الجنوب المغربي، والدور الذي قامت به في إغناء الثقافة الوطنية.

فقد شكلت هذه الزاوية منذ تأسيسها في نهاية القرن التاسع عشر بالصحراء المغربية قلعة حصينة للعلم والمعرفة، بالإضافة إلى ما نهضت به من أنشطة اقتصادية واجتماعية وسياسية، وكان لتأسيسها بهذه الجهة من التراب المغربي دور كبير في النهوض بالجنوب المغربي بصفة خاصة، وتحديد المسار التاريخي للمغرب بصفة عامة. فقد ظلت منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب -ومنذ انتشار الإسلام بالمغرب- حلقة وصل بين شمال إفريقيا وجنوبها، وبين شرقها وغربها، فكانت ممرا للقوافل التجارية المتجهة نحو بلدان إفريقيا السوداء، ومهدا للحركات الدينية والسياسية التي وجهت المسار التاريخي المغربي. فعبر منرجاتها امتدت الخطوط التجارية التي تربط الشمال بالجنوب. وفي واحاتها ترعرعت حركة عبد الله بن ياسين التي مهدت لقيام دولة المرابطين، وتمجاهلها اعتصم زيري بن عطية سنة 387هـ⁽¹⁾، وعلي بن يدر⁽²⁾، وعلي بن محمد بودميعة في القرن السابع عشر⁽³⁾، وغيرهم من الدعاة والمصلحين. فكان من الطبيعي أن تتأثر بهذه الحركة الدائمة التي تعرفها وتنعكس على آثار الوضع العام فيما تنوسطه من أقاليم في الشمال والجنوب.

(*) - أستاذ جامعي - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - المحمدية.

(1) - "الساقية الحمراء ووادي الذهب"، محمد الغربي، ص: 200، دار الكتاب، الدار البيضاء.

(2) - نفسه، ص: 206.

(3) - "الوسيط في تراجم أدياء شنقيط"، أحمد بن الأمين الشنقيطي، ص: 437، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية 1911.

ورغم الدور الهام الذي كانت تؤديه هذه المنطقة في تاريخها الطويل في الربط بين شمال إفريقيا وجنوبها، فقد ظلت مجرد قناة صحراوية، لا أثر فيها للتمدن الذي كانت تعرفه باقي الأقاليم المغربية في الجنوب والشمال، مثل شنقيط وولاتة ورودانة ومراكش وفاس وغيرها من المراكز الحضارية، تجوبها مختلف القبائل الصحراوية في السلم والحرب، وتخترقها أسراب القوافل التجارية المتجهة نحو الجنوب أو العائدة إلى الشمال، إلى أن استقر بها الشيخ ماء العينين، وأسس بها حاضرة السمارة، فتحوّلت الحياة فيها من فوضى واضطراب إلى استقرار وتآلف وتعاون بين القبائل. وهذا ما تقرره كتب التاريخ التي تعرضت للحديث عنها؛ يقول أحمد بن الأمين الشنقيطي:

«وكانت الساقية الحمراء خالية لا أنيس بها لشدة الخوف، ولقحولتها دائما، حتى عمرها الشيخ ماء العينين... وهي في الأصل للرقبيات.. والعلم فيهم قليل»⁽¹⁾.
فقد كانت هذه المنطقة حسب شهادة الشنقيطي قبل استقرار الشيخ ماء العينين بها منطقة خوف وخلاء وجهل وظلام، فلما أقام بها زاويته تحوّلت إلى مركز حضاري ينشر الأمن والاستقرار والتّراحم بين القبائل الصحراوية، ويث العلم والمعرفة داخل مجاهل الصحراء وخارجها.

وقد تمكن الشيخ ماء العينين من تحقيق ذلك كله بفضل احترام ملوك الدولة العلوية له، واستخلافهم له في تدبير شؤون الصحراء، وتقدير القبائل الصحراوية له، لما كان يملكه من رصيد علمي شامل، وثقافة موسوعية عميقة، بالإضافة إلى شرفه ونسبه، وما كان يتمتع به من ورع وتقوى وزهد.

وركان - رحمه الله - يعي أهمية العلم، ويدرك قيمته وخطورته في قيام الأمم وسقوطها، ودوره في رفعها وحفظها، فبنى زاويته على التربية والتهذيب، وأقامها على صقل النفوس، وشحذ العقول، فتمكن عن طريق ما وفره لها من أساتذة وعلماء، وما أقامه من مدارس وخزانات، من خلق نهضة ثقافية كبرى داخل الصحراء وخارجها، وإحياء ما عرفته في سالف عهودها من نشاط علمي وأدبي. فاستقطبت العلماء والأدباء من سائر الأقاليم المغربية، وقصدها الطلبة والمريدون من مختلف الآفاق، فصارت مركزا بارزا من مراكز الثقافة الإسلامية في شمال إفريقيا، واستعادت دورها التاريخي في الربط بين شمال المغرب وجنوبه.

(1) - "الوسيط في تراجم أدياء شنقيط"، أحمد بن الأمين الشنقيطي، ص: 437، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، السنة 1911.

وقد تعرض معظم المؤرخين الذين عاصروا هذه الزاوية أو تتبعوا أخبارها إلى هذا الجانب الهام من أنشطتها، غير أنهم لم يتجاوزوا في ذلك استعراض عناوين بعض الكتب التي تحفل بها خزائنها، وبعض الأعلام الذين برزوا فيها، وبعض التلاميذ والطلبة الذين شدوا الرحال إليها من شمال المغرب وجنوبه، وتلمذوا على شيوخها أو طلبوا إجازاتهم، مثل السلطان مولاي عبد الحفيظ، والوزير أحمد بن موسى، والحاجب الملكي إدريس بن يعيش، والعلامة الطاهر الإفرائي، والعربي الصوابي، ومحمد الجرسيفي، وعبد السلام القلعي الريفي، والحاج عبد الرحمن الوجدي، وابن مايابا الجكني، ومحمد سالم المجلسي، والضوء السباعي البقاري، وابن عمه الدرباكي، والتهامي المكناسي، وعلال الحمري، وغيرهم. ولم يقدموا بيانات حقيقية عن طبيعة ثقافتها، وما تتميز به من خصوصيات، وهذا أمر يصعب تحقيقه.

ويرتكز الرصيد الثقافي لهذه الزاوية على ركنين أساسيين:

- **الركن الأول يقوم على التربية والتعليم:** فقد كان الشيخ ماء العينين يدرك أهمية التربية والتعليم، ودورهما في صقل القلوب وشحن العقول، فأسس زاويته على التربية والتعليم، ووفر فيها ما يحتاجه الطلبة والمريدون من محاضر ومدارس وأساتذة وزاد. وجعل نفسه في مقدمة المربين، فكانت محضرته قبل أن يستقر بالسمارة وترنيت فيما بعد مدرسة متنقلة تنشر العلم والمعرفة⁽¹⁾.

وكان يشرع في إنجاز برنامجه التربوي - كما ذكره غير واحد من الذين تحدثوا عن سيرته، مثل الشيخ مربيه ربه، والشيخ محمد تقي الله، وماء العينين بن العتيق - منذ طلوع الفجر، فبعد أن «يصلي صلاة الصبح بالناس، ينحرف قليلا عن مصلاه، ويقبل على تسبيحه وتقديسه وتهليله، وسائر ما أراد من أوراده قريبا من ساعة. ثم يقرأ الحزب حتى تطلع الشمس، فيصلي الضحى. ويتلو بعد ذلك ما شاء الله من أوراده، ثم يرد وجهه نحو الجماعة. فيأخذ رضي الله عنه في تعليمهم على اختلاف طبقاتهم، فمنهم من يتعلم منه التفسير والحديث والأصول، ومنهم من يتعلم التصوف والحكم إلى غير ذلك من سائر العلوم النافعة»⁽²⁾.

وعندما ينتهي من تعليم المريدين والتلاميذ المقيمين بزوايته، ينتقل إلى بيته

(1) - "سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين"، ماء العينين بن العتيق، الورقة: 85، الخزانة العامة تحت رقم: 84م.

(2) - نفسه، الورقة: 41-42.

«فيشتغل بتعليم أولاده ذكورا وإناثا، كما يعلم التلاميذ في المسجد»⁽¹⁾. وكان لا يترك التعليم إلا في أيام الأعياد ويوم الخميس⁽²⁾.

ويتكون البرنامج التعليمي المعيني من مواد متنوعة تستجيب لاهتمامات سائر الطلاب، وتراعي مستويات جميع التلاميذ، ويتدأ هذا البرنامج بتلقين الطفل مجموعة من الآيات القرآنية التي تكتب له بخط أول غير واضح، فيعيد رسم خطوطها، ثم يرددها خلف الفقيه إلى أن ترسخ في ذهنه. وهذه الطريقة وإن كان هدفها هو تحصيل المادة القرآنية، فإنها تساعد الطفل في الوقت نفسه على معرفة القراءة والكتابة. و«بتقدم الطفل في استظهار القرآن وعند وصوله الغاية في ذلك، يلحق جملة من المتون»⁽³⁾ التي تغني معرفته العامة، ثم تشرح له شرحا وافيا يمكنه من التعرف على قضاياها الأساسية. وخلال هذه المرحلة الابتدائية تقدم له «جملة من النصوص والمحفوظات التي ترسخ في ذهنه ما يجب أن يكون على علم به من بديهيات الدين والعربية. وعندما يستتم هذه المعرفة الأولية، يتعمق في الدراسات الدينية والأدبية العميقة التي يتخرج منها العلماء والفقهاء الإسلاميون»⁽⁴⁾.

وهذا البرنامج التعليمي الذي تنهجه المدرسة المعينية في التكوين لا يختلف عما تقدمه المدارس المغربية في الشمال والجنوب، فجل المدارس التقليدية في المغرب تتبع طريقة التلقين والحفظ في برامجها التربوية، وتنهج هذه السيرة الدراسية التي يسلكها التلميذ في المدرسة المعينية، بل إن بعض علماء الصحراء ومدرسة السمارة بصفة خاصة كانوا يشتغلون بالتدريس في بعض المدارس التقليدية في الشمال، كالشيخ النعمة والشيخ مربيه ربه ومحمد بابا الصحراوي ومحمد سالم الصحراوي وماء العينين بن العتيق ومحمد بن أبوة وغيرهم.

فقد كان محمد الشنقيطي يدرس "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك" بالرباط بمسجد عطية⁽⁵⁾. وكان كل من محمد ابن أبوة وماء العينين بن العتيق يدرسان المنطق

(1) - "سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين"، ماء العينين بن العتيق، الورقة: 42.

(2) - نفسه، ص: 46.

(3) - "التداخل الثقافي بين المغرب وصحرائه"، المهدي البرحالي، مجلة الوحدة، ص: 45، العدد: 14، السنة 1968.

(4) - نفسه، ص: 45.

(5) - "من أعلام الفكر المعاصر بالعنوتين الرباط وسلا"، عبد الله الجبراري: 196/1، الطبعة الأولى، الرباط 1971.

والبيان وباقي العلوم العربية بكلية ابن يوسف بمراكش، بينما كان محمد المامون بن محمد فاضل بن عبيدي يدرس الفقه بالمسجد الجامع بتازة، بعد أن استكمل بدوره دراسته بجامع القرويين بفاس.

ولعل هذا التواصل الثقافي بين شمال المغرب وجنوبه، مظهر واضح من مظاهر الوحدة بين سائر الأقاليم المغربية.

ورغم النوائب التي أصابت زاوية الشيخ ماء العينين بعد الهجوم الفرنسي على السمارة، وما تلا ذلك من تفرق، فقد ظلت المدرسة المعينية وفية للأهداف التربوية التي حددتها في انطلاقتها، فظلت بيوت أبناء الشيخ ماء العينين ومساجد القرى والمدن التي استقروا بها مدارس حافلة بالعلم والمعرفة، يحج إليها الطلاب والتلاميذ من كل مكان⁽¹⁾، ولا يزال أحفاد الشيخ ماء العينين إلى اليوم يتلقون تربية مدرسة جدهم في بيوت آبائهم إلى جانب ما يأخذونه من علوم عصرية في المدارس الحديثة.

وقد استقطبت المدرسة المعينية برامجها الحافلة بأنواع العلوم والفنون عددا كبيرا من التلاميذ داخل الصحراء وخارجها⁽²⁾، كما تخرج منها عدد من العلماء الذين ساهموا بنصيب وافر في إغناء الثقافة المغربية. وتحتفظ الخزائن المغربية بوثائق هامة تؤكد هذه الحقيقة، من إجازات وفوائد ورسائل تربوية، نذكر منها على سبيل المثال إجازة الشيخ ماء العينين للسلطان مولاي عبد الحفيظ العلوي في استعمال ما يشاء من تأليفه وأسراره، وإجازته لباشا سلا محمد بن الطيب الصبيحي، وإجازته إلى مقدم زاويته بوجدة الحاج عبد الرحمن الوجدي، وفوائده للوزير أحمد بن موسى في كثير من القضايا الدينية والدنيوية، وإجازة الشيخ مربيه بن الشيخ ماء العينين للجرسيفي، وإجازة ماء العينين بن العتيق لعدد كبير من رجال الفكر والأدب مثل عبد الوهاب بن منصور والصبيحي وابن موسى وغيرهم.

- **الركن الثقافي وهو التأليف:** ولا يقل شأنًا عن الركن الأول في غناه وعمقه وشموليته وأبعاده الوجدانية، فقد كان الشيخ ماء العينين شديد التعلق بالكتب والنهم على قراءتها⁽³⁾، والبحث عنها في أقصى المناطق، وكان يخصص للتأليف جزءا مهما من وقته، فبعد أن ينتهي من تعليم مريديه «يأتي إلى بيته الذي أعده لوضع الكتب، وفيه ما

(1) - "الساقية الحمراء ووادي الذهب"، محمد الغربي، ص: 359.

(2) - نفسه، ص: 359.

(3) - "سحر البيان"، ماء العينين بن العتيق، الورقة: 42.

ينيف على المائة من الصناديق المملوءة كتباً في كل فن، فتارة يكون خيمة تسمى خيمة الكتب، أو يكون داراً تسمى دار الكتب، وليس فيه أحد من زوجاته، بل فيه أحظلي سراريه عنده وأحبهن إليه، وهي القائمة بأمر ذلك البيت، ثم يشتغل بالتأليف، فيؤلف ما شاء الله من نظم ونثر، وكأنه يعمل ذلك من صدره»⁽¹⁾.

ورغم المشاغل الكبرى التي كانت تملأ معظم وقته، فقد خلف من المؤلفات ما يثير الدهشة. ويختلف الدارسون في تقدير عدد مؤلفاته، فقد أورد الشيخ مريه ربه منها مائة وثلاثة وثلاثين مؤلفاً⁽²⁾، بينما ذكر ابن العتيق منها مائة وثلاثة وخمسين⁽³⁾. أما باقي الدارسين، فيتجاوزون هذا العدد بكثير، فقد حدده كارو باروخا في ثلاثمائة وأربعة عشر كتاباً⁽⁴⁾، وكذلك أوديت دوبيكودو⁽⁵⁾، أما علي الشامي، فقد ذكر نقلاً عن نحوديو أوتيليو أن هذا العدد يصل إلى ثلاثة عشر وأربع مائة كتاب في الدين والفقه والأخلاق والسياسة⁽⁶⁾.

ولعل هذا الاختلاف في تحديد عدد هذه المؤلفات يعود بالأساس إلى ما أصاب الخزنة المعنية من محن بعد الهجوم الفرنسي على السمارة، وإحراق ونهب ذخائرها العلمية والأدبية. كما أن خلط بعض الدارسين بين ما هو تأليف رصين وبمحث أصيل، وبين ما هو نظم مختصر وتعليق موجز، جعلهم يعتبرون منظومات الشيخ ماء العينين وأوراده وإجازاته وأجوبته أعمالاً رصينة ومؤلفات ثابتة.

وقد أحاطت هذه المؤلفات بمختلف مجالات التأليف العربي الكلاسيكي، وأكثرها طبع بالمطبعة الحجرية بفاس تحت رعاية ملوك الدولة العلوية وتحت إشراف مجموعة من علماء فاس والصحرَاء، مثل عبد الرحمن بن جعفر الكتاني، واليملاحي، وأحمد بن الشمس وغيرهم، ومنها ما طبع بالمطبعة المصرية⁽⁷⁾.

وقد حاول كل من الشيخ مريه ربه وابن العتيق تصنيف هذه المؤلفات وتحديد

(1) - "سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين"، ماء العينين بن العتيق، الورقة: 42.

(2) - "قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين"، الشيخ مريه ربه، الورقة: 65، الخزنة العامة تحت رقم: 95م.

(3) - "سحر البيان"، من الورقة 24 إلى الورقة: 30.

(4) - "ماء العينين القلقي"، برادفور، مجلة الأفارقة، العدد: 12، ص: 183.

(5) - "الماضي المغربي لموريتانيا"، أوديت دوبيكودو، ص: 94، الرباط 1962.

(6) - "الصحرَاء الغربية عقدة التجزئة في المغرب العربي"، علي الشامي، ص: 108، دار الكلمة للنشر 1980.

(7) - "سحر البيان"، الورقة: 24.

بجالاتها، فقسماها إلى خمسة أصناف وهي:

- أولا: الأصول والفقه.
- ثانيا: النحو والتصريف والعربية والبيان والعروض.
- ثالثا: التصوف.
- رابعا: علم الحساب.
- خامسا: الأسرار والأدعية.

ورغم ما يطبع هذا التصنيف من تعميم، فإنه يعبر عن شمولية التأليف عند الشيخ ماء العينين، وتغطيته لسائر مجالات المعرفة، وتلبيته لسائر الحاجات الروحية والفكرية. وقد اقتدى أبناؤه وأحفاده وبعض مريديه بشيخهم في هذا المجال وغيره، فكانوا في أغلبهم من أصحاب النفس الطويل في البحث والتأليف، وتأتي في مقدمتهم مجموعة من الأسماء نذكر منها: الشيخ مربيه ربه، والشيخ أحمد الهيبه، والشيخ محمد تقى الله، والشيخ النعمة، والشيخ محمد الإمام، والشيخ شبيهن، والشيخ الطالب اخيار، والشيخ الجيه، والشيخ أحمد بن الشمس، وماء العينين بن العتيق.

فقد كان هؤلاء وغيرهم من العلماء المشاركين الذين ساهموا في إثراء الخزانة المغربية وإغنائها، غير أنهم لم يصلوا في ذلك إلى شأو الشيخ ماء العينين، ولم يدركوا مقامه، وذلك لاختلاف ظروفهم عن ظروفه، وعدم توافر ما توافر له من إمكانيات، فإذا كان الشيخ ماء العينين قد ألف «الكثير من كتبه في أول زمانه وربيعان شبابه أيام جولانه»⁽¹⁾ بين القبائل الصحراوية قبيل تفجر الأزمة المغربية، وأتاحت له ظروف الهدوء السياسي نسبيا خلال هذه الفترة طبع جل كتبه بالمطبعة الحجرية، فلما الظروف التي عاشها أبناؤه لم توفر لهم كل هذه الإمكانيات، فقد قضوا معظم حياتهم في قلق مستمر وتوتر دائم، فظلت مؤلفاتهم رهينة الصناديق، حبسة الرفوف، تلتفها الأرضة، وتحرقها نيران المستعمر، وتتناهبها أيدي الغزاة.

ورغم كل ذلك، حافظ الأحفاد على هذا الرصيد، وعملوا على صيانتها، ولم يتوانوا في إعادة ترميمه والحفاظة على استمراريتها، فقلما تجد بيتا من البيوتات المعينية لا تحركه الغيرة على التراث المعيني والافتخار به والسعي إلى جمعه وصيانتها، وقلما تجد واحدا من أسرة الشيخ ماء العينين لا يشده الحنين إلى ماضي السمارة العلمي ومجدها

(1) - "قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين، الشيخ مربيه ربه، الورقة: 95.

التاريخي ولا يحفظ بائية الشيخ محمد الإمام الطويلة التي يقول في بعض أبياتها⁽¹⁾:

ألا حيهل بالقوم مربعهم حصب * لمن أمهم والبيت منفسح رحب
إذا نزلوا محلا تروض جذبه * وتدنو إلى الجاني الفواكه والأب
وتهتز أكناف البسيطة تحتهم * فيثري الثرى نبتا ويختلط العشب
أولئك آل الجيه أكرم معشر * من آل رسول الله يممه ركب
ولا تجد واحدا منهم لا ينشد بمرارة قول الشيخ مربيه ربه⁽²⁾:

هذي السمارة لا حي ولا مالأ * بها ولا فرح بها ولا طرب
ولا بها حلق الذكر العظيم ولا * علم تدارسه قوم ولا أدب
هذا تضلع من شرع العلوم وذا * من الحقيقة كالمحروق يلتهب
حيران ولهان من خمر المعارف لم * تسمع له غير ذكر الله يضطرب
دار بوفق المنى كانت معمرة * هناك تكنفها الأستار والحجب

إنها غير متأصلة في أعماق هذه الأسرة، وجبلة راسخة في تاريخها لا يزيدنها الدهر إلا عمقا وأصالة.

وما هذا الرجل الذي نلتقي اليوم لإحياء الذكرى الأولى لرحيله إلا واحد من هذه الطينة، وفرعا طيبا من تلك الشجرة الأصيلة، فمنذ أن تشرفت بمعرفته في بداية سنوات الثمانين في بيته بمدينة طان طان وأنا أهني رسالي لدبلوم الدراسات العليا تحت عنوان: "الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين"، وأطروحني لنيل الدكتوراه في موضوع: "الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء"، وهو يعمل بجهد واجتهاد ونكران ذات على جمع ما ضاع من ذخائر الخزانة المعينية، واستنساخها وإعادة كتابتها، وتزويد الباحثين بما توافر من نسخها، فجمع منها ذخيرة هامة قلما تجدها في خزانة خاصة، مثل مؤلفات الشيخ ماء العينين، ومؤلفات الشيخ مربيه ربه وخطبه ورسائله وكتابه الضخم "قرة العينين"، ورحلة ماء العينين بن العتيق، والكثير من قصائد شعراء السمارة كالشيخ مربيه ربه، وماء العينين بن العتيق، والشيخ أحمد الهبيسة، والشيخ محمد الإمام، والشيخ الجيه، والشيخ محمد تقي الله، ويحجب، وعبد السلام بن الشيخ مفتاح، وسداتي بن

(1) - "المعسول"، المختار السوسي: 302/4، مطبعة فضالة، المغرب.

(2) - "جوانب وحدوية من ثقافة الصحراء المغربية"، ص: 51، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى 1997.

الشيخ أحمد الهيبة، وغيرهم.

ولم ينحصر عمله في جمع التراث المعيني، ولكنه ساهم في إغنائه بما صنعه من مجموعات شعرية، وبما حرره من فوائد ورسائل وكتانيش سعدت كثيرا بتلقيها من أخوته، ولا أزال أحتفظ بها في خزانتي المتواضعة بخطه رحمه الله.

وقد زان كل ذلك أخلاق عالية في التعامل مع الطلبة والباحثين، وتواضع أصيل، وكرم أثيل، فلم يكن - رحمه الله - يخل على أحد بما عنده من ذخائر علمية، ولم يكن يقصر في الإكرام والمساعدة، لذلك لا يسعني في نهاية هذه الكلمة إلا أن أنوه بعصاميته، وأعتبر ما بذله من جهد في جمع التراث المعيني مساهمة فعالة في بناء ثقافتنا الوطنية، تستوجب الشكر والتقدير، وأدعو الله تعالى أن يجازيه عنا خيرا، ويكلأه برحمته وعنايته، وأن يفسح جناته.

هذه بعض الإشارات حول مساهمة الزاوية المعينية في إغناء ثقافتنا الوطنية، ولا يسعني في النهاية إلا أن أجدد الشكر إلى مؤسسة الشيخ مرييه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، والمجلس البلدي الحاضرة تزنيته، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، وعلى رأسها سعادة قيدومها الدكتور حسن بن حليمة الذي أشاد أخونا مرييه ربه بغيرته الوطنية، وعمله على الحفر في ذاكرتنا الثقافية، بما يؤكد وحدتنا الترابية، وإن كانت هذه الوحدة لا تحتاج إلى تأكيد، وأعتبر مبادرة المؤسسات وجميع الفعاليات المشاركة في هذا اليوم عملا وحدويا، وسلوكا حضاريا متميزا، يتوج ما عاشته سوس والصحراء من تواصل ثقافي واجتماعي. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

جهاذ الشفء مربفه ربه والقباثل السوسفة من ءلال وئائلق مءلفة

- ماء العفنن النعمة على (*)
- أءمء بومزءو (**)



ءقءفم:

فءءبر الشفء مربفه ربه بن
الشفء ماء العفنن أءء أبرز رموز
المقاومة والءهءاء ضء الاءلال
الفرنسف بالءنوب المءربف؁ كما
ءءبر ءركئه الءهءاففة اسءمرارا
لءركة أءفه الشفء أءمء الءففة
ووالءه الشفء ماء العفنن مع
مءفراف ءءفءة؁ ءعلء ءفافه ملففة
بالءءءف المسءمر للاستعمار منذ
سنة 1912.

وئءءر الإشارفة إلى أن هءه

صورة الءهء الشفء مربفه ربه

الشءصففة الوطنفة لم ءوظ بءراساف

ءارفءفة مسءفففة؁ وءءف المصاءر والمراءع الفف رءعنا إلفها لا ءءءو فإلا على مؤشرات
قلفلة ومءءصرة ءءا عن ءركئه الءهءاففة بالمقارنة مع ما ءءب عن باقى رموز المقاومة
الوطنفة المءربفة.

ءفر أن السمة الإفءاففة لشءصففة الشفء مربفه ربه هف ءرصه على ءءوفن أفءاره
وآراءه ونشاطه الءهءافف فف ءءاباف ءءبر مرآة صاءقة عن ءءركافه وانشفالافه وظروف

(*) - أسءاء باءء - ءزنفء.

(**) - أسءاء باءء - ءزنفء.

جهاده، لذا، فإن أي بحث عن جهاده بصفة عامة يجب أن ينطلق من تراثه الفكري والأدبي نفسه.

وتمثل سنة 1934 حدثا بارزا في جهاد الشيخ، ويبدو أن الأمر يعود إلى اعتبارين أساسيين:

- أولهما: ينطلق من الفترة المتميزة التي تمر منها علاقة القبائل بالمستعمر، وما نتج عن تلك الوضعية من أحداث ووقائع بين الطرفين.

- وثانيهما: قرار الشيخ مربيه ربه الخروج من كردوس نحو طرفاية.

وفي هذا الإطار، تعتبر يومياته لسنة 1934⁽¹⁾ أهم ما وصلنا عن خروجه من كردوس نحو طرفاية. ولعل ما دفعنا إلى اختيارها كونها تعبر عن موقفه تجاه الأحداث الطارئة في المنطقة إبان احتلال فرنسا النهائي لجزبال الأطلس. لهذا سينصب اهتمامنا في هذه الدراسة على توضيح الانشغالات التي شغلت اهتمامه، ومن ثم استجلاء القضايا التي تتضمنها.

إلا أننا نشير إلى أن أية محاولة لفهم واستيعاب المضامين الواردة في اليوميات لا يمكن أن يعزل عن إطار تاريخي شامل، وهو ظرفية انبثاق حركة الشيخ مربيه ربه منذ سنة 1912 إلى حدود سنة 1934.

1- ظروف نشأة حركة الشيخ مربيه ربه:

1) علاقة الشيخ مربيه ربه بالقبائل:

إذا كانت حركة الشيخ أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين في حقيقتها تمثل رد الفعل الشعبي ضد الاحتلال الأجنبي، فإن دور أخيه الشيخ مربيه ربه -في إطارها- يعتبر رياديا في تأطيرها، حيث اضطلع بالأدوار الطلائعية في تهيين القبائل وتوجيهها وتنشيط الحمية الجهادية ضد المستعمر⁽²⁾.

وعلى الرغم من توافر جميع الشروط لنجاح الحركة الجهادية بعد مقتل حيدة بن

(1) - تركز هذه الدراسة على فقرات من يوميات خروجه من كردوس يوم الأحد 17 ذي القعدة عام 1352هـ، وهذه الفقرات لا تشكل إلا جزءا من رحلته نحو طرفاية. (توجد نسختها الأصلية في خزانة الأستاذ المحترم ماء العينين محمد فاضل بن الشيخ حسن بن الشيخ مربيه ربه بالعيون، وهي مخطوطة). ونشير إلى أن مثل هذه اليوميات والمذكرات تشكل مصدرا لا غنى عنه لأي باحث في تاريخ المقاومة الوطنية المغربية، ومما يزيد أهميتها كونها تقربنا من نظرة وموقف أحد المساهمين مباشرة في عمليات مقاومة الوجود الأجنبي.

(2) - محمد المختار السوسي، "المعسول": 4/120-148-247.

مايس في معركة "إيسكالفن" سنة 1917⁽¹⁾، فإن الشيخ أحمد الهيبه لم يستغل بما فيه الكفاية تلك الظروف المواتية⁽²⁾ لعدة أسباب منها:

- غياب الانسجام الكافي بين القبائل.
- كون بعض الأطراف المساهمة في الحركة تخضع لمصالح وقتية اقتضتها ظروف الحماية الجهادية التي انتابت المنطقة بعد سنة 1912⁽³⁾.
- ومباشرة بعد وفاة الشيخ أحمد الهيبه سنة 1919 سارعت القبائل إلى اختيار أخيه الشيخ مرييه ربه⁽⁴⁾، لأن شروط الزعامة في تلك الظروف الصعبة متوافرة في شخصه، منها:

- حضوره الفعلي في مسرح الأحداث منذ عهد والده الشيخ ماء العينين وأخيه الشيخ أحمد الهيبه في الصحراء المغربية وسوس والحوز، مما أكسبه تجربة كبيرة جعلت شخصيته تنصف - كما قال المختار السوسي - بالحنكة والدهاء السياسي والشجاعة في قيادة الجيوش المجاهدة⁽⁵⁾.
- انتماؤه الأسروي (أهل الشيخ ماء العينين) جعله في مأمن من الاعتبارات القبلية الضيقة التي كانت تفتاب العلاقات بين القبائل السوسية⁽⁶⁾.
- مكانته العلمية جعلته يستمد قوته من الحقل الرمزي الديني للتأثير على المجاهدين⁽⁷⁾.
- طبيعة شخصيته المتميزة بالقدرة الخارقة في التأثير على القبائل وتنظيمها، جعلها

(1) - Dugard (H.): La colonne du Sous 1917, Paris 1918.

- محمد الإحراري، "روضة الأفنان في وفيات الأعيان"، تحقيق: حمدي أنوش، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أمجادير، ص: 100، الطبعة الأولى 1998.

(2) - Dugard (H.), Op. cit.

(3) - محمد الإحراري، مصدر سابق، ص: 98.

(4) - تتوفر على نسخة خطية من الاتفاق: (نسخة خاصة) مؤرخ بتاريخ يوم الأحد 6 شوال 1337هـ.

(5) - "المعسول": 247/4.

(6) - Justinard (L.): Notes sur l'histoire du Sous au XVI Siècle.

in: Archives Marocaines, Vol.: XXIX - 1933.

(7) - لقد برهن الشيخ مرييه ربه عن وعي متكامل من خلال اقتناعه بأهمية الوازع الديني والقوى السلوكية كمقومات أساسية في أي عمل جهادي. وكما سبق أن أبرزنا في مقالات سابقة، نشير إلى غزارة مؤلفاته في موضوع الجهاد، وهي مؤلفات تترجم ما راكمه من تحارب خلال مسيرته الجهادية، كما تعكس المرجعية الشرعية التي توطر حركته. انظر مقالنا في صحيفة العلم: "الشيخ مرييه ربه: العالم المجاهد".

معطيات عن مقاومته المسلحة ضد الاستعمار ودعوته الجهادية في مواجهة الصليبية

- العدد: 16660 الجمعة 15 رجب 1416 الموافق 8 دجنبر 1995.

- العدد: 16667 الجمعة 22 رجب 1416 الموافق 15 دجنبر 1995.

تعتبره زعيماً وترشحه قائدا للجهاد.

وعلى الرغم من أنه يعتبر حركته الجهادية استمراراً لجهاد أخيه الشيخ أحمد الهيبه، إلا أنه كان على وعي بالمتغيرات الطارئة على الوضع العسكري والضعف الذي يتخلل العلاقات القبلية. لذا سنباحول تحديد طبيعة العلاقات التي ربطها مع القبائل، خاصة تلك المحيطة بكردوس من حيث التنظيم والاستعداد وفض النزاعات.

أ- التنظيم: لقد اقتنع الشيخ مرييه ربه بأن تنظيم القبائل، والسهر على تموين جميع تحركات المجاهدين، تعد أعمالاً ضرورية لضمان استمرار العمل الجهادي، واستقطاب القبائل الجبلية غير الخاضعة للاحتلال. وعمدنا الرسائل التي كان يرسلها لأعيان القبائل بأمثلة عن طبيعة التموين الذي كانت تحظى به حركته⁽¹⁾، وذلك في إطار التزود بمزيد من وسائل العمل والمعونة اللازمة (الأعشار والزكوات والأموال)، وكان يحث مخاطبيه غير ما مرة بضرورة دعم حركته ودفع التزاماتها من الحبوب والمؤونة وغيرها. وقد كانت القبائل ترسل مساهماتها عبر ممثلين عنها، وهم أشخاص لهم اطلاع واسع بأحوال المنطقة، وعملوا بإخلاص في حركته (مثل خليفته بمنطقة آيت باعمران سيدي عثمان بن حسن)⁽²⁾.

ب- الاستعداد: تبين الرسائل مدى نجاح الشيخ في التأثير على القبائل، حيث خلقت حركته حماساً متأججاً لديها لمواجهة العدو المحتل وعمالته بالمنطقة⁽³⁾. كما عمل على ردع القبائل المتعاملة معه، وحذرهما من الدخول في اتصالات مباشرة به⁽⁴⁾. فخلال المدة التي قضاها مجاهداً داخل جبال الأطلس الصغير كثف من تنقلاته صحبة نخبة من أعيان القبائل وعلمائها⁽⁵⁾، أمثال: القائد المدني الاخصاصي، والقائد سعيد البعقلي،

(1) - رسالة الشيخ مرييه ربه إلى أهل آملن يوم 19 ذي القعدة 1349هـ.

رسالته إلى عمر الإيلائي يوم 22 جمادى الثاني 1341هـ.

رسالته إلى قبيلة آيت الخمس يوم 4 محرم 1334هـ.

رسالته إلى أمغار سعيد يوم 2 جمادى الأولى 1351هـ.

(2) - رسائل الشيخ مرييه ربه إلى خليفته سيدي عثمان بن حسن:

- بتاريخ 28 ذي الحجة 1346هـ.

- بتاريخ 4 ذي الحجة 1342هـ.

(3) - رسالة الشيخ مرييه ربه إلى عمر الإيلائي بتاريخ 22 جمادى الثانية 1341هـ.

(4) - رسالة الشيخ مرييه ربه إلى قبيلة آيت عثمان بتاريخ 7 ربيع النبوي 1350هـ.

رسالته إلى عمر الإيلائي بتاريخ 21 شعبان 1338هـ.

(5) - رسالة الشيخ مرييه ربه إلى سيدي عثمان بن حسن بتاريخ 28 ذي الحجة 1346هـ.



المجاهد الشيخ مربيه ربه مع بعض قادة قبائل سوس المجاهدة



والطاهر الإفرائي، والمحموظ الأوزي، والقائد سعيد الأكماري، والقائد مبارك البئراني، والحسن الأزاريفي، والحاج الحبيب الصوابي، وأمغار سعيد الخمسي، وحمادي ولد سوساني الزفاضي⁽¹⁾. ومن المؤشرات الدالة على قوة نفوذ الشيخ مرييه ربه بين قبائل المنطقة ما تكشف عنه تقارير الاستعلامات الفرنسية⁽²⁾ من أن كردوس أصبح مركزا تجتمع فيه فعاليات المقاومة خلال انعقاد المواسم المشهورة (سيدي أحمد بن موسى بتازروالت، وسيدي الغازي والقصابي بوادي نون)، أو خلال الأعياد الدينية للتشاور والتنسيق حول أمور الجهاد⁽³⁾.

ويستند الشيخ إلى قوة القبائل الجبلية المعارضة لفرنسا، حيث امتد نفوذه من آيت بعمران غربا، إلى حدود إيلالن شرقا. وكان على اتصال دائم بأعيان هذه المناطق، وتطلعا الرسائل التي كان يوجهها إليهم على أهمية الإمدادات التي تأتيه من قبيلة (أملن وآيت عبلا وآيت صواب)⁽⁴⁾. كما تبين اعترافه وثنائه للدعم المستمر الذي يصله من القائد أمغار سعيد الباعمراني⁽⁵⁾، والشعور نفسه أبداه نحو عمر الإيلالي الذي تزعم قبيلته لصد الاحتلال الفرنسي⁽⁶⁾.

ج- فض النزاعات: ما يهمنا في هذا الجانب هو امتلاك الشيخ السلطة المعنوية، مما أهله للقيام بأدوار مختلفة داخل مجال نفوذه، وحتى في مجالات جغرافية بعيدة عن كردوس. فقد كان في جميع تحركاته يدعو إلى ضرورة جمع شمل القبائل وحملها على

(1) - لم تكن الإغراءات الفرنسية كافية لجعل القواد المحليين يتقادون للإدارة الاستعمارية، فأغلبهم بادر إلى دعم الشيخ مرييه ربه في تحركاته الجهادية. وكان على رأس هؤلاء القائد المدني الأخصاصي وأمغار سعيد الخمسي الباعمراني.

(2) - تقرير الاستعلامات الفرنسية بتاريخ 1925/03/23 تحت رقم: 378.

(3) - رسالة الشيخ مرييه ربه إلى قبيلة آيت الخميس يوم 4 محرم 1334هـ.

رسائله إلى قبيلة ريموكة يوم 7 ذي القعدة 1341هـ.

رسائله إلى قبيلة آيت الخميس يوم 8 شوال 1350هـ.

- "المعسول": 250/4.

(4) - رسالة الشيخ مرييه ربه إلى أمغار سعيد يوم 2 جمادى الأولى 1351هـ.

رسائله إلى الحاج محمد بن إبراهيم الصوابي يوم 15 شعبان 1339هـ.

(5) - رسالة الشيخ مرييه ربه إلى أمغار سعيد يوم 22 صفر 1347هـ.

(6) - رسالة الشيخ مرييه ربه إلى عمر الإيلالي يوم 22 جمادى الثانية 1341هـ.

رسالة أخرى إليه يوم 21 شعبان 1338هـ.

رسالة أخرى إليه يوم 3 صفر 1345هـ.

التعاضد والاتحاد وتجميع إمكانياتها الخاصة تحت راية الجهاد⁽¹⁾، كما كان يحث على الاستعداد والزيث والمواجهة، وهو لا ينطلق في ذلك من أية خلفية سياسية أو بواعث قبلية ضيقة، بل هدفه الرفع من معنويات القبائل.

وهكذا استطاع في ظل وضعية حرجة تميزت بالفوضى العارمة والتشتت القبلي⁽²⁾ أن يحافظ على التوازن والاستقرار. وهذا المطلب الملح والضروري يمكن ملاحظته من خلال المراسلات التي كانت تجمعها بأعيان القبائل غير الخاضعة. وعادة ما كان يشعر أحيانا بخيبة أمل من الحالة المزرية التي آلت إليها الإمكانيات الحربية للقبائل، مما يفسر تدخله لفض النزاعات المحلية، كالصراع بين قبيلتي محاط والأخصاص، أو بين قبائل آيت صواب وإيلال وآيت الرخاء⁽³⁾.

ومن الثابت أن دواعي هذه التحركات قد ساهمت في تقوية حركته الجهادية، وضمنت على الأقل استمراريتها لمدة تزيد عن عشرين سنة. ويبدو أن سلطات الحماية قد سلمت بهذه الحقيقة، وهي أنه يستحيل على الشيخ ممارسة نشاطه بدون سند قبلي.

2) استراتيجية احتواء القبائل:

إن الدلائل المتوافرة قبل سنة 1934 تشير إلى نشاط الشيخ مريبه ربه الجهادي المكثف منذ سنة 1912، غير أن هذه الدلائل لا تورد تفاصيل دقيقة عن طبيعة هذا النشاط، فمباشرة بعد نكسة سيدي بوعثمان وتراجع قوات المجاهدين نحو سوس⁽⁴⁾، تسجل تحرك الشيخ لجمع شمل القبائل التي مازالت تؤيد الشيخ أحمد افية، ثم استرجاع المناطق السهلية التي امتد إليها نفوذ القائدين المخزنيين محمد بن دحان بتزيت، وحيدة بن ميس انطلاقا من تارودانت⁽⁵⁾. وكانت دعامة الشيخ مريبه ربه في ذلك

(1) - رسالة الشيخ مريبه ربه إلى أيت عثمان يوم 7 ربيع الثوري 1350هـ.

رسالته إلى علي بن محمد الإليغي يوم 29 شوال 1344هـ.

رسالته إلى أمغار سعيد يوم 14 جمادى الأولى 1350هـ.

(2) - كان الشيخ مريبه ربه على وعي بالضغط العسكري وحالة عدم الاستقرار في العلاقات بين القبائل، خاصة بين محاط والأخصاص. وقد قامت سلطات الحماية بدور كبير في إذكاء تلك الصراعات، مما أنهك القدرات الحربية للقبائل، وساهم إلى حد ما في تسهيل عملية الاحتلال. وقد اعترف الشيخ بهذه الحقيقة في عدة رسائل موجهة إلى أعيان وعلماء المنطقة.

(3) - رسالة الشيخ مريبه ربه إلى محمد الخبيب بن إبراهيم الصواي يوم 15 شعبان 1339هـ.

(4) - الإحصاري، ص: 91.

(5) - EL Hiba, fils de Malainin, in: Renseignements coloniaux n° 3 - Mars 1916.

قبائل آيت باعمران والأخصاص ووادي نون، إلا أن هذه المحاولات فشلت لافتقاد القبائل المجاهدة إلى التنسيق ووسائل الاستمرار. ويكفي أن نذكر أن أهم محطات المواجهة وقعت بماسة 1913، والسيحل 1913، وآيت برايم 1914، وأهللو 1915، وأشتوكن 1915⁽¹⁾.

لقد تزامن اختيار الشيخ مرييه ربه من قبل القبائل الجبلية قائدا وزعيما للجهاد سنة 1919 باشتداد الضغط العسكري الفرنسي المباشر لاحتواء الجيوب المتبقية منذ حملة الجنرال دولاموط 1917⁽²⁾. وكانت تستهدف بعض المراكز الاستراتيجية، خاصة وجان، وآيت برايم، وثلاثاء الأخصاص، وإيغرم. وهذا ما جعل القبائل تظهر صمودا قويا أمام المحاولات الفرنسية المتوالية. وفي السياق نفسه اقترنت محاولات القائد الكندافي (1917-1921)⁽³⁾ لاختراق القبائل الجبلية انطلاقا من آيت وادريم وآيت صواب، بإجراءات دفاعية من قبل الشيخ مرييه ربه لإفشال خطته، وذلك بتوزيع القبائل المجاهدة في المناطق المحيطة لآيت أحمد وآيت صواب وآيت وادريم⁽⁴⁾، مما أفضى إلى تراجع قوات الكندافي. وعلى إثر هذه التطورات قرر قائد المنطقة الجنوبية دعم قوات الكندافي بطابور من تارودانت ومن رجال القائد المتوحي، كما أرسل سربا من الطائرات إلى تريت⁽⁵⁾.

مهما يكن من أمر، فإن استمرار العمليات الجهادية ضد المواقع الفرنسية أثار انزعاج سلطات الحماية وجعلها تفكر في نهج خطة عسكرية قوية أكثر فعالية لمواجهة الوضع الجديد الناتج عن انسحاب الكندافي من سوس في نهاية 1921.

لهذا يمكن أن نتعت الفترة الممتدة ما بين 1922 و1934 بأنها فترة انتظار وترقب، حيث خفت نسبيا وطأة العمليات العسكرية. ويبدو أن المختل قد اقتنع بأن تكسير مقاومة جبال الأطلس الصغير لن يتأتى إلا بإفشال مساعي زعيم المقاومة وقائدها الشيخ مرييه ربه.

ويفهم من تقارير الفرنسيين خلال الفترة المذكورة أنهم اعترفوا بكونهم يواجهون خصما عنيدا، وكانوا يدركون مكانته الرمزية والمعنوية لدى القبائل. وهذا ما يفسر الرغبة الملحة للتأثير سلبا على حركته الجهادية ومقاومتها بمختلف الوسائل بما في ذلك:

(1) - EL Hiba fils de Malairin, in Renseignements coloniaux n° 3 - Mars 1916.

(2) - Dugard, Op. cit.

(3) - Justinard, Le caïd El Goundafi Casa 1952.

(4) - تقرير الاستعلامات الفرنسية رقم: 578 بتاريخ 1921/03/22.

(5) - المرجع نفسه.

- إضعاف نفوذه بين القبائل الجزولية، وقطع الطريق أمام جهوده الرامية إلى توحيدها تحت راية الجهاد، الشيء الذي جعل القوات الفرنسية تكشف اتصالاتها مع قواد وأعيان بعض القبائل الذين أصبحت مصالحهم مرتبطة بالاستعمار⁽¹⁾، للتأكد من مساندتهم لتسهيل مأمورية القوات الفرنسية والتأثير على سكان المناطق غير الخاضعة.

- البحث عن مواطن الانقسام والتصدع في العلاقات بين القبائل، وفي هذا السياق اندلعت سلسلة من الصراعات بين أهم القبائل المساندة للشيخ مرييه ربه حول بعض المراكز الاستراتيجية⁽²⁾ تسبب فيها قواد وأعيان الجهاد خاصة القائدين المدني الأخصاصي وسعيد المخاطي⁽³⁾، مما أفضى إلى واقع معقد دام سبع سنوات.

- محاولة تسريب الجواسيس والمخبرين لجمع المعلومات عن خطط القبائل الجبلية انطلاقاً من الهوامش الجنوبية للأطلس الصغير أو من أزغار تزيت⁽⁴⁾.

- استعمال سياسة الإشاعات في حق الشيخ لتأثير سلباً على حركته⁽⁵⁾.

- التجاء فرنسا في تعاملها مع الشيخ إلى أسلوب الإغراء⁽⁶⁾ لوضع حد لحركته، لكنه رغم هذه الإغراءات التي عرضت عليه، فقد بقي وفياً لمبدئه. وقابل كل ذلك بنوع من التحدي والتجاهل، كأنه اقتنع باستحالة التوصل إلى حل مقنع مع الفرنسيين⁽⁷⁾.

لقد تطورت الأحداث بسرعة في الجنوب المغربي في بداية الثلاثينات، ولا يمكن فصلها عما يحدث من تطور في مسعى فرنسا لاستكمال احتلال المناطق المتبقية، حيث أصبح الهم الأساس لإدارة الاحتلال هو إحكام السيطرة على معاقل المقاومة، والوصول إلى عمق القبائل التي مازالت تؤيد الشيخ مرييه ربه، لتطويقها وإخضاعها. وكان الاستعداد والتهيؤ للإجهاد على الجبال قد تطلب أكثر من عشر سنوات سحرت

Dugard (H.) Op. cit.

(1) - انظر مواضع متفرقة في:

(2) - "المعسول"، 4/250.

تجد أصداء هذه الصراعات في عدة مواضع من الرسائل.

(3) - كان الشيخ كثير التعاطف مع القائد المدني نظراً للعلاقة الوثيقة بين الطرفين، وهذا ما جعل البعض يعتبر هذا التعاطف سبباً في الصراع الذي وقع. لكن رغم هذه الملاحظة فقد أمان الشيخ عن وعي وحكمة سياسية في تجاوز المشاكل.

(4) - انظر التقرير الفرنسي ليوم 1932/03/20.

(5) - رسالة الشيخ مرييه ربه إلى علي بن محمد الإيليقي يوم 29 شوال 1344هـ.

(6) - "المعسول"، 4/267.

M. Bernard (Lieut): Les opérations de pacification de L'Anti. Atlas.

in: La Géographie, Février 1934, p. 28-29.

(7) - يمكن القول بأن حكايات هذه الاتصالات بالرغم من طابعها غير الرسمي تعبر عن حقيقة واقعية تمثل في أن الشيخ مرييه ربه كان واعياً بأهمية التفاوض.

تحلأها سلططات الاحتلال جميع الإمكانيات العسكرية، بما في ذلك استنفار أكثر من فيلق مكون من المشاة والفرسان يوطرها الجنرال "كاترو Gatroux"⁽¹⁾ انطلاقاً من تزنيت، تدعمها أسراب من الطائرات، كما كثفت من اتصالاتها مع قواد بعض القبائل السهلية لتسهيل عملية الاحتلال. واعتماداً على هؤلاء، وضعت قوات الاحتلال خطة دقيقة في الزمان والمكان⁽²⁾.

II- تجديد الثقة في الشيخ مربيه ربه لقيادة العمليات الجهادية:

كان الشيخ مربيه ربه والقادة المحيطون به على علم بأهداف المستعمر وخططه، وعلى الرغم من وعيه بأن التباين الواضح في إمكانات القبائل الذاتية المحدودة وتلك التي جندتها فرنسا، كان في غير صالح المجاهدين المحتملين. تترفعات الأطلس الصغير، فإن أنصاره رفضوا الاستسلام وبدأوا تحركاتهم لإفشال هذا المشروع. وتطلعنا الوثائق التي حصنتا عليها بأن كردوس شهدت اجتماعاً مصرياً بتاريخ 1932/05/05 تحت رئاسة الشيخ مربيه ربه، وقد حضره ثلة من فعاليات المقاومة⁽³⁾، أمثال: المدني الأخصاصي، ومبارك البئراني، وحسن الأزارقي، والمحمود الأندوزي، وسعيد أوطالب الأكماري، والطاهر الإفرائي، والحاج الحبيب الصوايي. وقد تم الإجماع على جملة من القرارات منها:

- التنسيق والتعاقد والتكثف بين القبائل المجاهدة لصعد افجومات الفرنسية المرتقبة.
- فرض ذعيرة مالية تقدر بعشرة آلاف ريال على كل قبيلة لا تلتزم بمساندة القبائل الأخرى في حال تقدم قوات الحماية.
- الاتفاق على أن أقصى حدود المنطقة الخاضعة لفرنسا هو آفا بالجنوب، وأن أي تقدم جديد سيكون مرفوضاً.

وفي هذا الوقت بالذات، تدعّم صف المجاهدين بوصول قبائل آيت حمو وآيت حباش إلى المنطقة يوم 1932/06/09، كما أبدى زعيمها محمد بن بلقاسم النكاذي رغبته البقاء في المنطقة⁽⁴⁾. وقد عبر الشيخ مربيه ربه عن ابتهاجه لثبات القبائل واستماتتها ضد زحف القوات الفرنسية، والدعم الذي حصل عليه المجاهدون من قبل هذه القبائل (آيت

M. Bernard, Op. cit. p. 24.

(1) -

Voinot (L.): Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc.

(2) -

Ibid

(3) - تقرير الاستعلامات الفرنسية بتاريخ 1932/08/08.

(4) - المرجع نفسه.

حمو وآيت نباش⁽¹⁾، وطالب بجمع المزيد من المساعدات (المال والخيل والسلاح) لضمان استمرار العمليات الجهادية⁽²⁾.

والواقع أن شدة الهجوم والتخطيط الفرنسي الدقيق كان أكثر فعالية، إذ استهدف عدة جهات، وخاصة الممرات الجبلية الاستراتيجية⁽³⁾. وفي هذا السياق أظهر الفرنسيون اهتماما كبيرا بموضع كردوس واستهدفته طائراتهم⁽⁴⁾، وكان غرضهم من هذا القصف التأثير على معنويات المجاهدين، وقطع الطريق أمام الشيخ مربية ربه حتى لا يتمكن من جمع شمل القبائل، وكذا تضيق الخناق على مصدر القرار بالمنطقة.

ولكن ذلك كله لم يكن ليضعف من عزيمته الشيخ مربية ربه الذي سارع إلى دعوة زعماء وأعيان الجهاد للاجتماع مرة أخرى بكردوس يوم 1934/01/29⁽⁵⁾. وقد نتج عن هذا الاجتماع دعوة جميع القبائل للدفاع عن أراضيها بشتى الوسائل. وكذا تجميع المجاهدين في مناطق استراتيجية تعتبر بمثابة ممرات طبيعية معروفة للتوغل إلى عمق الجبال، وهي: ونيان (إيداولتيت) - إغير ملولن (محاط) - ظهر الأخصاص (ثلاثاء الأخصاص) - أريلال (آيت الخمس وآيت برايم) - السيجل (آيت بوبكر وصبويا)⁽⁶⁾.

إجمالاً، فإن القبائل لم يكن بإمكانها في تلك الظروف العvisية إلا الخضوع لسياسة الأمر الواقع، ولم تكن القوة العسكرية المحدودة المتبقية لدى الشيخ كافية لضمان استمرار الحركة الجهادية. وهكذا استمر الفرنسيون في عملية الاحتواء انطلاقاً من عدة جهات، وتم بالفعل إخضاع الهوامش الجنوبية للأطلس الصغير الغربي (آقا، وطاطا، وتمنارت، وتاغصجت)⁽⁷⁾، ودخلت قوات الجنرال "Gatroux" مركز بوبزكارن يوم 4 مارس 1934⁽⁸⁾، كما بدأت وفود قبائل إيداولتيت وآيت صواب وآيت حمد في

(1) - كان ذلك خلال اجتماع موسم سيدي الغازي بكلميم يوم 1932/06/30.

(2) - نسخة من الاتفاق المبرم بين القبائل المجاهدة بتاريخ أواخر ذي الحجة 1342.

رسالة الشيخ مربية ربه إلى عمر الإيلالي يوم 22 جمادى الثانية 1341.

رسائله إلى قبيلة صبويا يوم 4 ذي الحجة 1342.

(3) - انظر الخريطة في ملحق هذا البحث.

Voinot: Op cit. p. 476.

(4) -

(5) - تقرير الاستعلامات الفرنسية بتاريخ 1934/01/25.

(6) - المرجع نفسه.

Information du Sous, 16 Novembre 1929

Bernard (M.): Op cit

Voinot (L.): Op cit.

Bernard, Op cit. p. 27.

(8) -

الاستسلام بعد تقدم القوات الفرنسية بقيادة الجنرالات "Rochas, Legrand, Blanc"⁽¹⁾. أما قبائل أيت باعمران فما فتئت تهدد المناطق الخاضعة، مما أدى إلى اصطدام الطرفين في معركة "تيزي" يوم 1934/02/23⁽²⁾.

وتطلعنا وثيقة أن اتفاقا حصل بين الجانبين في موضع ثلاثاء الاختصاص على أساس تحديد الحدود⁽³⁾.

وفي ظل هذه الظروف الجديدة التي أفرزها التفوق العسكري الفرنسي، أصبح بقاء الشيخ مرييه ربه بجبال الأطلس محفوفا بالمخاطر، مما جعله يغادر منطقة كردوس متجها نحو طرفاية.

III - خروج الشيخ مرييه ربه من كردوس:

إن تاريخ خروج الشيخ مرييه ربه من كردوس جاء في ظرف عصيب، فالناوشات على أشدها بين القبائل الجبلية وقوات الاحتلال، سيما وأن فرنسا عازمة هذه المرة على احتواء المناطق غير الخاضعة.

لقد كان الشيخ مرييه ربه واعيا تمام الوعي بأن إقدامه على مغادرة المنطقة إذا جاء استجابة للظرفية الجديدة التي أفرزها التفوق العسكري الفرنسي، ولم يعد هناك في نظره أي أمل في مقارعة المحتل، لأن إمكانيات القبائل لا يمكن أن توقف زحف الفرنسيين عند حدود سهل تزيتت كما أن هول المخاطر المحدقة به جعل هذا الخروج أفضل وسيلة لحقن الدماء.

يقول واصفا خروجه: «... أما بعد، فقد خرجنا من كردوس بعد ثلثين مضيا من ليلة الأحد السابعة عشر من ذي القعدة عام 1352هـ، وما نهضنا حتى أحاطت بنا الجنود الفرنسية من كل مكان بالمدافع والطيارات، واحتلوا القبائل. ولو أنهم أتونا بمثل العدة التي في أيدينا لكان ظننا أنهم لن يحصنوا على طائر، قياسا على الوقائع بيننا معهم في الماضي. لكنهم أتونا بهذه الآلات التي لم تكن عند القبائل، والله غالب على أمره»⁽⁴⁾. ويعتبر هذا المقطع شاهد إثبات ودليلا عسكريا مهما عن حركته الجهادية وعماد قاده من معارك بطولية ضد الاحتلال حفاظا على وحدة المغرب الترابية.

(1) Bernard, Op. cit. p 30

(2) - وقعت المعركة ليلة الجمعة 8 ذي القعدة بمنطقة "تيزي" الواقعة بين قبيلتي: آيت برايم وآيت باعمران.

(3) - توافق على نسخة خطية من هذا الاتفاق.

(4) - "الرحلة"، الورقة 3.

ونلاحظ من خلاله أنه يبين قوة الهجوم المكثف الذي شنته القوات الفرنسية بالمدافع والطائرات على منطقة كردوس، مما اضطر القبائل للاستسلام نتيجة عدم التكافؤ في الإمكانيات الآلية (العتاد والأسلحة) بينها وبين القوات الفرنسية المدعومة بالأسلحة المتطورة: «لكنهم أتونا بهذه الآلات التي لم تكن عند القبائل». وهذا ما جعله يخرج من كردوس حتى لا يستسلم للفرنسيين رغم الإغراءات التي قدمت له، مما يؤكد وفاءه لمبادئه الذي هو الجهاد في سبيل الله ومقاومة الوجود الأجنبي.

ورغم هذا الهجوم المكثف والعنيف الذي استهدف منطقة كردوس، والذي كان من نتائجه احتلال القبائل وانخضاعها، فإن الشيخ مربيه ربه يذكر تضاضيه الجهادي المتمثل في انتصارات سابقة على القوات الفرنسية: «لكان فلنسا أنهم لن يحصلوا على طائل، قياسا على الوقائع بيتنا معهم في الماضي».

وهنا نشير إلى أن فرنسا اتبعت سياسة التدريج في احتلال مناطق الجنوب المغربي، ففي بداياتها الأولى اقتصرت على المناطق السهلية، واتبعت سياسة غير مباشرة. وابتداء من سنة 1921 اتبعت سياسة الحصار والاختراق، حيث حاصرت الجبال، وحاولت اختراق بعض المناطق الاستراتيجية مثل آيت وادريم وويجان. بعد ذلك جاءت خطة الإجهاد النهائي على المناطق غير الخاضعة لها.

ونشير إلى أن منطقة كردوس تعرضت لهجوم عنيف ومتواصل من قبل الطائرات الفرنسية قبل خروج الشيخ مربيه ربه ويوم خروجه وبعده، كما يؤكد ذلك قائلا: «ثم إنهم يوم السبت قبل مسيرنا ضربوا كردوس بثلاث وسبعين كورة من الطيارة، ولم تفسد شيئا في الدار التي كنا بها لله الحمد، وبعد ذلك يوم مسيرنا ضربته قليلا، ويوم الأحد الثامن بعد مسيرنا ضربوه أيضا بتسع طيارات كثيرا من الضرب، ولم يفسد قليلا ولا كثيرا من الدار»⁽¹⁾. وهناك أسباب متعددة جعلت القوات الفرنسية تكثف هجومها على هذه المنطقة منها:

- أنها كانت تمثل منطقة استراتيجية ضمن قبائل إداولثيت، وحتى في العمق فهي توجد في أراضي قبيلة إداويعقيل التي دعمت الحركة الجهادية، سواء في عهد الشيخ مربيه ربه أو في عهد أخيه الشيخ أحمد أفية⁽²⁾.
- تقع في الجبال التي تشرف على أزغار تزويت، مما يتيح لها مراقبة المنطقة بكاملها.

(1) - "الرحلة"، الورقة: 4.

(2) - "العسول": 107/4-126.

- تتميز بمناخ طبيعية وبعدها عن مركز القرار (تزيت) الذي كان يشكل مصدراً لتجميع المعلومات والآليات بالنسبة للقوات الفرنسية، ومنه كانت تنطلق مختلف خططها وعملياتها العسكرية.

- أما بالنسبة للمجاهدين فإن منطقة كردوس كانت تشكل مركز قرار، ففيها تعقد الاجتماعات، ويتم التنسيق بين مختلف القبائل تحت قيادة الشيخ مريه ربه من أجل تدارس الطرق الكفيلة بمواجهة العدو، وهذا ما يفسر رغبة فرنسا في ضربه من أجل إخضاعه وإفشال عزيمته قائد حركته الجهادية.

ورغم الأخطار التي كانت تحدق بالشيخ مريه ربه من جميع الجهات، فإنه تشبث بفكرة الخروج وعدم البقاء؛ لأن بقاءه يعني استسلامه لفرنسا، وهذا ما يرفضه ويجهد من أجله. وكان خروجه ليلاً في سرية تامة خوفاً من الجواسيس والمخبرين الذين زرعتهم فرنسا في المناطق المحيطة بكردوس. وقبل خروجه كان بعض الأحياء قد اقترح عليه -نصحا- البقاء وعدم المسير، لأن الطرق كلها محاصرة، إلا أنه لم يلتفت لذلك، وصمم وعزم على تنفيذ أمره.

وقد شكل إيمانه وبقينه في الله دوراً كبيراً في هذا الخروج، يقول: «ثم إنني لما أجمعت الرأي على الخروج قال لي كثير من الأحياء -نصحا منهم- أنني لا أقدر على المسير لكثرة الجنود أمامي، وأن الطرق كلها مختلة من العساكر، فلم ألتفت لذلك، وعزمت وصممت، وعلى الله توكلت، وامتثلت ما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾⁽¹⁾. ثم في ساعة الخروج أعلمت القائد سعيد البعيلي وكذلك بعض الخاصة⁽²⁾. ومنهم أخوه المجاهد الشيخ الجيه بن الشيخ ماء العينين⁽³⁾ الذي كلفه هو والقائد المذكور بالنسهر على أمن وسلامة عائلته، على أساس إحالتهم عن المنطقة.

وفي كل المناطق التي مرَّ منها، كان الشيخ مريه ربه يحظى باستقبال كبير ودعم لا نظير له من قبل القبائل التي كانت تخبره بما يجد ويطرأ على الساحة العسكرية من أحداث، مما يعبر عن التفافها حوله، وتضامنها معه، ومازرتها لحركته الجهادية. يقول: «فنهضنا لما بقي من الليل الثلث، كما تقدم، وأصبحنا عند ديار من محاطة قرب تزرالت، وبها عملة كبيرة لفرنسا، وسرنا من عندهم بعد الظهر والطيارات تمر عنا يمينا

(1) - سورة آل عمران، الآية: 159.

(2) - "الرحلة"، الورقة: 6.

(3) - كان خليفة الشيخ مريه ربه، وناب عنه في قيادة بعض الغزوات والمعارك، وساهم بدور فعال في توطيد دعائم حركته الجهادية بالمنطقة.

وشمالا، وربما تقرب منا جدا، فلما بلغنا بلاد رخاوة أخبرنا أن محلة أخرى نزلت بأبي الأحبال (بوزكارن)، والطريق يمر على أحتته، وذلك الوقت وقت المغرب من ليلة الاثنين الثامنة عشر من ذي القعدة»⁽¹⁾. وقد استطاع اختراق المناطق التي مر منها رغم صعوبتها⁽²⁾، ورغم مراقبتها من قبل الجيوش الفرنسية في مدة زمنية وحيزة وبسهولة نادرة، وهذا ناتج عن حنكته وتجربته ودهائه الحربي، بالإضافة إلى معرفته بخبايا هذه المناطق التي كان يتردد عليها وهو يقود حركة الجهاد منذ سنة 1912.

يقول: «فسرنا عامة الليل، وشفقنا جبالا صعبة جدا، ومررنا قرب تمولاي الفوقانية، فرأينا الأضواء عند المحلة المذكورة، فاتكلنا على الله، ولم نمل عن الطريق حتى مررنا على أجنة أبي الأحبال (بوزكارن)، والمحلة غيمة بخواضه لم ترنا حتى جاورنا تالجات، فإذا بمحلة أخرى أضواؤها تنقد، ومررنا غربي الحيسل، ودخلنا أباينو صلاة الصبح»⁽³⁾. مما جعل القبائل الباعمرانية والواديونية التي جاءت من مختلف جهات منطقة أباينو التي توقف بها، وخصصت له استقبالا كبيرا تتعجب من كيفية نجاته وخلاصه من القوات الفرنسية التي ضربت حصارا كاملا على جميع المناطق الجنوبية التي احتلتها. يقول: «وأتتنا تلك القبائل من كل جهة، وأقمنا ذلك اليوم في تبجيل وإكرام، وكلهم يتعجب من كيفية الإقدام على هذا»⁽⁴⁾. وهذا يبين أنه كان على علم بخطة فرنسا للإجهاد على حركته، مما سهل عليه تجاوز المناطق التي نزلت بها المحلات الفرنسية⁽⁵⁾.

وقد التقى في هذا اليوم ببعض قواد قبائل آيت باعمران ورعمائلها، منهم القائد أمغار سعيد بن الحسين الخمساوي، ومحمد بن القائد البشير، ومبارك الحسين بشام افضباوين وغيرهم⁽⁶⁾، الذين أخبروه عما جد على الساحة العسكرية من أحداث، كحادثة سوق الثلاثاء في بلاد الأخصاص، وما فعلته محلة فرنسا فيها: «وقصوا علي ما

(1) - الرحلة، الورقة: 7.

(2) - وهي من المسالك الطبيعية الصعبة الاختراق (انظر الخريطة في ملحق هذا البحث).

(3) - "الرحلة"، الورقة: 8.

(4) - نفس الورقة: 9.

(5) - يظهر أن القيادة الفرنسية لم تكن على علم بتخروج الشيخ مريه ربه إلا بعد وصوله مصب وادي درعة، لذا لجئها تتخذ عدة إجراءات لقطع الطريق أمامه، وذلك بقبيلة أنصاره، ومهما يكن، فإن هذا الحدث كانت له مضاعفات في غاية الأهمية، أهمها أنه كان منطلقا لاحتواء القبائل غير الخاضعة.

(6) - يبدو أن غياب الإشارة إلى قواد بعض القبائل التي مر بها قد يفسر إلى حد كبير تأرجح مواقفها بين المساندة الفعلية لحركته من جهة، واستسلامها لإغراءات الحماية من جهة ثانية. وكيفما كان الحال، فإن أغلب قواد آيت باعمران والأخصاص مازالوا متمسكين بدعمهم اللامشروط للشيخ.

فعلته محلة فرنسا في موضع سوق الثلاثاء من بلاد الأخصاص»⁽¹⁾، مما يعبر عن مناصرتهم وتأيلدهم له. وليس هذا بجديد على قبائل آيت باعمران الخاضعة لإسبانيا، التي كانت دائما تكن العداء لفرنسا، وخاضت معها صراعات ومواجهات متعددة كان آخرها كما أشرنا سابقا معركة "تيزي".

وبعد يوم كامل قضاه الشيخ مريه ربه بين هذه القبائل وقياداتها، أعلمهم أنه «قاصد الطرفاية، ففرحوا فرحا شديدا»⁽²⁾.

بعد هذا التوقف في منطقة أباينو توجه إلى هصباوة (أصبويا)⁽³⁾، حيث مكث يومين مع خليفته سيدي عثمان بن حسن⁽⁴⁾، ثم توجه عن طريق البحر إلى طرفاية. وقد وصف مختلف الأماكن والقرى التي مر بها موكبه كاساكا عند مقطع (مقطع)، مرزوقة (مرزوخة)، وفم واد إسافن، وفم الزويوي، ومقطع (مقطع) لمعيطرف، وفم سهب الحرشة، وفم الشبيكة، ووادي العقيق (العقيق)، ووادي أم فاطمة الغرد الأحمر⁽⁵⁾. ثم تزلوا قرب مدينة طرفاية في منطقة تسمى "تيدرات" في ضيافة أحد أشياخ قبيلة ازرقين، وهو "رمضان بن علوات"، حيث قضى يومه وليلته هناك⁽⁶⁾، وأرسل من يخبر أهل طرفاية بقدومه، فجاءه أخوه العلامة الشيخ محمد الأغظف بن الشيخ ماء العينين مع بعض أعيان الدولة، وأبلغه فرح الحاكم العام والدولة عموما، وهناه بقدومه وسلامته.

(1) - "الرحلة"، الورقة: 10.

(2) - يبدو أنه لم يفصل القول كثيرا في تبيان الأسباب والدوافع التي جعلته يختار طرفاية دون غيرها. إلا أنه يبدو أن الاحتماء بالمنطقة يكتسي دلالات كثيرة لعل أبرزها:

- أنها كانت تشكل القلب النابض للمنطقة (الوجود الأوربي - حصن مكنزي).
- احتضنت سنة 1895 البعثة السلطانية الرسمية التي بعثها السلطان المولى عبد العزيز لاستخلاصها من الإنجليز.
- موقعها باعتبارها نقطة اتصال بين منطقتي نفوذ فرنسا وإسبانيا.
- علاقتها المتميزة مع سكان المنطقة، فضلا عن كون الصحراء المغربية تشكل مهد أسرة أهل الشيخ ماء العينين.

(3) - انظر حول علاقته بقبيلة أصبويا:

- Bernard (M) La Zone d'Ifni. Le problème de la pacification du Sud marocain.

La Géographie 1934, p 97

(4) - كان خليفة الشيخ مريه ربه بمنطقة آيت باعمران، وقد ساهم بدور فعال في حركته الجهادية.

(5) - انظر الخريطة في ملحق هذا البحث.

(6) - وردت تفاصيل دقيقة كذلك في مذكرات الحاج عمر أصبوي الباعمراني، وكان ضمن الوفد المرافق للشيخ نحو طرفاية، مخطوط خاص.

بعد ذلك توجه إلى مدينة طرفاية التي توجد آنذاك تحت النفوذ الإسباني، فدخلها يوم الخميس 28 ذي القعدة 1353هـ بعد صلاة العصر، حيث خصص له سكانها استقبالا شعبيا كبيرا يجلب عن الوصف، وخصصت له الدولة استقبالا رسميا بقيادة الحاكم العام "خوسي غونزالو دي ليما"، يقول: «وأرسلنا من خير أهل طرفاية بنا، فلم نلبث إلا يسيرا حتى أتانا أخونا وخليفتنا الشيخ محمد الأعطف على عجل الدولة مع بعض أصحابها، وبلغوا لنا فرح حاكم الدولة بنا، وأقمنا ذلك اليوم ثمة، وبتنا، فلما قرب العصر من يوم الخميس 28 ذي القعدة 1353 توجهنا إلى الطرفاية ودخلناها بعد صلاة العصر، حيث قوبلنا بالفرح وضرب البارود على عادة الأفراح»⁽¹⁾. وكان لهذا الحدث صدى واسعا في أوساط الإسبان والفرنسيين على السواء.

وقد أقام الحاكم العام لمدينة طرفاية حفلا يتيق بمكانته الروحية والسياسية والدينية، بعد أن قدمت له تشكيلة من الحرس البلدي التحية العسكرية، ألقى فيه كلمة ترحيب تقدمه هو وموكبه، وهنأه على سلامته وعلى عيد الأضحى، وقضى له مقاماً طيباً. بعد ذلك تناول الشيخ مريه ربه الكلمة لبادل عبارات المجاملة، ثم قال: «المسلمون أحرار في بلادهم، يفعلون ما ظهر لهم في إصلاح دينهم وديارهم. كما أن الدول تفعل ما يصلح بها، وكل دولة تنظر ما يليق بها. ولم تعب دولة على دولة فعلها».

ونلاحظ من خلال هذا المقطع أن موقفه من الاستعمار لم يتغير رغم ما واجهه من محن وصعوبات، وأنه مازال ثابتاً في هذا الموقف الرافض للتصاري، فرسيين كانوا أم إسبان، كما يؤكد فيه مبدأ الحرية والاستقلالية لكل شعب من الشعوب⁽²⁾.

كما ذكر في هذه الكلمة بالنور الكبير الذي لبعه الشيخ ماء العينين في الصحراء المغربية، من خلال التأكيد على العلاقة المتميزة والروابط الأصيلة الأصيلة التي تجمعهم بالملوك العلويين، والمكانة الكبيرة التي حظي بها عندهم، حيث أسندوا له أمور المنطقة، وكان خليفته ونائبهم يستشيرونه في مختلف القضايا، يأخذون برأيه وتوجيهاته. وهذا يدل على تقديرهم لشخصه وسمعته وتاريخه ومركزه ونفوذه الديني والفكري والاجتماعي والسياسي، نظراً لما أحدثته من تغيرات محلية في عدة مجالات منها:

• بناء مدينة السمارة التي دشنت أول مشروع حضاري في المنطقة.

(1) - "الرحلة"، الورقة: 15.

(2) - قد يذكر هذا بميثاق هيئة الأمم المتحدة المتعلق بحريات الشعوب الذي ظهر معها سنة 1945هـ.

- تهيئته الزرية لإنعاش الفلاحة من خلال حفر المياه وغرس النخيل.
 - بثه الاستقرار في النفوس الساكنة بالمنطقة من خلال توحيد القبائل الصحراوية.
 - تعاونه مع المخزن في محاربة المستعمر الأجنبي الفرنسي والإسباني.
- ونشير إلى أن تذكيره بهذا الماضي يبين العلاقة الحميمة مع هذه المنطقة بصفة عامة، وبأنه ليس غريبا عنها، ومن ثم فإن عودته إليها تشكل عودة إلى منبعه وموطنه الأصلي وهو الصحراء المغربية، يقول:

«إن أبانا الشيخ ماء العينين قدم على هذه البلاد منذ قرن في عهد السلطان مولاي عبد الرحمن، والتقى معه ومع أبنائه من بعده كسيدي محمد ومولاي الحسن ومولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ، وعرفوا له حقه وحرمة وقدره ورفعة رتبته... وكانوا يستضيئون برأيه، وفعلوا معه من التبحيل والتعظيم والإكرام ما يعلمه الخاص والعام، حتى إنه لم توجد مدينة من شتجيط إلى وادي نون إلى الصويرة إلى مراكش إلى فاس إلا وله فيها الأملاك والأينية المعترية.

ومولاي الحسن أسند له النظر في بلاد الساقية ونواحيها وجميع الثغور من الداخلة إلى إغبيدي بكل ما يلزمه في ذلك ويصلحه، وكان مولاي الحسن رحمه الله لا يعمل في هذه المواضع إلا بمشورته، من تولية وعزل وغير ذلك، فاستقر والدنا وشيخنا على ذلك، وأحيا تلك البلاد التي كانت مواتا، وبني فيها، وحفر المياه.

ثم لما تولى مولاي عبد العزيز، أكد ما كان قبله من أمور والدنا، وزاد ذلك أضعافا مضاعفة، وعمر ثغر الطرفاية، وجعل أمرها في يد والدنا، فكانت ترد لها الفلن لتلك الشؤون، إلى أن أرسل ابن عمه مولاي إدريس أوان دخول فرنسا للبلاد الصحراوية: بأن يقابلهم ويكونوا عمدة في تلك الجهة لتنظيم الجهات، يدافعون فرنسا عن بلادهم، والسلطان مولاي عبد العزيز إذ ذاك بفاس. فتوجه من عنده مولاي إدريس المذكور، وركب من الصويرة في البحر إلى أن وصل الطرفاية، وأتانا بدارنا في السمارة، وعنده كتب لوالدنا بأنه يوجه معه بعض أبنائه، فوجه معه الشيخ حسن المتوفي في فاس وابنه الشيخ الولي، ولبث الجميع يجاهد ما شاء الله»⁽¹⁾.

لكن التساؤل الذي يطرح في الأخير هو: لماذا قبل الشيخ مرييه ربه الاحتماء بالإسبان في طرفاية في الوقت الذي كان يدعو فيه إلى مقاطعة الأجانب؟
أكيد أن رفضه لفكرة الاتصال بالأجانب لم يمنعه من الدخول من حين لآخر في

(1) - "الرحلة"، الورقة: 20.

مفاوضات غير رسمية مع الفرنسيين والإسبان على السواء، إلا أن هذا لم يغير شيئاً من عزمه الأكيد على مواجهة الاحتلال، إلى جانب إيمانه بالتباين في الوسائل والأهداف بين الاستعماريين⁽¹⁾.

لذا تراه من جديد يواصل جهاده في مجال السياسة والعلم والتأليف ومناظرة العلماء، وهذه الروح العلمية جعلته يحرص على ربط علاقات متميزة مع فعاليات محلية ووطنية وعربية⁽²⁾.

(1) - لم تغفل فرنسا هذا الفجوة، فأبرمت بعد شهور من وصوله اتفاقاً مع إسبانيا من أجل تسليمه هو وعائلته، وبعثت بسفينة إلى شاطئ طرفاية من أجل نقله، إلا أن السفينة أصيبت بعطب لم تستطع معه الحركة وبقيت هناك، وبذلك فشلت المؤامرة المديرة. وكان الشيخ مرييه ربه قد علم بهذا التآمر قبل حيا السفينة فقال:

إننا لقيى حماية السلام * وهو اندي يحسى على السلام
ولا نبدل حماينة السلام * حمسى ونحس في حمى السلام
وبعد وقوع الحادث وفشل الخطة قال قصيدة طويلة تختار منها ما يعبر عن هذا الحدث، يقول:

قد لجأنا لربنا وكفانا * غدر قنوم ولا يزال المعين
قد لجأنا لربنا وكفانا * ظلم ليل سفينة وشؤون
أيها اللطيفى لربك أشكر * بالمرحى ولو رميتك الظفوس
حييتك الله نرى لا تخف من * حادث إنه القسوى الأمين
يرسل الحمر يمسك الشر عمن * ليس بأويعه غيره ويصون

(2) - انظر مقالنا في صحيفة العلم، مصادر سابق.
انظر: ماء العينين النعمة علي: "الشيخ مرييه ربه: الوطني الوجداني زعيم الجهاد والمقاومة في الجنوب المغربي"، صحيفة أنوال، العدد 1332 - 11 ماي 1994.
وانظر كذلك كتاب "العقد الثمين في المفيد من السجالات لشعري والفتري الرصين" للشيخ مرييه ربه، ورقة: 95، مخطوط خاص.

ملحق
الخرائط والوثائق

الحمد لله وحده

والصلى الله على من لا ينس بغيره

وبعد السلام ثم أسنى والتعبات العباد كان الجسماني إلى
الجماعة الركنية الذكورية الرضوية الرضوية جماعة
تسببنا الله ورعاكم ولا خيب مسعاكم فموجبه التكملة اعلم
اننا قد اختلفناكم على غيركم لا خيبناكم الا بالمعنى واحده والناس تلك الدار
التي يركبكم انكم فلكه تفتنموها بالعباد والتوفير والاحتزام والارباب
يعود عليكم بمشوقين في الدنيا والآخرة والاملاذ المعجزة كثير وكل
بلد بين اهلها انتم في زاوية لنا فيه واقاموا لكم فلو اهدى لنا كذا
لم نقبل منه فكم ولا ينكم لنار ما ملكت وما غيبه الا لكم والله لا يرفنا
لمح محبتنا والله يعفونا وياكم ويعفينا عليكم من انقضاء ملة
ينكم بقلب بشر بالتمام والسلا 282 من شعبان عام 1333

محمدا وخصلا
وغيره ونحوه
طهرا وخصلا
وغيره ونحوه

احمد القريب بر شفيعة الشيخ مالا يعين
كان الله له في جميع المسلمين امين

رسالة من الشيخ أحمد الطيبة إلى أهل تزنيث (نسخة خاصة)

وصلی اللہ علیہ و آلہ و سلم

[illegible]

احمد العلي بن شيخ الشيخ ماء العيني
كان الله له في حياضه و امير

رسالة من الشيخ أحمد الهبة إلى الشريف السيد محمد بن هاشم (نسخة خاصة)

الشيخ

والله اعلم بالصواب

[illegible]

رسالة من الشيخ مربيه ربه إلى الفقيه السيد عمر يزوية السيد يعقوب (قبيلة إيلان)
(نسخة خاصة)

الحمد لله وحده وصلى الله على من أنبى به



ألم صبيي قبيلة أهل أمان رعاكم الله عليكم السلام
بما تعلق ورحمة الله تعالى وبركاته فهو جنة اليكم
أعلاءكم أنظاركم بالحق صبيي خليفتنا المسيح
الجبية المختار وها هي الحركات فلهذا نحن نور الله وقرنه
ولا تشاؤوا وتكونوا من الأملاء بغير لنهكم بغير الله كما هي
علاكم بالتمتع والسلام في هذا مني القبول ٣٤٤

رسالة من الشيخ مرييه ربه إلى قبيلة آملين (نسخة خاصة)

[illegible]

رسالة من الشيخ مريه ربه إلى قبائل "أيت عثمان" (نسخة خاصة)

(5)

تخاران کونڈ میں شہزادہ فتح محمد جلوس فتح نامہ یاد کرواوا موافق ۱۲۶۲ ہجری میں حضرت کریم علیہ السلام

الحمد لله وحده
و على الله نكل سميعنا مجيبه والله وسع

حقاً صاحب الفضيلة الشيخ الجليل السجود إليه و إليه المرجع

الحمد لله على ما عرفت من صحة ما قلناه من أن

[illegible]

المجلد ١ من الرسائل في علم الفقه - ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ - ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩ - ٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٣٩٩ - ٤٠٠ - ٤٠١ - ٤٠٢ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤١٠ - ٤١١ - ٤١٢ - ٤١٣ - ٤١٤ - ٤١٥ - ٤١٦ - ٤١٧ - ٤١٨ - ٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٢١ - ٤٢٢ - ٤٢٣ - ٤٢٤ - ٤٢٥ - ٤٢٦ - ٤٢٧ - ٤٢٨ - ٤٢٩ - ٤٣٠ - ٤٣١ - ٤٣٢ - ٤٣٣ - ٤٣٤ - ٤٣٥ - ٤٣٦ - ٤٣٧ - ٤٣٨ - ٤٣٩ - ٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٢ - ٤٤٣ - ٤٤٤ - ٤٤٥ - ٤٤٦ - ٤٤٧ - ٤٤٨ - ٤٤٩ - ٤٥٠ - ٤٥١ - ٤٥٢ - ٤٥٣ - ٤٥٤ - ٤٥٥ - ٤٥٦ - ٤٥٧ - ٤٥٨ - ٤٥٩ - ٤٦٠ - ٤٦١ - ٤٦٢ - ٤٦٣ - ٤٦٤ - ٤٦٥ - ٤٦٦ - ٤٦٧ - ٤٦٨ - ٤٦٩ - ٤٧٠ - ٤٧١ - ٤٧٢ - ٤٧٣ - ٤٧٤ - ٤٧٥ - ٤٧٦ - ٤٧٧ - ٤٧٨ - ٤٧٩ - ٤٨٠ - ٤٨١ - ٤٨٢ - ٤٨٣ - ٤٨٤ - ٤٨٥ - ٤٨٦ - ٤٨٧ - ٤٨٨ - ٤٨٩ - ٤٩٠ - ٤٩١ - ٤٩٢ - ٤٩٣ - ٤٩٤ - ٤٩٥ - ٤٩٦ - ٤٩٧ - ٤٩٨ - ٤٩٩ - ٥٠٠ - ٥٠١ - ٥٠٢ - ٥٠٣ - ٥٠٤ - ٥٠٥ - ٥٠٦ - ٥٠٧ - ٥٠٨ - ٥٠٩ - ٥١٠ - ٥١١ - ٥١٢ - ٥١٣ - ٥١٤ - ٥١٥ - ٥١٦ - ٥١٧ - ٥١٨ - ٥١٩ - ٥٢٠ - ٥٢١ - ٥٢٢ - ٥٢٣ - ٥٢٤ - ٥٢٥ - ٥٢٦ - ٥٢٧ - ٥٢٨ - ٥٢٩ - ٥٣٠ - ٥٣١ - ٥٣٢ - ٥٣٣ - ٥٣٤ - ٥٣٥ - ٥٣٦ - ٥٣٧ -

[illegible]

ما تفتقر اليه من اموال فيقول له يا رب اني قد استعنت بك في كل شيء فاجاب الرب وقال له لا تخف لانني معك وانا
معه في كل وقت وانا معه في كل مكان

وَقَدْ بَدَأَ بِهَا مِنْهُ الْفَتَى

سيرت ابا ابراهيم واما مشيه من قبله اقول كما ابراهيم في الكون

مستقيماً مستطراً بالحق والبيان في وضوءه وأمرنا بما لم يجمع

وَمِنْ مَجْمُوعَةِ الْكُتُبِ الْمَرْكُوبَةِ مَوْضِعَاتُ مَكْتَبَاتِ الْجُمْهُورِيَةِ لِيَسْتَعْمِدَ

القطبية من هذا النقص وانما من جهة ان حبل سر سكر غير ملح القلبيية وحرارته على سطحه
يكو تباين من جهة حصول التخللات الناعمة العام من كونه نوا من جهة ان فيه من هذا النقص

المقدّمات الخمسة التي جعلت للملك (السلطان) سلطاناً على جميع الناس
 (المسوقين من جميع الناس) في جميع أنحاء البلاد

المبرور جزا الم (سدر حبس) الجزا

وَبُغِلُوا بِغَيْبِ مَا يُعْطَىٰ لَهُمْ

اسرار

محمد بن عبد الله بن محمد

-83-

التمازج الاجتماعي والثقافي بين سوس والصحرَاء المغربية

شبيبة ماء العينين (*)

بسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.
في البدء أريد أن أوجه الشكر إلى كل من ساهم في تنظيم هذا اليوم الدراسي
الثقافي الفكري، وأخص بالذكر:

- المجلس البلدي لمدينة تزنيت.
- مؤسسة الشيخ مريد ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي.
- السلطات المحلية.
- كنية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير.
- وجميع الأساتذة المشاركين.

إن هذا اليوم مظهر من مظاهر التمازج الثقافي والفكري ما بين الصحراء المغربية
وسوس العالمة، والذي يصعب حصره في زاوية ووقت محدد؛ لأنه متعدد الأبعاد
والأهداف، فهو تمازج ثقافي وروحي، وسياسي وجهادي، واقتصادي وتجاري، من هنا
يصعب أن يفصل الإنسان بين ما هو سوسي وصحرأوي في إطار العمل الوطني بشكل
عام، بحكم التقارب والجوار.

وقد بلغ هذا التمازج ذروته عندما انحلت الجو بالمغرب في أصعب المراحل؛ لأن
خلفية مواجهة المد الاستعماري كانت من سوس، فقبل الحماية تصدت قبائل سوس
للباغرة الألمانية وللمحاولات الإسبانية في الجنوب، وهذا التحرك كان له بعد جهادي
وسياسي وعلمي وديني.

لذلك أقول: إن تاريخ هذه المنطقة لا زال لم يكتب بالطريقة التي ينبغي له أن
يكتب بها، لكون أول منطقة انطلقت منها الرصاصة الأولى لمواجهة المستعمر هي
سوس. وتزنيت التي توجد بها اليوم تعتبر ممرا ضروريا وحتميا لكل من يريد أن يدرس
المقاومة المغربية وتصدي العرش والشعب المغربي للمستعمر الأجنبي.

(*) - محام - الرباط.

تزيت والقبائل السوسية بصفة عامة هي أول من حمل السلاح، ثم هي آخر من وضع السلاح أيضا، وما يؤكد ذلك هو أن معركة بوغافر كانت سنة 1932، وبلقاسم النمطادي التحق بسوس بعد نهاية مقاومته سنة 1932، وحركة موحا أوحمو الزياتي انتهت سنة 1919، وعبد الكريم الخطابي سنة 1926. في حين ظلت المقاومة هنا في سوس متواصلة حتى شهر مارس 1934.

إلا أن ما يميز حركة المقاومة داخل المغرب بصفة عامة هو كونها حركة جهادية صرفة في مواجهة الاستعمار، أما في سوس والصحراء فنجدها حركة جهادية مسلحة، وحركة علمية أيضا. فقد كانت هناك مدارس علمية متعددة تخرج منها علماء كبار، كما كانت حركة روحية؛ لأن الطابع الديني والروحي كان مهيمنا على المنطقة بصفة عامة، باعتباره يعكس الشعور الوطني الحاد في هذه الجهة الجنوبية من وطننا.

هذا التمازج الذي ظهر به الشعب المغربي في الصحراء والشعب المغربي في الشمال، ممثلا في قبائل سوس، أثمر لنا منحة نضالية خاضها الشعب المغربي في وجه المد الاستعماري وفي وجه تمزيقه إنسانا وفكرا.

بالإضافة إلى هذه المدرسة الجهادية والفكرية والدينية، هناك كذلك مدرسة اجتماعية حصل فيها تمازج كامل من المفكر إلى المجاهد إلى المطرب إلى رجل الشارع العادي.. فكل من كان في كردوس من قبائل الصحراء تعلموا اللغة الأمازيغية، وقد كان عند جدتي دفاتر يكتب فيها النساء هذه اللغة، ويذكر لنا أن الرئيس الحاج بلعيد كان يغني بالشعر العربي القصيص، ومن جملة البيت المشهور لثمتي:

ومن يجعل الضرغام بابا لصيده * تصيده الضرغام فيما تصيدا

يضاف إلى هذا أن بعض أبناء الصحراء أدخل اللغة الأمازيغية إلى الشعر الحساني، فنظموا قصائد تتضمن أبياتا بالحسانية والأمازيغية، وهذا يبين أن التمازج الفكري والحضاري والثقافي وقع على جميع المستويات، ويعطينا الدلالة على أن هذه النهضة الحضارية والجهادية التي عرفتها منطقة سوس كانت لها جذور في نفوس كل المواطنين وظلت مستمرة إلى اليوم.

وإذا كان العديد من رجالات الصحراء قد جاهدوا وحملوا السلاح في سوس، فإننا نجد في بداية المقاومة وجيش التحرير رجالا من سوس ذهبوا إلى الصحراء لقيادة جيش التحرير وحمل السلاح في مواجهة المد الاستعماري. وهذا التلاحق والتمازج في إطار العمل السياسي والفكري ظل مستمرا دون انقطاع.

وإذا وصلنا إلى سنوات الستينيات نجد الكثير من المهاجرين من الأقاليم الجنوبية (الساقية الحمراء ووادي الذهب) في منطقة سوس، في تزنيت أكادير إفني إفران بوزكارن الأشخاص تافراوت شتوكة ماسة. وهذا كله يعكس واجهة من تلاحم الشعب المغربي الموحد من طنجة إلى الحويرة.

أما التمازج على المستوى الاقتصادي، فنحن نعرف أن الصحراء ضعيفة من هذه الناحية، والتجار الأساسيون الذين قاموا بدور كبير في ازدهارها كانوا من منطقة سوس، سواء أيام الاستعمار أو في ظل الاستقلال، وهذا معناه أن هذا التمازج السياسي والاقتصادي والبشري ظل مستمرا ومتواصلا بشكل يصعد المستعمر من جهة، وبشكل ينسي العطاء الفكري والثقافي والاقتصادي لبناء الوطن من جهة أخرى.

وقد شيد هذا بفضل رجالات جديرين بالتقدير والإكبار وجديرين بانقاذهم قدوة للشباب الصاعد والجيل الواعد حتى يتزعموا خطاهم، ويعرفوا تاريخ بلادهم، ويطلعوا على الدور الذي لعبه رجال هذا الوطن، هذا الدور الذي لازال لم يتناول بالشكل الكافي من الدارسين والباحثين.

وهنا لابد أن نذكر بالجهد الهام الذي قام به المختار السوسي في جمع الكثير من تاريخ هذه المنطقة، بالرغم مما قد يقال عن بعض الروايات، ولكنه جمع لنا حصيلة أساسية، ورصيدا مهما لكل الباحثين ثم أن يرجعوا إليه وينقحوه ويحللوه. ولكنه حفظه من الضياع، وضمن لنا معه عدم ضياع الرواية الشفوية بشكل حافظ به على اسم منطقة سوس والصحراء. إنه رصيد ثقافي فكري، علينا جميعا أن نرويه ونسطره، وننهل من معينه، لنعرف المراحل التي مرت بها بلادنا على مختلف الملاحم.

وفي الوقت نفسه، لا يمكن أن تكون تظاهرة من هذا النوع دون أن نذكر الجهود الهام الذي تقوم به كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، وكذلك الدكتور عباس الجراري الذي يرجع له الفضل في توجيه الباحثين والدارسين والطلبة -ومعنا العديد من طلبته- إلى دراسة أدب الجنسوب بصفة عامة، والأدب السوسي والصحراوي بصفة خاصة، بشكل قريب من الأذهان، وبعثه من مرقده، ونفض الغبار عنه، بعد أن كادت يد البلى أن تعصف به.

لذا، على الجيل الحاضر أن يرجع إلى هذه المرحلة ليعث تلك الصفحات المشرقة من تاريخ بلادنا، التي تعكس مدى تمازج الشعب المغربي واتحاده جهاديا وسياسيا واقتصاديا وروحيا وثقافيا، بشكل يحصنه من الدعايات المغرضة التي أصبحت للأسف تنخر جسم وطننا الموحد.

إن مثل هذه التظاهرات الثقافية والفكرية من مثل هذا اليوم تشكل لبنة من اللبنة الأساسية التي تبنىها الطبقة المثقفة في بناء فكر الأجيال الصاعدة، وتحسين مستقبلها من الاجتثاث واليتر عن ماضيه.

وبالمناسبة، لابد من التذكير بأن هذا التوجه هو الذي ركز عليه جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله عندما طرح مسألة الجهوية، وأكد على أهمية التراث الجهوي والإقليمي والمحلي، وضرورة بعثه والاتفات إليه. لذلك نحن مطالبون بالبحث عن قيمنا لإحيائها في عهد العولمة والغزو الثقافي والحضاري الذي بدأ يدخل بيوتنا وكياننا، ويحاول أن يبعدنا عن مصالحنا وقيمتنا.

فلنتحصن جميعا بالرجوع إلى قيمنا وما تركه الإسلام لنا من مفكرين ومجاهدين وعلماء وأولياء وصالحاء، الذين كانوا فعلا الحصن الذي حصّن الإسلام في هذه الربوع التي تعرضت للغزو الأجنبي: البرتغالي، الإسباني، والإنجليزي، والفرنسي، ومع ذلك ظلت وظل المغرب محصنا بفضل رجالاته الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا.

وأؤكد من جديد على أن هذه التظاهرات تعتبر ضربة لخصوم وحدتنا الترابية الذين يحاولون أن يفصلوا ماضي الصحراء وماضي رجالاتها وسكانها عن ماضي وتاريخ الشعب المغربي من طنجة إلى الصويرة، فتنظيم أيام دراسية من هذا النوع، وعمل ثقافي أو سياسي له أكثر من بعد يتجاوز بعده الثقافي والجهوي إلى بعده الوطني والقومي والروحي، ويثبت أن الشعب المغربي موحد في ظل الدولة العلوية الشريفة، من طنجة إلى الصويرة، قام بمعارك هنا في تزنييت وأكادير وإفني وفي جميع الجهات الأخرى، كما تصدى للاستعمار في موقعة إسلي وموقعة تطوان...

وظلت معارك المغرب مستمرة، شارك فيها أبناء الصحراء، كما شارك فيها أبناء سوس، وأبناء الشمال، وأبناء الأطلس؛ فتاريخنا ملحمة مستمرة، وسنظل في خندق الكرامة واقفين ثابتين، ومدافعين عن وحدتنا الترابية وعن ديننا وحضارتنا وقيمنا، مخلصين لما ورثناه من أجدادنا، حتى نقتل جميعا مواطنين أحرارا في وطن حر هو المغرب الموحد من طنجة إلى الصويرة.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

سبيل الاقتناع بوجوب الوحدة والإجماع
قراءة في كتاب الشيخ ماء العينين: "دليل الرفاق على شمس الاتفاق"

محمد عيناقي (*)

السيد رئيس المجلس البلدي المحترم.

السيد رئيس مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي المحترم.

أسرة الفقيد عني بن الشيخ مربيه ربه المشمول برحمة الله.

السادة آل ماء العينين الشرفاء.

الحضور الكريم.

يسعدني غاية السعادة أن أشارك في هذا الملتقى الثقافي الذي تنظمه مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، بتعاون مع المجلس البلدي لمدينة تزنيت، تكرّما للفقيد الأديب والمقاوم ماء العينين علي مربيه ربه، وعرفانا بدوره العنمي والجهادي في سبيل وحدة الوطن... وهي مناسبة غالية لصلة الرحم بين أبناء هذه المنطقة الجنوبية من جهة، وإخوانهم في باقي جهات المملكة المغربية من جهة ثانية، وهي سنة حميدة دأب عليها الآباء والأجداد، وسوف نحرص على التمسك بها إن شاء الله تعالى إلى ما شاء عز وجل.

وأود في هذا السياق التذكير باللقاءات التي كانت تتم -خلال مختلف حقب تاريخ هذا الوطن- بين علماء وأعيان المراكز الثقافية الجنوبية وإخوانهم في مختلف المراكز العلمية بشمال المملكة، بدءا من سوس حتى أقصى الشمال، مروراً بالصويرة ومراكش والرباط وسلا وفاس وتطوان وغيرها... كما أذكر في السياق ذاته بالمراسلات العلمية والأدبية والفقهية والإخوانية التي كان يتبادلها هؤلاء وأولئك.

إن مثل هذه اللقاءات -إضافة إلى ما سبق- تعد حلقة من حلقات عمل وطني واع وصادق يتغنى استكمال تحقيق الوحدة الثقافية بين مختلف جهات المملكة، خاصة بين شمالها وجنوبها، بعد أن تحققت الوحدة الزاوية.

(*) - أستاذ باحث - أسفي.

في هذا الإطار سأدلي بمساهمة متواضعة سميتها: "سبيل الاقتناع، بوجوب الوحدة والإجماع"، وهي عبارة عن قراءة تفصيلية وتركيبية لعنوان ومقدمة كتاب قيم في الفقه، ألا وهو: "دليل الرفاق، على شمس الاتفاق"، للشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين الذي يتصل نسبه الشريف بإدريس الأكبر، ثم بعبد الله الكامل، فالحسن المشي، فالحسن السبط بن علي وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والشيخ ماء العينين «من كبار الشيوخ البارزين الذين عرفتهم الصحراء المغربية في أواسط القرن الثالث عشر الهجري، وسارت بذكره الركبان في كل مكان حله أو نزل به في طول البلاد وعرضها، فطبقت شهرته الآفاق: وسمع بذكره الداني والقاضي، والحاضر والبادي على السواء، فتألق اسمه في سماء العلم والمعرفة بين الناس، كشيخ وعالم وفقه ومحدث وأديب ومتصوف وقائد في ميدان الحرب ومجاهد على رأس المجاهدين في ساحة الوغى والقتال، ورائد إسلامي لا يشق له غبار في حلقات العلم والمعرفة وفوق منابر الخطابة والتوجيه والإفتاء وفي حلقات الوعظ والإرشاد والتربية، وصاحب كرامات ظاهرة... يضاف إليها ما عرف عنه وبه عند الناس من فضل وكرم وسمو أخلاق وسخاء وبذل وعطاء... الخ»⁽¹⁾.

ولد الشيخ ماء العينين في أقاصي بلاد الجنوب المغربي بعاصمة الخوض من أبوين عظيمين في الحسب والنسب... ونشأ في أحضانهما فتعلم من العلم ما تعلم، وتثقف وتلمذ على والده الشيخ محمد فاضل، وانقطع إليه انقطاعاً كلياً، فأمضى الشطر الأول من حياته في الأخذ والتلقي بين أهله، وأمضى الشطر الثاني في النظر والمطالعة لمختلف الكتب، مع التدريس والتأليف، إلى أن توفي -رحمه الله- بعد عمر مديد ليلة الثلاثاء 21 شوال الأبرك من سنة 1328هـ في الجنوب المغربي بمدينة ترنيت، بعدما صلى المغربيين مع الناس، ولم يكن يشكو الماء، أو حل به مرض قبل الوفاة.

رحم الله الشيخ، وسقى قبره بهطل رحماته... لقد كان عصامياً، نابغاً في كل فن من فنون العلم التي التفت إليها.. يدل على ذلك ما خلفه -رحمه الله- من كتب أغنت الخزانة الإسلامية يصعب حصرها ويطول تعدادها، ويعتبر كتابه "دليل الرفاق على شمس الاتفاق" أهم كتب الشيخ في باب الفقه والأصول..

(1) - "دليل الرفاق على شمس الاتفاق"، تحقيق: أحمد بطن البلعمشي: 1/ص (ج).

فالدليل في الاستعمال اللغوي هو الهادي والموجه والمرشد الذي تحصل باعتماده المعرفة بالمقصود، وبواسطته يتجنب الضلال واليه والزيغ والزلل⁽¹⁾... وما إلى ذلك. فمعاني اللفظة -وهي الأولى في صيغة العنوان- يطغى عليها المنحى التوجيهي، وهذا شيء طبيعي لأعتبارين:

الأول: لأن المصنف في الفقه يوضح الحلال والحرام، والمباح والمكروه، والجائز والمستحب، وما إليها من أحكام شرعية، وهي كلها أمور تهتم المعاملات.

والثاني: لأن المصنف يندرج في إطار المشروع الإصلاحية العام للشيخ ماء العينين الذي يتغىي تجديد الوضع الديني في الساقية الحمراء ووادي الذهب، وبسبب الإشعاع الإسلامي بين ربوعها، «فلما أقام بها الشيخ ماء العينين وجد الدين غريباً، والحق نكرة لا تعرف، والسنة مهجورة، وأركانها مهیضة مكسورة، قد خفيت آثارها، وخبث أنوارها، فالفرض فيها مرفوض، وعهد الله على عباده منقوض، والندب فيها غير مندوب إليه، والباطل موثوب عليه، والصلاة فيها ضائعة، والبدع فاشية شاسعة، والهو متبوع، وذكر الله غير مسموع، فتدارك شيخنا (رضي الله عنه) الدين الغريب، وأحى السنة فيها، وأقام أركانها وقواعد مبادئها، وأوضح طامس آثارها، واقتدح زناد أنوارها»⁽²⁾.

إن مشروعاً كهذا لا يستطيع شخص بمفرده أن يقوم به، بل لابد في البداية من تكوين خلية من الرجال وجعلها نواة يمكن الانتطلاق منها والاعتماد عليها في تقوية وتعميق امتدادات حركة هذا المشروع وتوجهاته... وهنا أصل إلى المفردة الثانية في صيغة هذا العنوان، ألا وهي: "الرفاق".

والرفيق في اللغة: الصاحب في السفر خاصة، والرفقة يسمون كذلك ماداموا منضمين في مجلس واحد ومسير واحد، فإن تفرقوا ذهب عنهم اسم الرفقة، والرفقة: القوم ينهضون في سفر يسرون معا وينزلون معا ولا يفترقون⁽³⁾.

هذه الدلالات التي تجعل بها المفردة لا يمكن فهمها بمعزل عن السياق العام وعن التوجهات الأساس لدعوة الشيخ ماء العينين الإصلاحية، فقد أسس -رحمه الله- زاويته في الصحراء للمواخاة بين القبائل وبين الأفراد دون أن يعتمد على «عصبية قبلية أو سند

(1) - "لسان العرب"، دار صادر، مادة: دليل.

(2) - "سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان"، ماء العينين بن العتيق، الورقة: 94.

(3) - "لسان العرب"، مادة: رفق.

اجتماعي خاص، بل اتخذ من كل القبائل سنداً لزاويته دون مراعاة لأي اعتبار سلالي أو عرقي، هدفه في ذلك خلق نوع من التآخي والتآلف بين الجميع»⁽¹⁾.

فانضم إليها جم غفير من أهالي الصحراء لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل، ولا أبالغ إذا قلت: إن أغلب أهل الصحراء كانوا من مريدي الزاوية المعينية، منهم طامع إلى علم الشيخ، ومنهم طامع إلى عطائه.. وقد تتلمذ على يديه - رحمه الله - جم غفير من فطاحل الصوفية في الجنوب وطلاب العلم والمعرفة والمريدين الذين يعدون بعشرات الآلاف، وتخرج على يده من كلا الصنفين عدد كبير من أكابر العلماء في الشريعة والحقيقة، فكانت حلقات الدرس والتربية والوعظ عنده عامرة طوال السنة، تؤمها جموع الوافدين من مختلف طلاب العلم الآتين إليها من كل حذب وصوب عبر مسالك الصحراء الوعرة..

كما كانت تغشى تلك الحلقات أيضاً الألوف المؤلفة من المريدين العاكفين على حلقات الذكر التي يملأ صداها الخافقين.. لاكتفاً هذه الحلقات بالمريدين والعلاليين المقيمين عند الشيخ والنازلين في ضيافته، فهو يقوم بشؤونهم جميعاً من مأكّل ومشرب وملبس ومسكن وتربية وتعلم، لا فرق عنده في ذلك بين هؤلاء المقيمين دوماً وبين أولئك الذين يقومون زمناً، ثم يرحلون.. وبين خاص وعام من كل الذين سالت بهم إليه تلك الأباطح الصحراوية»⁽²⁾.

لقد استطاع الشيخ ماء العينين - طيب الله ثراه - أن يجعل من هؤلاء جميعهم رفاقاً بكل ما تحمله الكلمة من معنى ومعنى، وقد تأتى له ذلك:

أولاً: عن طريق إقناعهم واقتناعهم بوحدة المصير الذي تؤول إليه جميع المخلوقات، ذلك أن الإنسان فرق هذه البسيطة مسافر - لا محالة - نحو دار البقاء والخلود في رحلة قد تطول وقد تقصر.

ثانياً: عن طريق إقناعهم واقتناعهم بوجوب ملازمته باعتباره شيخاً، في الحل والترحال، وذلك راجع إلى طبيعة الحياة في الصحراء من جهة، وراجع من جهة أخرى إلى ما تستوجبه ظروف الدعوة من انتقال إلى الأهالي والإقامة بينهم لمدة من الزمن...

ثالثاً: عن طريق إقناعهم واقتناعهم بضرورة الاستمرار في تقوية الصف ونبذ

(1) - "الحياة الأدبية في الزاوية المعينية"، رسالة دبلوم الدراسات العليا، لحمد القطريف، كلية الآداب الرباط، ص: 70-71.

(2) - المرجع السابق، وكذا: "ذليل الرفاق"، ص: ح وما بعدها.

الشقاق والتأخي والتكتل والتوحيد..

فالكتاب، إذاً، هو دليل للرفاق على "شمس الاتفاق" و"شمس الاتفاق" هو عنوان المنظومة التي يتولى الشيخ شرحها في مصنفه هذا، وتلك العبارة مركب إضافي من لفظتين: الشمس والاتفاق.

فأما الشمس فهي ذلك الكوكب المعروف الذي هو أوضح من أن يستدل عليه بدليل، كما أن لفظة الشمس تفيد في اللغة⁽¹⁾ مجموعة من المعاني، فهي ضرب من القلائد، أو ضرب من الحلبي، كما تعني كذلك معلاق القلادة في العنق.

ويستفاد من هذه الدلالات جميعها اشتراكها في الأصالة على النور الساطع، والوضوح القوي، والجمال الأخاذ، والمكانة العظيمة، والدرجة العالية، والمنزلة الرفيعة... وأما لفظة الاتفاق فتفيد في استعمالها اللغوي⁽²⁾ الملازمة والموافقة والالتحام والوحدة، ففي "اللسان": أوفق القوم الرجل: دنوا منه، واجتمعت كمنتمهم عليه.

والمركب الإضافي يحيل على مجموعة من المعاني الاستعارية الرمزية والإشارية القرية والعبدة.

فمن معاني القرية الإشارة إلى ما اتفق عليه العلماء الأصوليون الأجلاء الثلاثة:

- ابن رشد الحميد صاحب "بداية المجتهد ونهاية المقتصد".

- والإمام النصفدي صاحب "رحمة الأمة".

- والإمام الشعراي صاحب "الميزان الكبرى".

فهذه الكتب القيمة الثلاثة - مع بعض الكتب الأخرى - هي التي اعتمدها المؤلف

- رحمه الله - أساساً لصياغة منظومته "شمس الاتفاق"، وقد صرح بذلك في خطبة الكتاب.

ولكن بالنسبة لنا باعتبارنا باحثين، لا نقنع بالوقوف على الأمور الظاهرة فقط،

بل نحاول - قدر الإمكان ودون تعسف - الغوص بعيداً بحثاً عن الثوابت التي تحكم في

استحضار صيغة معينة لقول دون سواها، وتستدعي تركيباً لفظياً معيناً دون غيره.

وفي هذا الإطار بدا لنا أن لفظة الاتفاق هي الكلمة المحورية التي تدور في فلكها

سائر مفردات العنوان موضوع المقاربة، فالاتفاق هو المحجة البيضاء، وهو نهج السلف

الصالح التي لا يزيف عنها إلا هالك.

(1) - "اللسان العرب"، مادة: شمس.

(2) - "اللسان العرب"، مادة: وفق.

والاتفاق نوعان:

الأول: جزئي، وهو ما تواضع عليه عدد قليل من الناس مع احتفاظهم بحق نقضه وإلغائه دون أن يترتب على ذلك ضرر مادي أو معنوي فادح، خاصة إذا كان محكوماً بظروف زمانية معينة.

وأما النوع الثاني فهو اتفاق شمولي يلزم الجماعة من الناس مهما قل عددها أو كثر، فلا ينبغي لأحد الخروج عليه أو تجاوزه، وهو الذي اصطلاح عليه أئمة الأمة بالإجماع، وقد عرفه أبو محمد بن حزم بقوله: «ما يثقن أنه لا خلاف فيه بين أحد من علماء الإسلام، ونعني بقولنا العلماء من حفظ عنه الفتيا من الصحابة والتابعين وتابعيهم من علماء الأمصار وأئمة الحديث، ومن تبعهم رضي الله عنهم أجمعين»⁽¹⁾.

وعرفه السبكي بقوله: «هو اتفاق أهل الحل والعقد، أي المجتهدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أمر من الأمور»⁽²⁾.

ويقول أبو العباس بن تيمية: «والتحقيق أن الإجماع المعلوم يكفر مخالفه، كما يكفر مخالف النص بتركه؛ لكن هذا لا يكون إلا فيما علم بثبوت النص به... فالإجماع مع النص دليلان كالكتاب والسنة»⁽³⁾.

وإذا كان الإجماع بهذا الموقع العظيم في الدين اعتقاداً أو عملاً، فإن علماء الأصول قد أفاضوا في مباحثه والتدليل على حجته، وجعلوا مخالفته متبعاً غير سبيل المؤمنين استناداً إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ، وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾⁽⁴⁾.

وسبيل المؤمنين هو الاتحاد والوحدة والاتفاق والإجماع، ففي إطار هذه الرؤية، وفي إطار هذا التوجه يمكن فهم المرامي والطموحات الوحدوية المعنية لافادفة إلى بناء مجتمع إسلامي سني قوي يستطيع مواجهة التحديات الأجنبية، ويعيد أجماع الأمة الإسلامية في عهد صفائها، وقد تجلّت هذه الطموحات المعنية على صعيد الفكر، كما تجلّت على صعيد الممارسة الحياتية اليومية بشتى مناحيها.

فعلى صعيد الفكر أبرز الشيخ ماء العينين في كتابه هذا "دليل الرفاق"، كما في

(1) - "الإحكام في أصول الأحكام"، أبو محمد بن حزم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الأفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية 1983: 121/5.

(2) - "الابتهاج"، السبكي: 349/2.

(3) - "الفتاوى"، ابن تيمية، دار عالم الكتب، الرياض 1991: 270/19.

(4) - سورة النساء، الآية: 115.

بأقي مصنفاته الفقهية وغيرها، آراءه الوجدانية في المواءمة بين جميع الاتجاهات الفقهية، والمساواة بين سائر المدارس والمذاهب التشريعية الإسلامية، وليس هذا فحسب، بل ذهب إلى القول بأن «الشريعة المطهرة لا خلاف فيها البتة، بل إننا نزلت على مرتبتين، لكل مرتبة قوم من القريتين: مرتبة كأنها مشددة هي للأقوياء، وأخرى كأنها مخففة هي للضعفاء، فلا الأقوياء يرخص لهم في النزول لمرتبة الضعفاء، ولا الضعفاء يكلفون بالصعود لمرتبة الأقوياء. ولا تجد قولاً خارجاً عن إحدى المرتبتين، ولا شخصاً خارجاً عن إحدى الحالتين»⁽¹⁾.

وهذا الحسم في مسألة الاختلاف -على الأقل من الناحية النظرية- يدل على معرفة الشيخ العميقة وعلمه الراسخ بقضايا الفقه: الإجماع والاختلاف، فعن سعيد بن جبير قال: «أعلم الناس أعلمهم بالإجماع والاختلاف»⁽²⁾، وعن قتادة قال: «من لم يعرف الاختلاف لم يشم أنفه الفقه»⁽³⁾، وعن عطاء قال: «لا ينبغي لأحد أن يفتي حتى يكون عالماً باختلاف الناس»⁽⁴⁾.

وقد نص الشيخ صراحة غير مرة على ما أجمع عليه علماء الأمة وفقهاء الأمة، وهكذا نصادف في شرح عبارات من قبيل: «اتفق المسلمون على كذا...»، و«إنهم اتفقوا على كذا...»، و«أجمعوا على كذا...»، و«لا خلاف في كذا...»، إلى غير ذلك مما يطول استقصاؤه.

أما على صعيد الممارسة الحياتية اليومية، فيمكن رصد ظموحات الشيخ ماء العينين الوجدانية من ناحيتين: الناحية الإصلاحية، والناحية السياسية. ففيما يخص الناحية الأولى -وقد أشرنا سابقاً إلى بعض جوانبها- يمكن أن نضيف عنصرين اثنين:

الأول: محاولته جمع كلمة الطرق الصوفية والمواءمة بينها؛ يقول: «إن الطرق وإن تعددت واختلفت، فمرجعها كلها لأمر واحد هو الفناء في مشاهدة الله والنظر إليه عن كل ما سواه»⁽⁵⁾.

والثاني: قيادته لحركة الجهاد ضد الاستعمار، فقد كان هم الشيخ في بداية

(1) - "دليل الرافق"، ص: 3.

(2) - "الإحكام"، 135/5.

(3) - "المواقفات" للشاطبي: 161/4، دار المعرفة بيروت.

(4) - نفسه: 161/4.

(5) - "نعت البدايات ونوصيف النهايات"، الشيخ ماء العينين، ص: 11.

استقراره في منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب أن يوحد القبائل المغربية، ويكون منها قاعدة اجتماعية صلبة تستطيع مواجهة التدخل الأجنبي في المنطقة الجنوبية؛ وقطع الطريق على المستعمر الفرنسي الذي كان يتحين الفرص للانتقضا على مجموع التراب المغربي، وقد استعمل مجموعة من الوسائل لبلوغ هذه الغاية، منها مساعدة القبائل المستضعفة، ومقاطعة القبائل الضالمة، وغيرها من الوسائل التي أعادت بناء الهيكل الاجتماعي الصحراوي، ومنتت أواصر علاقاته الاجتماعية، وقد استكمل المشروع الاجتماعي المعيني لبناته الوجودية ببناء مدينة السمارة⁽¹⁾.

وقد ظلت هذه الزاوية في حركتها الجهادية والإصلاحية وفية لالتزاماتها الوطنية، إلى أن تم التحاق الأقاليم الجنوبية بباقي الأقاليم المغربية في الشمال.

إن هذا الالتزام هو محور الطموحات الوجودية المعينية من الناحية السياسية، فمن المعلوم أن حضور السلطة المركزية في مجموع الأقاليم المغربية -ومن ضمنها الأقاليم الجنوبية- وغيورها الدينية والوطنية جعلت الشيخ ماء العينين يضع يده في يدها، ويتعاون معها على تنفيذ مشروعها الوطني، فكان بذلك خليفة السلاطين العلويين في المنطقة الخلفية من الجنوب المغربي، ووكيلهم في السهر على ترتيب شؤونها، يمثلهم لدى سكانها، وينقل أوامره وقراراتهم إلى قبائلها⁽²⁾.

وقد كان -رحمه الله- دائم الاتصال منذ فجر حياته بملوك الدولة العلوية الشريفة، فزار السلطان مولاي عبد الرحمن سنة 1274هـ/1857م، والسلطان مولاي محمد بن عبد الرحمن سنة 1290هـ/1871م، والسلطان مولاي الحسن الأول، ثم السلطان مولاي عبد العزيز، ومولاي عبد الحفيظ. وبذلك يكون الشيخ قد اتصل بخمس ملوك من هذه الدولة المصونة، وبايعهم على السمع والطاعة، وتعلق بعرشهم مدى الحياة هو ومن تبعه من تلك الأئمة من أتباعه، فلقى من الدولة كل تعظيم وإجلال وإكرام يليق بأمثاله... ووقع في إحدى جلساته مع السلطان مولاي الحسن الأول أن سأل السلطان في مجال البسط في الحديث قائلا له: كيف كنت ترى يا شيخنا مكانك قرب الوالد رحمه الله؟ فأجاب الشيخ: أدام الله ملك سيدي، لقد كنت مع جدك السلطان مولاي عبد الرحمن رحمه الله قبل والدك، وكان يجعلني مكان ابنه، ومع والدك فكان يجعلني مكان أخيه، فقال له السلطان مولاي الحسن: وأنا أجعلك مكان

(1) - محمد الطريف، الرسالة الجامعية، ص: 228.

(2) - نفسه، ص: 79.

أبي أيها الشيخ، لشرفك، وعلمك، ودينك، ونصحتك لنا، ونصرتك للحق، وجهادك من أجل الدين والوطن ووحدته^(١).

نعم، وحدة الوطن كانت أهم الأكر للشيخ وشغله الشاغل، فقد كان يدرك بعمق أن الوحدة والإجماع ميدان أساسيان لا غنى لكل مشروع حضاري مستقبلي عن الارتكاز عليهما والتمسك بهما..

لقد ساهم -طيب الله ثراه- ليس فقط في توحيد قبائل الجنوب الصحراوية، ولكن أيضا في توحيد هذه القبائل ومثيلاتها السوسية والخوزية وغيرها، خلال حملاته الجهادية التي قادها بنفسه، وواصلها من بعده خلقه الشيخ أحمد الهبة، والشيخ مرييه ربه، وغيرهم من أبطال الحركة الجهادية في صراعهم مع المستعمر.

رحم الله شيخنا الجليل برحمته الواسعة، وأمطر عليه وعلى حفيده الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مرييه ربه، وعلى كل من استشهد مدافعا عن وحدة هذا الوطن شأيب رضوانه، وأسكنهم جميعا فسيح جناته، في أعلى عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

(١) - "دليل الرفاق"، ص: ي.



صورة لجلسات الفعور التاريخي والأدي



الرواية الشفوية ودورها في البحث العلمي

محمد ناجي بن عمر (*)

إن الحديث عن واقع البحث العلمي في أمة من الأمم، مقياس حقيقي لمدى تفاعلها وتعاملها مع مستجدات أي عصر من العصور في كافة المستويات وعلى جميع الأصعدة، وبه يمكن أن يُحكم على إمكانية التطور، أو الوقوف في محطة من المحطات، مما يعني حتما التأخر والانحدار، ومن ثم مغادرة مسرح الحياة العملية والعلمية.

ومعلوم أن هذا البحث العلمي بمثابة نهر دائم الجريان، تغذيه رواقد عديدة مختلفة في القوة والتأثير. ومن أهم رواقد البحث العلمي: الوثيقة المكتوبة والعمران، والرواية الشفوية. وتختلف هذه الرواقد من حيث حجتها، وإجرائتها، ونتائجها، والزامية خلاصاتها، وانفتاح آفاق تحليلها، وتفسيرها، وتأويلها.

ومادام موضوع هذه المداخلة يتناول دور الرواية الشفوية في البحث العلمي، فإني سأطرح عدة أسئلة، نحاول محاصرة الموضوع من أي منزلق منهجي. وهذه الأسئلة هي:

- 1) لماذا الرواية الشفوية؟
 - 2) من من الباحثين يلجأ إلى الرواية الشفوية؟
 - 3) متى يُلجأ إلى الرواية الشفوية؟
 - 4) لماذا يُلجأ إليها؟
 - 5) كيف يتعامل الباحث مع الرواية الشفوية؟
 - 6) ماهي طبيعة النتائج المتوصل إليها من خلال إعمال الرواية الشفوية؟
 - 7) هل يمكن للرواية الشفوية أن تنسخ أهمية الوثيقة؟
- وهل يمكن أن تبنى عليها استنتاجات تشكل قرارات منزومة بشكل من الأشكال؟
قبل الشروع في الإجابة عن هذه الأسئلة، نشير إلى أن أصول ثقافتنا العربية الإسلامية، بمختلف أشكالها: النقلي والعقلي، والأدبي والكلامي، كتبت عن أصول

(*) - أستاذ جامعي - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الحفافة

شفوية امتدت أربعة قرون، اثنتان قبل الإسلام، أو ما يصطلح عليه بالعصر الجاهلي، واثنتان بعد الإسلام، وتحديدًا إلى حدود النصف الثاني من القرن الثاني أو ما يعرف بعصر التدوين، مما يجعل كثيرًا من الحقائق والمسلمات اللغوية والعقالية والكلامية والفلسفية التي تداولتها الألسن شفاهًا قبل أن تصبح أصولًا ملزمة، محط تساؤل. ونضرب هنا مثالًا فقط بالثمانين ألف مادة لغوية المبنوثة بين دفتي معجم "لسان العرب" لابن منظور، التي ترجع أصولها كلها إلى الأعرابي سيد الرواة، كما يسميه محمد عابد الجابري.

(1) أما لماذا الرواية الشفوية؟ فلأنها مصدر مهم من مصادر الحقيقة العلمية، في كل أضرب العلوم الإنسانية، من ضمن المصادر الأخرى، إلا أنها أثارت النقاش أكثر مما أثارت المصادر الأخرى، بدعوى غياب الموضوعية، وحضور الذاتية. أي أنه، وحسب بعض الباحثين في مجال التاريخ خاصة، لا يمكن اعتمادها؛ لأن نسبة الذاتية تكون طاغية فيها على حساب الموضوعية، مما يقسح المجال للأهواء والانتماءات القبلية والعرقية والحزبية والعاطفية والسياسية والاجتماعية، لتظهر وتنتعش على حساب الحقيقة العلمية. ومن ثم، فإن الرواية الشفوية لا تعتمد أمام وجود الوثيقة، ناسين أن الوثيقة بدورها تتنازعها تلك الأهواء والانتماءات؛ فالوثيقة في عرف الشارع هي ميثاق وعهد مضروب بين طرفين، ملزم ما بداخلها لكليهما، خاصة أنها تعني في اللغة اسم مفعول على وزن اسم فاعل، فهي موثوقة، وحولت إلى وثيقة كما يفعل بفعيل ومفعول، قتيل ومقتول.

وغالب تلك الوثائق المعتمدة في الكتابة التاريخية خاصة، لا يتوفر فيها هذا الشرط بالضرورة، فهي إما أوامر ونواهي أو توصيات أو تحسينات، الغلبة منها دائما للمرسل بشكل من الأشكال. مما يولد أسئلة كثيرة حول حجية هذه الوثائق، التي غالبا ما تكون هناك روايات شفوية رصينة تطرح الكثير مما ورد في هذه الوثائق محط تساؤلات كبيرة، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، فإن الباحث في مجال العلوم الإنسانية لا غنى له عن أي مصدر من مصادر الحقيقة أنى وجدها، وكيف وجدها؛ لأنها عندما تدخل تخبر التدقيق والتحليل، تعطي نتائج قد تكون مهمة وقد تكون استثنائية.

(2) أما من هو الباحث الذي يتعامل مع الرواية الشفوية؟ فبكل بساطة هو الباحث المكتوي بحرقه الأسئلة التي تحاصر الظاهرة التي يبحث فيها، والذي لا يستحضر الجواب الواحد الجاهز عن كل سؤال تعذر، أي باحث له تقنيات البحث العلمي لولوج الظاهرة

المراد البحث فيها، من جمع للمادة، ثم تصنيف، ثم تبويب، ثم شرح، ثم تفسير، ثم تحليل، ثم تأويل...

باحث يحترم بحثه والمبحوث له في محاولة لإعطائه أكبر عدد ممكن من المعلومات بأقل أخطاء ممكنة. إنه باحث غير متسرع، وغير طامع في إرضاء نفسه، أو قبيلته أو عرقه، أو حزبه أو وسطه، على حساب البحث العلمي.

باحث لا يكتفي بتزديد ما هو متعارف عليه، بل سارع إلى التيقن من بعض المسلمات التي لا تملك القوة والإجرائية إلا من خلال تداولها في المجالس، وتواتر وجودها في صفحات بطون الكتب المختصة وغير المختصة.

باحث؛ كل شيء يساعده على تبديد عتصات طريق البحث العلمي المفلتمة، ضالته ضمن تلك المساعدات من الرواية الشفوية التي غالباً ما تكون ناجحة في توضيح أشياء هامة، خاصة إذا كانت متوافرة على شروط الصحة والإفادة.

(3) أما متى يلجأ إلى الرواية الشفوية؟ فإن الباحثين يختلفون في إجاباتهم هل قبل الوثيقة؟ أم معها؟ أم بعدها؟ أما من يرى أنه يلجأ إليها قبل الوثيقة، فيرجع إلى أصول الثقافة العربية الإسلامية، يختلف أشكالها، ذلك أن العرب عندما وصلت إلى مرحلة التعبير الكتابي المؤسسي، لم تجد كل ضالتها في تلك النصف المكتوبة هنا أو هناك، مستلدين بكون القرآن الكريم والسنة النبوية لم يكتبتا في وقتها، بل وثقا في عصر لاحق، وفي ظروف خاصة ليس المجال هنا للحديث عنها.

أما الذين يعملون مكون الرواية الشفوية بحوار الوثيقة، فإنهم لا يعتمدونها إلا باعتبارها مكملات في جانب من الجوانب التي يريد الباحث توكيدها، إن كان مشروع البحث أو الموضوع يقتضي ذلك، أو نقدها، إن اقتضى الأمر كذلك. فيلجأ إليها باعتبارها نظماً موازياً، وليس نصاً أساساً، ويتعامل معها تعاملًا نفعياً، وليس تقاعلاً استراتيجياً. لكن أكثر التعاملات تعسفاً مع الرواية الشفوية، هو الذي يجعلها في مرتبة ثانوية وهامشية، إن لم نقل عديمية، مما يؤثر سلباً على البحث العلمي.

(4) أما لماذا يلجأ إليها؟ فلأنها تعد مصدراً مهماً من مصادر الحقيقة العلمية في بعض مجالات العلوم، خاصة الإنسانية، ذلك أننا نجد فيها أحياناً تصويبات وتنقيحات واقتراحات، غالباً ما تكون قوية وصائبة، تعجز الوثيقة التي غالباً ما تصدر عن جهة أو قبيلة أو عصبية، عن الالتزام بها، أو على الأقل البرهنة على صحتها إن احتاج الأمر إلى الصحة، أو نفيها إن احتاج الأمر إلى النفي.

ثم إن أي بحث علمي لا يستحضر جميع العوامل المساهمة في أسس ومناهج وتصورات الحقيقة العلمية والرواية الشفوية، ومن هذه الأسس -مثلاً- كونه يتحرك تحركاً بطيئاً، وإن كان مسرعاً؛ لأنه غير قادر على تغيير نفس مشبه أو جريه كيف يشاء، ومتى يشاء.

أما كيفية التعامل معها، فأعتقد شخصياً أن أسلم منهج والأكثر أصالة في ثقافتنا العربية الإسلامية هو منهج الجرح والتعديل عند علماء الحديث، خاصة عندما نقف عند تلك الغرايب الدقيقة التي يلجأ إليها لأخذ معلومة من المعلومات، بل حتى مفردة من المفردات، كالأمانة، والتثبت، والدقة، والصدق، والمروعة، والنزاهة، والعدل، والعفة. ثم بعد ذلك تأتي عمليات أخرى عند عالم الحديث، كالتضعيف، والترجيح، بعيداً عن كل هو، أو ترديد، أو تحنٍ قد تكون نتائجه إما باطلة، أو مضللة لأفاق البحث العلمي. أما ما عدا هذا العلم، مع تحديده وتكييفه لجميع المستجدات العلمية المعاصرة، فإنه يبدو أي منهج مقارب للرواية الشفوية: في العلوم الإنسانية، غير كفيل بإكسابها الإحرائية والصلاحية المتوخاة.

(6) أما عن النتائج المتوصل إليها من خلال الرواية الشفوية، فإنها قد تكون قوية وملمزة، خاصة إذا عرضت أمام العقل. وثبتها المنطق المبني على الفهم والتفسير والتحليل، والمقارنة والاستخلاص والاقتراح.

وبهذا تكون مساوية للوثيقة، إن لم تكن متجاوزة لها، خاصة إذا علمنا أن الكثير من الحقائق التاريخية التي مرت عند بعض المؤرخين الثقافات من هذه العمليات هي التي حددت وأكدت الوقائع والمستجدات التالية، من هنا، إذاً، تبدو ضرورة أخذها بعين الاعتبار وعدم التفريط فيها بحال من الأحوال.

(7) ثم إنه إذا مرت الرواية الشفوية من كل هذه القنوات، وتحققت منها كل هذه الشروط، فإنها قد تراجم وثوقية الوثيقة وحجيتها، إن لم نقل إنها قد تتجاوزها وتنسخها، وتغير من وضعيتها، فتصبح الوثيقة هي المستأنس بها لا الأساس.

لكن يبدو أن هذا المطلب الأكاديمي لن يتحقق له النجاح والإحرائية، إلا بعد تضافر مجهودات عدة جهات فاعلة في اتخاذ القرار، بمختلف أشكاله، وحينذاك يمكن القول إن البحث العلمي قد أفاد المجتمع في تقدم حضاري ملموس.

وأعتقد أن إعادة الاعتبار للرواية الشفوية، لا تكفي فيه الأماني والتنظيرات، بل لابد من إحياء ذاكرة علمائنا وشيوخنا ومقاومينا ومجاهدين، قصد تقصي دقائق

تفكيرها. ومن هذا المنطلق حاولت جمع أكبر عدد ممكن من المعلومات، عن تاريخ المغرب عامة خلال القرن التاسع عشر، خاصة في النصف الثاني منه، ذلك بعدما أقدمت ويتوفيق من الله على ترجمة أحد أهم الكتب التاريخية التي تعتمد الرواية الشفوية، وهو كتاب "زمن المخلات" أو "مغرب ما بين 1860 و1912"، لنويس أرنو، وتعزى أهمية الكتاب إلى كونه يعتمد رواية شفوية لضابط عسكري بخاري يدعى الحاج سالم العبدى، ذي ذاكرة قوية ومستقصية وأمينة وموردة لأخبار مهمة حول الأوضاع السياسية خلال هذه الفترة. بل يمكن القول بأنه كتاب تاريخي تفرّد بإيراد بعض هذه الأحداث التي لم ترد في غيره.

ولاشك أن الكتاب عندما استدأوله أيدي القراء قريبا، إن شاء الله، سيساهم في إضاءة هذه الفترة المهمة من تاريخ المغرب كله، شمالا، وجنوبا، وشرقا، وغربا. كما حاولت أن أجمع أكبر عدد ممكن من الروايات الشفوية حول منطقة الرحامنة عموما، وموقعة شمال سيدي أبي عثمان سنة 1912 التي واجهت فيها قوى الغدر والخيانة حملة الشيخ أحمد الطيبة بن الشيخ ماء العينين، وسجلت ما حكاكه الألسن عنها، بما فيها الأغاني الشعبية التي تنغنى ببطولات تلك الموقعة وأبطالها. وفي الأخير، أقترح على الباحثين بإلاء الرواية الشفوية، كل في مجال تخصصه، ما تستحقه من العناية والاهتمام، حتى تتوصل إلى نتائج فيها نصيب محترم من العلمية والجدية والموضوعية، فبدون الرواية الشفوية لن نغني درس تاريخنا وحضارتنا المغربية العربية الإسلامية الرصينة.

مظاهر التواصل العلمي والروحي بين علماء سوس وعلماء الصحراء المغربية

أحمد بن مبارك أبو القاسم^(*)

أولاً: مقدمة مدخلية:

إن العلاقة بين سوس وصحرائه لا يمكن حصرها في مجال معين، ولا تحديدها في مظهر من المظاهر؛ لأنها علاقة ذات جذور تاريخية عميقة، وذات طبيعة جغرافية لا تحدها حدود؛ فسوس منحدر من الصحراء، والصحراء منحدر من سوس، بشريا وطبيعا. ولذلك فمن الصعب أن نوفي هذه العلاقة حقها مهما بذلنا من جهود، إذ كيف يمكن الفصل بين الأصول والفروع في القبائل المغربية عامة، والقبائل السوسية والصحراوية خاصة⁽¹⁾.

ولهذا، فإن مجال العلاقات بين سوس وصحرائه أوسع بكثير مما يتصور، رغم قلة الوثائق المتعلقة بما قبل الفتح الإسلامي، ولكن لو تضافرت جهود الباحثين على حدة، كل في تخصصه، لأمكن كشف ما لا يحصى من مظاهر التواصل بين سوس وصحرائه عبر تاريخ المغرب العريق.

أما هذا العرض المتواضع فقد اقتصر على ما بعد الفتح الإسلامي بقرون⁽²⁾، ولم يفصل القول إلا في مطلع القرن العشرين وقبَّله، مع الاكتفاء بجانبين هامين، هما: العلمي والروحي، تاركا المجالات الأخرى للمتخصصين فيها.

ثانياً: ما المقصود بالتواصل؟

التواصل مصدر تَوَاصَلَ، الدال على المشاركة في الوصل، وهو تفاعل بين طرفين أو بين أطراف قصد الالتحام، والاتحاد والتلاقي المستمر.

(*) - أستاذ باحث - تزيت.

(1) - انظر بحثا لمحمد الغربي في القبائل الصحراوية، مجلة المناهل، العدد: 58، الخاص بالصحراء المغربية، ص: 44 وما بعدها. ولحق مع انطلاقا من مصادر تاريخية كالتطري، وابن خلدون وغيرهما.

(2) - ذلك أن التواصل العلمي والروحي ومظاهريهما لم تبدأ إلا بعد الفتح الإسلامي بزمان طويل، ربما في عهد الإدارة كما سيأتي.

أما التواصل العلمي والروحي الذي أقصده، فهو التلاقي المستمر، والتزاور المتواصل بين علماء الصحراء المغربية، وبين علماء سوس، للأخذ والعطاء، والإفادة والاستفادة، فهو العلاقة الراسخة التي تربط بين هؤلاء العلماء، إن على مستوى الجماعات أو الأسر العلمية، أو على مستوى الأفراد؛ تلاميذ وشيوخا، وأصدقاء.

وأرجح أن تكون مدينة "تمدولت" التي أسسها عبد الله بن إدريس⁽¹⁾ في العقد الثاني من القرن الثالث الهجري همزة وصل لهذا التواصل، كما كانت كذلك لتواصلات أخرى. غير أن التواصل الكبير الذي انتهى أكله ناضجا لذيذا قد تحقق بانطلاق شيخ الإسلام عبد الله بن يسن التشنارقي، من مدرسة "أهللو" إلى قلب الصحراء، لنشر العلم والإسلام بطلب من يحيى بن إبراهيم المهدالي، في قصة أجمعت على صحتها كتب التاريخ. ومن الصحراء قاد عبد الله بن يسن وتلاميذه ومريدوه المسيرة العلمية والروحية لتوحيد المغرب، بالعلم والدين الإسلامي القويم، بل تجاوز الأمر توحيد المغرب إلى تحرير الأندلس من الطغاة المسيحيين، ومن المتلاعنين بشؤون المسلمين من الأمراء اللاهين⁽²⁾.

أما التواصل الكبير الثاني فقد تم بهجرة الشيخ ماء العينين من مدينة السمارة، التي أسسها في الصحراء، لنشر العلم وتقوية الإسلام وتنظيم الجهاد، إلى مدينة تزنيت، وإلى المغرب كله. بل كانت هجرة من أجل التوعية والجهاد، لحماية البلاد من كيد الكائدين المتآمرين عليها، لتوزيعها بينهم غنيمة مريخة.

فقد رافق الشيخ ماء العينين من الصحراء إلى تزنيت آلاف من العلماء وطلاب العلم، والمريدين، فكيف لا! وهو من هو، علما وتربية وجهادا. ويكفي شهادة على ذلك ما قال فيه أحد معاصريه: وهو العلامة أحمد بن الأمين الشنقيطي، ممثل المغرب في كل العلوم بين علماء الشرق، قال في حقه في كتابه "الوسيط":

«... وكان هذا الشيخ فاضلا كريما، لا يوجد أحسن منه أخلاقا، وقد اجتمعت به حين خروجه من مدينة شنقيط إلى مراكش، في توجهي إلى الحجاز، ورأيت منه ما

(1) - الاستقصا: 171/1، تحقيق: ولدي المؤلف، الدار البيضاء 1954. والروض المعطار في خير الأقطار، محمد عبد المنعم الحميري، ص: 128، لبنان، الطبعة الثانية 1984، تحقيق: إحسان عباس.

(2) - الاستقصا: 6/2، والوسيط في أدياء شنقيط، ص: 365، مؤسسة الخالجي، مصر 1958. ومذكرات الشوزي في العسول: 247/3 و414. وأعلام الزركني: 4/44، الطبعة 9، دار العلم للملايين، بيروت 1990. وصحابة أندلسية للدكتور عباس الجراري، المحاضرة التي ألقاها في جامعة دكار في 29 مارس 1984 بعنوان: Les Almoravites Empire, doctrine, œuvre, p. 8-9.

حيرني، لأنني أقدر من معه في وادي اسمار من الساقية الحمراء بعشرة آلاف شخص...»⁽¹⁾.

إلى أن قال: «مع حسن معاشرته لهم، لا فرق عنده بين ولده والمحسوب عليه»⁽²⁾.

وفي تزيت ولفاه أجله بعد أن استفاد منه خلق كثير، علما وتربية وسلوكا. وكانت له لقاءات علمية وروحية مع عدد من علماء سوس الأقبذا، أمثال الحاج الحسين الإفرائي، والشيخ علي الدرقاوي، والعلامة علي بن عبد الله الإلفي، والعلامة محمد بن مسعود المعدري، والمورخ الإبحاري، وغيرهم. فقد توفي في 24 شوال 1328هـ/1910/10/29م. رحمه الله، وجزاه عن العلم والإسلام خيرا⁽³⁾.

وبين مسيرتي عبد الله بن يسن والشيخ ماء العينين استمرار التواصل بين علماء سوس وعلماء صحرائه، لا يتسع المجال للحديث عنه بالتفاصيل الآن. ولذلك سأنتقل إلى مظاهر التواصل، من غير أن ألزم بالتزيت الزماني؛ لأن ذلك من الصعوبة التي لا تطاق، لما يحتاج إليه من جهود مضيئة، ووقت أطول، وبحوث متعددة...

ثالثا: مظاهر التواصل:

فكما حددت في عنوان هذه الكلمة، هناك نوعان من التواصل بين علماء سوس وعلماء صحرائه، فالأول علمي، أخذاً وعطاءً ومجاهدة، والثاني روحي، منه ما هو ديني عقدي، ومنه ما هو إنساني أخوي، فلنبداً بمظاهر التواصل العلمي أولاً:

1- مظاهر التواصل العلمي: يتجلى التواصل العلمي بين هؤلاء العلماء في مظاهر ثلاثة، أولها المشيخة، وثانيها التلمذة، وثالثها المحاورات العلمية والمساجلات الإيداعية.

ففي المشيخة: نجد مثلاً الأسرة العلمية السباعية التي مازال صداها يطن في الأذان

(1) - الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، ص: 365.

(2) - نفسه، ص: 365.

(3) - ترجمته في المراجع الآتية:

- المرسول: 4، وهو خاص به، وبعض غيره.

- الشيخ ماء العينين وجهاده العلمي والوطني، لشبيها ماء العينين حمداتي، دار المعارف الجديدة، الرباط 1995.

- في الأدب والمقاومة: نماذج من زاوية السمارية المعنية لماء العينين ماء العينين، دار وليلي، مراكش 1996.

- الرحلة المعنية، لماء العينين ابن العتيق، تحقيق: محمد طريف، دار المعارف الجديدة، الرباط 1998 (الظر ص: 49 وما بعدها).

السوسية، ونذكر منهم على سبيل المثال العلامة المشهور محمد بن عبد الله السباعي النحري، يائي "مدرسة الساعدات" بناحية شيشاوة؛ وما تزال تؤدي دورها العلمي⁽¹⁾، وكان يدرس فيها بتقان وإخلاص، هو وأبناؤه من بعده، ووالده عبد المعطي؛ عالم كبير، أخذ عن الشريف الكثيري بهشتوكة. وللمدرسة السباعية دور كبير في تخريج الأفاضل، والمختار السوسي واحد منهم⁽²⁾.

وتعد من التاجكانيين الأسرة العلمية البلعماشية، نسبة إلى ابن الأعمش مؤسس مدينة "تندوف"⁽³⁾، ومن "تندوف" انتقلت الأسرة إلى أقا. وقد اشتهر من الأسرة ابن الأعمش الأكبر الشيخ أحمد دوحنا، وابنه محمد المختار مؤسس "تندوف" في أواخر القرن الثالث عشر الهجري.. ومن كبار علماء الأسرة عبد الله بن الأعمش العالم الراسخ، توفي في "توزونين" بأقا حوالي 1326هـ. وفي "توزونين" مقبرة تسمى مقبرة تاجكانت، دفن فيها اثنا عشرة امرأة تاجكانتية، كلهن حفظ القرآن. ومن علماء الأسرة محمد بن أحمد بن المختار الذي له علاقة وطيدة بالطاهر الإفرائي، وبينهما مساجلات شعرية، ومخاطبات علمية. ومنهم العلامة أحمد بن محمد المختار الذي كان شغله الشاغل نشر العلم في "تندوف" و"توزونين"، وله علاقة وثيقة بالعلامة المدرس أبي الحسن الإلغي⁽⁴⁾.

وإلى جانب هؤلاء الأفاضل صهرهم العلامة سيداتي بن محمد الكنتي التاجكاني، إمام الرواية الأحمدية في "توزونين" بأقا، ومنه استفاد المختار السوسي كثيرا عن علماء الصحراء المغربية عامة، وآل تاجكانت خاصة⁽⁵⁾، وقد قال في حقه: «وقد أخذ عنه أناس، وعادته الإكباب على المطالعة...»⁽⁶⁾.

ولسيداتي هذا علاقة ود وإخاء مع الشاعر الحسن البوعناني، ولهما معا جولات في المدن المغربية، وقد زار خلالها العلامة المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان⁽⁷⁾.

(1) - حدثني بذلك مشافهة العلامة محمد الضوء السباعي المعروف بالصاوي، وكتب إلي بخطه معلومات قيمة حول العلماء السباعين، فجزاه الله خيرا.

(2) - انظر السباعين في المعسول: 266/8 وما بعدها، وفي الوسيط: ص: 509.

(3) - بني التاجكانيون مدينة "تندوف" حوالي 1271هـ بأمر من الشيخ محمد المختار ابن الشيخ أحمد دوحنا المعروف بابن الأعمش، وتمت إشرافه وأول ما بناه مسجد كبير يدوس فيه. انظر المعسول: 158/8-165.

(4) - المعسول: 163/8-164.

(5) - خلال جزولة: 47/3.

(6) - نفسه: 50/3.

(7) - نفسه: 50/3.

أما الأسرة العلمية الكبرى التي لا تُنفى فضلها العلمي على أهل سوس خاصة، والمغاربة عامة، فهي أسرة الشيخ ماء العينين، وسواء الشيخ نفسه، أو أبناؤه. فإذا كان الشيخ همه التدريس والإفتاء والتأليف إلى أن وافاه أجله، فإن أبناءه من بعده، وفي أثناء حياته، ما انفكوا ينشرون العلم، ويوظفون الصلات أينما حلوا وارتحلوا، في سوس وغيرها؛ فالشيخ أحمد أهية، والشيخ مرييه ربه، والشيخ النعمة، والشيخ محمد الإمام، والشيخ شبيها، والشيخ محمد تقي الله، وماء العينين بن العتيق، كلهم رجال العلم، أفادوا وأفتوا وساجلوا... بسوس وغيرها⁽¹⁾.

وهناك أسرة علمية أخرى نزلت بأيت بويسن بالأخصاص تسمى "آل البصير"، أي آل البصير، وهي من الرحمانيين الأفاضل⁽²⁾. وأول من نزل منهم بالأخصاص: الشيخ إبراهيم بن مبارك البصير، وسمي بالبصير -على عادة السوسيين- لأنه أكمه. قال فيه المختار السوسي: «ولد أكمّة، فعوضه الله ما حرّمه من بصر ببصرة نيرة، حازت العلم والدين».

وحكى لي الأستاذ يحيى أبو القاسم (أخي)، وهو يعرف بعض علماء الأسرة، أن الكمّة استمر في هذه الأسرة بقدر ابن واحد لكل عالم من الأسرة. ومن ذلك العلامة مبارك بن إبراهيم، فقد ولد كأبيه أكمّة، ومع ذلك أدى دوره العلمي والروحي كأبيه غاية الأداء. فهو الذي جمع أيت بويسن على بناء مدرستهم المسماة "سيدي عني أسعيد" عام 1292هـ، ولم تكن لهم مدرسة من قبل، ثم اشتهرت هذه المدرسة بالمدرسين الكبار، كالعلامة الحسين بيبس، والمؤرخ الإحمراري، والمخفوف الأدوزي، وابنه عيسى، وغيرهم⁽³⁾.

هذا عن الجماعات العلمية الصحراوية الشيوخ، أما الأفراد الذين لهم أدوار علمية بين السوسيين فكثير، نذكر منهم الشيخ محمد بابا الصحراوي الشاعر المشهور، ومحمد سالم بن عبد الفتاح شيخ محمد الإمام⁽⁴⁾، وزوجته مريم الصحراوية⁽⁵⁾، وهي عالمة تربت

(1) - انظر ترجمهم في المعسول كما سبق، ونظر كذلك بعض أنشطتهم العلمية في: الرحلة المعينية السابق الذكر.

(2) - راجع المعسول: 12/88-172.

(3) - انظر حولها: المدارس العتيقة لمحمد المختار السوسي، ص: 98. ونظر: المعهد الإسلامي والمدارس العلمية العتيقة بسوس لعمر الساحلي: 256/4، وروضة الأفنان في وفيات الأعيان للمؤرخ محمد بن أحمد الإحمراري، ص: 339، تحقيق: حمدي أنوش رحمه الله، نشر كلية الآداب-الطاهير 1998.

(4) - انظرهم في المعسول: 3/26-38.

في حضن العالمة الكبيرة زوجة⁽¹⁾ الشيخ ماء العينين، والعلامة القاضي محمد بن عبد العزيز⁽²⁾، وغيرهم. وكلهم ميثوثون في ثانيا "المعسول"، و"خلال جزولة"، بإفاداتهم وأشعارهم...

أما الشيوخ السوسيون فيكفي أن نشير إلى العلامة مسعود المعدري البونعماني المشهور، وابنه محمد بن مسعود، وابنه أحمد بن مسعود⁽³⁾، وشيوخ إلغ، وخاصة علي بن عبد الله، وعبد الله بن محمد⁽⁴⁾، وإلى الشريف سعيد بن أحمد الكثيري التحرير⁽⁵⁾، والشيخ الحسن التمكيدشي⁽⁶⁾. فكل هؤلاء يقدُّ إلى مدارسهم طلاب العلم من الصحراء، ويكون التنافس بينهم وبين إخوانهم الطلاب السوسيين، فيديرون بينهم كؤوس المساجلات والمطارحات العلمية والإبداعية.

ولا ينبغي أن ننسى المدرسة المتنقلة التي أغنت بعلمها وإبداعها رجال العلم وطلابها، ألا وهي المسماة: عبد الرحمن البويزكارني العلامة الفحل، الذي لا مأوى له إلا مدارس العلم، ولا شغل له إلا التعليم أينما حل⁽⁷⁾.

أما المختار السوسي فقد استفاد منه خلق كثير، منهم الصحراويون، في مراكش وغيرها⁽⁸⁾.

أما في التلمذة: فمن الصعب أن نحصر العدد، فإذا أمكن أن نقرب من حصر الشيوخ باعتبارهم معلومين يشار إليهم بالبنان. فإن التلاميذ عندما يقضون مساربهم

(5) - هي مريم بنت محمد سالم بن عبد الله، كانت تدرِّس النساء بالغ. انظر المعسول: 57/3.

(1) - هي العالمة الجلييلة ماحا، والدته الشيخ النعم. المعسول: 26/3.

(2) - هو كاتب مرييه ربة وقاضيه.

(3) - المعسول: 187-5/13.

(4) - نفسه: ترجمة الأول في: 160/1، و ترجمة الثاني في: 156/2.

(5) - العلامة سعيد بن أحمد الكثيري المعروف بسيدي سعيد الشريف، لازم مدرسة "إدلو محمد" المعروفة بالمحمدية بهشتوكة مدة طويلة، فتخرج عنه علماء كثيرون، منهم السباعيون، كما تقدم. توفي 1295هـ. وقد تميز بتمهيج علمي قوي في التدريس ونظامه، وله برنامج دقيق لا يخالفه. انظر سوس

العالمة، ص: 162، ورجالات العلم العربي في سوس، ص: 51.

(6) - انظر ترجمته ونشاطه في المعسول: 262/6 وما بعدها. ومن الصحراويين الذين تلقوا عنه بعض

التحكاتيين.

(7) - المعسول: 90/10-151. وله مساجلات كثيرة، متفرقة في أجزاء المعسول.

(8) - انظر لائحة بعض تلاميذه في كتاب: المعهد الإسلامي: 434-444. أما الذين استفادوا من مؤلفاته

من الباحثين الصحراويين وغيرهم، فلا مجال للحديث عنهم لكثرتهم. ويكفي أن كتابه المعسول الآن

قد التحليل والاستنتاج في إحدى الجامعات اليابانية من قبل شاب يبحث في علم الاجتماع المقارن،

وقد زار إلغ صيف 1997 لمعانة مسقط رأس المختار السوسي.

يتفرقون في الأمصار، ولا يكاد يحتفظ إلا ببعض الأسماء، لقلة الاعتناء بالتدوين في هذا الجانب على أهميته، ولكثرة الأفواج، مما يتعذر معه الاحتفاظ بالأسماء، غير أنه لما قيل: «بالمثال يتضح المقال»، نذكر بعض الأسماء من سوس وصحرائه معاً:

- 1- محمد المختار السوسي: أخذ عن السباعيين، كما تقدم.
- 2- محمد بن عبد الرحمن، ابن القائد عياد الجراري: أخذ عن الشيخ سيديا، وعن ابن العتيق بمدينة إفني، وعن الشيخ مريبه ربه بن الشيخ ماء العينين.
- 3- الشاعر محمد العثماني: افتتح العلوم على يد الشيخ مريبه ربه بكردوس سنة 1930م، وقد حدثني عن ذلك مشافهة، وأعطاني قصيدة مخطوطة قايها في ذكرى مريبه ربه، مطلعها:

غاب حرا جزاه في الخلد ربه * عن حمى دينه مريبه ربه
إلى أن قال:

لي في ذلك الجناب ذمام * لم يذبه طول الزمان وكربه
لست أنسى لوحا كتبت عنيه * لي في العلم ما به لان صعبه
لست أنسى ما عشت منك دعاء * لي به يرغم الحسود وذنبه
وعطاءً مباركاً هداً الطف * ل وقد هابه فيرجف قلبه
نالتني من يديك فضل كبير * فارعوى الدهر يوم ذاك وريبه
لست أنسى تقبيل كفيك يوماً * وأبي جالس إليك وصحبته
يستشيرون في عذر عقور * نابه في الشعوب دلم وخبليه
حينما شاهدوه زحفاً ورجفاً * ينذر الأطلس المروع خطبه
فتواضعت لا صدى الذكر تبغى * بغية المتقى من الله قربه

- 4- نساء من إلغ: أخذن عن مريم الصحرانية، كما ذكرت من قبل.
- 5- الحسن بن الساخي الرحائي: أخذ القرآن في الساحل، ثم التحق بمحمد بن مسعود المعدري بمدرسة بونعمان.

- 6- عبد المعطي السباعي: أخذ عن الشريف الكثيري بهشتوكة.
- 7- الحسن معطي الله: تتلمذ على عبد الله بن خرياش المشهور⁽¹⁾.
- 8- عبد القادر الودنوني المشهور، وقد تردد اسمه في كثير من أجزاء "المعسول"، فقد تتلمذ على البونعمانيين.

(1) - المعسول: 201/14.

واللائحة مفتوحة، وخاصة إذا علمنا أن العلامة الحسين بن محمد الكاهيا الحراري أحد تلامذة الكثيري، استقر بالخوض في الصحراء، وتزوج بعائلة صحراوية اسمها الغالية، وأبوها العلامة إبراهيم السباعي، وابنها، من زوجها المذكور، عالم كبير اسمه عبد الله كان يدرس بطرفاية قبل أن يتحول في كثير من مناطق العالم. ثم استقر بإنزكان أكادير، وكان هناك مراسلا لجريدة "السعادة"⁽¹⁾.

في الحوار العلمي وما إليه: هذا المجال واسع النطاق⁽²⁾، وخاصة في المساجلات التي فصل فيها القول كثير من الباحثين، ويكفي أن نذكر فيها بما كان يجري في المدرسة الإلغية واليونعمانية، ومدينة تارودانت، بين الباشا الشنكيطي وعلماء سوس، وعلماء الصحراء معا، وأن نذكر بالطاهر الإفرائي وابنه محمد مع محمد بابا وابن العتيق. وأن نشير إلى مجالس الشنكيطي الأدبية مع أمثال موسى الروداني، وداود الرسموكي، وإسماعيل السكتاني، والمختار السوسي، وغيرهم. ونجدر الإشارة - في هذا المجال - إلى أن الأستاذ البحاث ماء العينين النعمة جمع من مساجلات الحسن اليونعماني وحده مع بعض شعراء الصحراء أزيد من أربعين مساجلة مخطوطة⁽³⁾.

فلنتقل الآن إلى جوانب أخرى، وهي:

أولا: المحاورات العلمية: ومنها المناقشة المشهورة بين الشيخ محمد الولاتي، والشيخ محمد بن العربي الأدوزي⁽⁴⁾، وقد فصل فيها القول بما فيه الكفاية، الأستاذ محمد الحامي. وهناك مناقشة بعض الأحكام القضائية لئنقضها أو تأييدها، كنقض عبد الله الإلغي بعض أحكام لأحمد بن محمد بن المختار الدوحنا، وكفضية إرثية تتعلق بحكم الغائب، فقد أثارها الطاهر الإفرائي، فأفتى فيها كل من محمد بن عبد العزيز كاتب مرييه ربه، وماء العينين الخضرامي، وأحمد بوطعم، وماء العينين بن العتيق، ومحمد الإمام، وأصدر مرييه ربه ظهيرا مؤيدا للإفتاء، كما أيد الإفتاء محمد بن عبد الله الأعلاوي، فحكم الطاهر الإفرائي في المسألة طبقا لفتاوي هؤلاء، ولكن العلامة أحمد بن محمد

(1) - المصنوع: 109/18-112.

(2) - انظر مثلا: ثقافة الصحراء للدكتور عباس الحراري، ص: 43 وما بعدها. وانظر شعر داود الرسموكي، تحقيق: اليزيد الراضي، ص: 42، نشر جمعية إيلغ 1992.

(3) - تحدث عن هذه المساجلات في ندوة «الحسن اليونعماني» التي نظمتها جمعية الحسن اليونعماني، بتنسيق مع مندوبية وزارة الشؤون الثقافية بتزيت، يوم 15 مارس 1998 بإعدادية بونعمان.

(4) - انظر نص الحوار في رحلة محمد بن يحيى الولاتي الحجازية، ص: 104، تفريغ: محمد ححي، دار الغرب الإسلامي 1990، وانظر مضمونها في المصنوع: 181/8-182.

التدارتي، والعلامة عبد الله بن محمد الإلغي، نقضا للحكم والفتاوي⁽¹⁾.
ثانياً: تقرّظ المؤلفات: من ذلك ما كتب حول قصيدة لامية في مدح الرسول
عليه السلام، وشرحها للقاضي الهاشم الأقاوي، فقد قرّظ القصيدة وشرحها كل من ابن
العتيق بقوله⁽²⁾:

ناهيك عن خير الوري تجميل * لها عن المدح تفضيل وتجميل
إلى قوله:

نظم رقيق وشرح رائق حصلا * من ذهن ندب له في العلم تحصيل
تزيين كل مديح له أوصله * إفادة ما هالولاه توصيل
ما زال علمك نور البيضاء به * له بفهمك تقرّيم وتأصيل
ومحمد سالم بن عبد الله بقوله⁽³⁾:

نيل المراد أقاد العلم ناظره * بسيرة المصطفى والصحب والآل
نظم بديع عديم الشكل مختصر * وشرحه عجب عديم أمثال
لله فكر أديب زانه ورع * أحيا العلوم به من منظر عال
محمد الهاشم بحر المكارم من * يتسنى مجلسه في الأهل والمال
تبارك الله في آدابه وعلى * صولات همته في أيما حال
ومحمد بن سالم بن عبد الفتاح بقوله⁽⁴⁾:

نيل المراد أتى فيه من العجب * ما لم يرد قبله في سائر الكتب
إلى قوله:

قد عظم الهاشمي⁵ الهاشمي به * أكرم به قرينة من أحسن القرب
ومن المؤلفات الصحراوية التي اعتنى بها علماء سوس، مؤلفات الشيخ ماء
العينين، ومنظومة ماء العينين بن العتيق في القضاء⁽⁵⁾، وديوان الشيخ مريبه ربه الذي
جمعه العربي الصوايبي، وقد اطلعت على نسخة منه عند العلامة محمد العثماني الشاعر،
رحمه الله.

(1) - راجع القضية في المجموعة الفقهية في الفتاوي السوسية للمختار السوسي، ص: 183-188، إعداد:

عبد الله الدرقاوي، نشر: كلية الشريعة بأكادير 1995.

(2) - المعسول: 143/9.

(3) - نفسه: 143/9-144.

(4) - نفسه: 143/9-144.

(5) - انظر نموذجها هنا بخط أحد فضلاء سوس في الملحقات من هذا البحث.

ثانياً: مظاهر التواصل الروحي:

أقصد بالروح، كما ألححت إلى ذلك من قبل، جانبيين: الأول الديني المرتبط بالاتجاه الطرقي، أو ما يسمى بـ"التصوف". والثاني الجانب الإنساني العام المرتبط بالأخوة والصدقة. ففي الجانب الأول نجد بعض زعماء الطرق الصحرأويين لهم أثر كبير في كثير من العلماء السوسيين؛ فمثلاً: مبارك بن إبراهيم البصير الرحائلي أسس زاويتين، أحدهما بالأخصاص، والأخرى بالرحامنة، وله علاقة وثيقة بالعلامة الحسين بيبس والمؤرخ الإحراري.

وفي الوقت نفسه تأثر بالتمكيدشتين؛ إذ أخذ عن آل وعزيز بتزيت الطريقة الناصرية، كما أخذوها عن شيخهم الحسن بن أحمد التمكيدشتي، وكانت علاقة روحية مستمرة بين مبارك البصير والحسن التمكيدشتي، بدون انقطاع⁽¹⁾. أما الحسين بن محمد الكاهيا الحراري، فكان مقدما للطريقة الناصرية بالحوض، وكان في الوقت نفسه مدرسا هناك كما أشرت من قبل.

أما الشيخ علي الدرقاوي، فلا يخفى ما له من علاقة روحية بالشيخ ماء العينين وغيره، ويكتفي أن نذكر ما قاله فيه أحمد الدخدنا: «ليس في زماننا هذا مثل الشيخ سيدي الحاج علي، وقد تأثرت بعلاقاته، فوجدت في قلبي ما لم أجده مع غيره»⁽²⁾. بينما نجد الشيخ ماء العينين قد خطب ود كل الطرق بمثل قوله⁽³⁾:

إنني مُخاو لجميع الطرق * أخوة الإيمان عند المتقي
ولا أفارق للأولياء * كمن يفرق للأنياء
قال تعالى: المؤمنون إخوة * وعدم التفريق فيه إساءة
ولذلك نجد كل الأوراد كما قال ابنه محمد تقي الله في سيرته⁽⁴⁾:
وكم له كان من الأوراد * مفرقات يعطي للعباد
يعطي لذا لورد عبد القادر * وذاك يعطيه لورد الناصري
ويعطي ذا طريقة التيجاني * وذاك يعطيه لورد ثان

(1) - انظر المعسول: 97/12-99 و99/8.

(2) - نفسه: 164/18.

(3) - الشيخ ماء العينين وجهاده العلمي والوطني، ص: 100.

(4) - مذكرات الأوراد، يسيرة ماء العينين ذي القوائد، محمد تقي الله بن الشيخ ماء العينين، ص: 5، طبعة حجرية 1316هـ.

ويعطي للخلوتي والدرقاوي * وللشبنري والعيساوي
وغير ذاك من طرق أهل الله * يعطيه كله بلا تناهي
ومن العلماء الطريقين الذين ارتبطوا بالشيخ ماء العينين الحاج الحسين الإفرائي،
مقدم الطريقة الأحمدية بسوس، فكان كل منهما يتمنى أن يموت سابقا ليصلي عليه
صاحبه، فمات الإفرائي، فصلى عليه الشيخ ماء العينين، وليس بينهما غير أيام
معدودات. وقد نظم الطاهر الإفرائي وفاتهما في قوله:

مات الإمام الشيخ ماء العينين * بعد وفاة الإفرائي الحسين
وكان ذاك عام حط الشرف * وأصبحت عين العلوم تذرف
وحط الشرف، بحساب الحمل: رمز لعام 1328هـ.

ومن أقطاب الطريقة التجانية الذين هم صلة مباشرة بالشيخ ماء العينين وأبنائه
العلامة الطاهر الإفرائي، وابنه محمد، والشيخ محمد الحبيب البوشواري، وشيخ
الدرقاوين بسوس الحاج علي بن أحمد الإلغي الذي أثنى عليه الشيخ ماء العينين،
وأعجب بسلوكه، كما أن جميع الطريقين بسوس يُكَنَّنون التقدير والإعجاب للطريقة
الفاضلية ولقطبها الشيخ ماء العينين.

وأخيرا الجانب الروحي الثاني، وهو علاقة أخوة وصداقة بين علماء الصحراء
وعلماء سوس، وخاصة المدرسين منهم، ويتجلى هذا المظهر فيما يلي:

1- المراسلات التي لو أمكن جمعها، لتكوّن منها ديوان ضخم يغني المكتبة الأدبية
المغربية.

2- نزول كثير من علماء الصحراء على علماء سوس ضيوفا، وخاصة في
المدارس.

3- إضحار بعض علماء سوس كمحمد المنوزي الذي تحدث في مذكراته عن
علاقته الخاصة بالصحراويين، وأثنى على علمائهم وعلمائهم⁽¹⁾.

4- العلاقة الفضلى التي جمعت بين عدد من علماء الصحراء، وخاصة آل ماء
العينين بالإلغيين والبنعمانيين والإفرائيين والإحراريين⁽²⁾، وغيرهم.

(1) - انظر مذكرات محمد بن أحمد المنوزي في ترجمته آخر الجزء الثالث من المصنوع.

(2) - محمد بن عثمان الإحراري كناس مخطوط جمع فيه مساجلاته ومناقشاته مع الصحراويين، وخاصة
آل ماء العينين.

[illegible]

السجل العلمي بين سوس والصحراء من خلال رحلة المؤلف

محمد الحاشي (*)

لم تنقطع العلاقات بين الصحراء وباقي المناطق المغربية عامة، وسوس على وجه الخصوص. وقد تنوعت هذه العلاقات إلى:

- علاقات دينية تجلت في انتقال المذهب المالكي والطرق الصوفية من شمال المغرب ووسطه إلى صحرائه.
- علاقات اجتماعية تجلت في المتاجرة والمصاهرة التي تتم بين الأسر السوسية والأسر الصحراوية.

- علاقات علمية وهي التي تهتمنا في هذا العرض.

إن الناظر إلى العلاقات الثقافية بين الصحراء وباقي المناطق المغربية - ومنها سوس - سيلاحظ أنها كانت أكثر حضوراً في الربط بين هذه المناطق، وقد توطدت هذه العلاقات وتمتنت مع المرابطين الصنهاجيين الذين قدموا إلى الشمال من منازلهم بأقصى الصحراء⁽¹⁾. وقد قرر الدكتور عباس الجراي، عند حديثه عن ثقافة الصحراء أن أولى خصائص هذه الثقافة هي: «أن ثقافة الصحراء كانت دائماً ثقافة تواصل، حيث نجد العنماء والأدباء الصحراويين يتوافدون على أقاليم الشمال، إما للدراسة والتدريس، وإما للاتصال بالملوك ومدحهم، أو الكتابة لهم»⁽²⁾.

وليس معنى هذا أن حبل التواصل الثقافي كان دوماً ينطلق من الصحراء نحو الشمال، بل إننا نجد بموازاته خطاً آخر «يسير من الشمال إلى الجنوب، ويتمثل في الرحالة الذين اتصلوا بالصحراء وكتبوا عن أقاليمها.. كما يتمثل في الوفود الرسمية التي كانت تزور أقاليم الصحراء... وكذلك يتمثل في الشعراء الذين مدحوا الشيخ ماء

(*) - أستاذ جامعي - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الحادير.
(1) - "الحركة الفكرية بالمغرب على عهد السعديين"، محمد حجي: 635/2.
(2) - "ثقافة الصحراء"، ص: 35.

العينين، كالمظاهر الإفرائي، وأحمد بن المواز، وعبد الرحمن بن زيدان»⁽¹⁾.
هكذا نرى، إذا، أن جيل التواصل الثقافي والعلمي بين المغرب وصحرائه كان يسير في خطين متوازيين: أحدهما يمتد من الصحراء، والآخر يمتد إليها، بيد أن الأول، أي الممتد من الصحراء، كان أقوى وأجلى.
وقد حظيت سوس بنصيب غير قليل من هذا التواصل الثقافي عبر قنوات متعددة كالتعليم والتعلم، والمراسلات، والإجازات، والمساجلات التي تتم بين علماء سوس وعلماء الصحراء.

وقد كانت رغبتني في أن أرصد كل هذه الأشكال من التواصل الثقافي بين الصحراء وسوس من خلال كتب الرحلات التي يدون فيها الرحالة، غالباً، لقاءاته العلمية، ومناظراته للذين ينزل بهم أو يلقاهم من العلماء والفقهاء والأدباء، وهي بهذا تكون مرآة تلمس هذه العلاقات العلمية التي يربطها المؤلف الرحالة مع غيره، كما تلمس المظاهر الثقافية التي يقف منها المؤلف موقفاً إيجابياً أو سلبياً.

تلك كانت رغبتني، بيد أن هذه الرغبة لم تتحقق نظراً لرحمة الأشغال وقلة الوقت والإمكانات، فاقترصت على مظهر واحد من مظاهر هذا التواصل هو المساجلات العلمية، وفي رحلة واحدة هي رحلة الولاتي محمد يحيى الحجازية، وتركت الباقي لمن له من الوقت أوسع مما عندي، ومن الإمكانات أوفر مما أملك.

وفي هذه الرحلة نجد الولاتي قد بسط وقائع مساجلة علمية وقعت بينه وبين فقيه سوسي هو محمد بن العربي الأودزي. وهذه المساجلة هي التي سأقف عندها قصد النظر في موضوعها وكيف عرض كل مساجل وجهة نظره فيه، ثم إلى ماذا انتهت المساجلة؟ وقبل ذلك أرى من المفيد أن ألم بالمامة وحيزة بحياة المتساجلين حتى نقف على مكانة الرجلين العلمية.

فمحمد بن العربي الأودزي (ت. 1323هـ)⁽²⁾ هو أحد أعلام المدرسة والأسرة الأودزية التي تسلسل فيها العلم عدة أجيال. درس بالمدرسة الأودزية وبها درس خلفاً لأبيه، وقضى بها كل عمره مدرساً ومفتياً وعالماً مشاركاً في ميدان التأليف، بما تركه من مؤلفات عديدة في مختلف المجالات المعرفية، قال فيه الإفراري: «شيخ الجماعة بسوس، رجل الدنيا وواحدتها، ومنكر خصال البخل وجاحدها، طلق اللسان، مطبوع على

(1) - "ثقافة الصحراء، ص: 45 وما بعدها.

(2) - انظر ترجمته في: "روضة الأئمان" للإفراري، ص: 174 وما بعدها، وفي "المعول": 149/5 وما بعدها.

الإحسان، تحبب إلى كل إنسان، شاعر مطبوع، يقتدي به في الصناعة الشايح والمتبوع، سَلِّمت له الأمثال، وقبلت إشارته الأفاضل، قرأ بأدوز، وأخذ عن أبيه علمه المكنوز، فهو البدر التمام، والزهر المنشق عن الأكمام...»⁽¹⁾.

ووصفه العلامة محمد المختار السوسي بأنه كان: «رجل الصراحة، مكرراً مفرراً، مقبلاً مديراً، يقبل ويرد، ويهاجم ويدافع، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يعرف الهوادة في الذي يراه حقاً»⁽²⁾.

وتكفي هاتان الشهادتان للتدليل على مكانة الفقيه الأدوزي العلمية. أما محمد يحيى الولاتي (ت. 1330هـ)⁽³⁾ فهو أحد علماء الصحراء المشاركين، وأدبائها المرموقين. قال فيه الأستاذ محمد حجي محقق رحلته: «كان عالماً مشاركاً، محدثاً حافظاً، فقيهاً أصولياً، أديباً شاعراً ناثراً، مالكي المذهب، أشعري العقيدة، قيساني الطريقة، منفتح العقل، حاد الذكاء، طويل النفس في الحوار والمناظرة، واسع الاطلاع، قوي الذاكرة»⁽⁴⁾.

إذاً، هذان عالمان كبيران، أحدهما سوسي، والآخر صحراوي، وكل منهما له مكانته العلمية المرموقة في وسطه، ستقع بينهما مساجلة علمية، ولاشك أن أيّاً منهما لا يرضى أن يُفحِّمه صاحبه.

وسبب هذه المساجلة أن الفقيه الولاتي أعمل الرحلة إلى الديار المقدسة سنة 1311هـ فخرج على سوس، وكان من بين المناطق التي نزل بها منطقة إيليغ. وكان حلول عالم مشهور كالولاتي بأحد المراكز العنمية بسوس حدثاً هاماً يحتفل به، فيقصده العلماء والفقهاء للسؤال أو للاستحاجة أو للترك... فلما نزل الولاتي بإيليغ قصده محمد بن العربي الأدوزي للسؤال والمناظرة. وهناك دار بينهما سجال علمي شفوي تطور بعد ذلك إلى سجال كتابي بعد رحيل الولاتي. وقد بسط الولاتي وقائع هذه المساجلة في رحلته على امتداد خمسين صفحة⁽⁵⁾، كما ألم محمد المختار السوسي بأطراف منها في ترجمة الأدوزي من "معسولة"⁽⁶⁾.

(1) - "روضة الأفنان"، ص: 174.

(2) - "المعسول"، 159/5.

(3) - ترجم له: عبد العزيز بتعيد الله، "معلمة الصحراء"، ص: 188. محمد حجي في تقديمه لـ "الرحلة الحجازية"، ص: 7 وما بعدها.

(4) - مقدمة "الرحلة الحجازية"، ص: 8.

(5) - من ص: 104 إلى ص: 155.

(6) - المعسول: 173/5-175.

إن الفقيه الأذوزي لما قصد الولائي لم يكن مستفتياً، ولا مسترشداً، بل كان مناظراً⁽¹⁾ سعى إلى مناظرة هذا العالم الكبير في قضايا علمية مختلفة، وهدف هذه المناظرة عند الأذوزي ليس عنما يكتسب، ولا جهلاً يرفع، بل ما يمكن أن يحققه له إفحام العالم الصحراوي من رفعة ومكانة وذويع صيت⁽²⁾.

وقد فطن الولائي إلى هذا الهدف غير المصرح به والمغلف بالرغبة في المعرفة، فأشار إليه بقوله: «فسألني عن أشياء، فظاهر سؤاله أنه سؤال تثبت، وهو في نفس الأمر سؤال تعنت»⁽³⁾ يسعى إلى الإقناع بصواب رأيه ويحطل رأي الولائي بكل ما أوتي من قوة.

بعد هذا تتساءل: ماهي القضايا التي يريد الأذوزي مساجلة الولائي فيها، والتي يظن أنه يملك فيها من العلم ما لا يملكه الولائي مما سيحقق له تفوقاً عليه؟ إن عدد الأسئلة التي وجهها الأذوزي للولائي ستة يمكن تصنيفها ضمن مجالات معرفية ثلاثة هي:

(أ) المجال الديني الفقهي، وفيه ثلاثة أسئلة:

- 1- هل لمن قلده العوام أن يجريهم على مشهور مذهبه، أو يجريهم على القول الذي يناسب حالهم؟
- 2- هل لمن أجاز شرب الخمر وجه؟
- 3- بأي شيء عرف النبي صلى الله عليه وسلم أنه نبي: أبعلم، أو بحس، أو بوجودان؟

(ب) المجال النحوي، وفيه سؤال واحد:

- 4- محمد يعنى قلت: إنه مركب من علمين تركيب مزج، هل ذلك مطرد أم لا؟

(ج) مجال الثقافة العامة، وفيه سؤالان:

- 5- كيف علم العاقل أنه عاقل؟ أبقل آخر عرف عقنه؟ أم بغيره؟
- 6- هل لكلام أبي مسلم محمل صحيح؟⁽⁴⁾

يتبين من خلال هذه الأسئلة رغبة الأذوزي في إفحام نبيه، فحججه إلى مجالات معرفية مختلفة، وطرح قضايا معقدة وشائكة، كما أنها تبين نوعية المعارف التي كان العلماء يتداولونها ويهتمون بها ومناقشتها، وهي كما نرى تحتاج إلى زاد معرفي لا

(1) - «السائلون ثلاثة: مُستفت، ومسترشد، ومناظر»، "أعز ما يطلب"، ص: 205، (تح: عمار طالبي).

(2) - المساجلة في معناها اللغوي تعني: المباراة والمفاخرة.

(3) - "الرحلة"، ص: 104 وما بعدها.

(4) - نفسه.

يتيسر إلا لمن لهم الرسوخ في العلم والفقه أمثال الأدوزي والولاتي.
 إن الولاتي لم يتقاعس عن الجواب عن أسئلة الأدوزي كلها «بالحق الواضح
 الذي لا غبار عليه»⁽¹⁾ مع اقتناعه أن طرح بعض الأسئلة إنما هو مضیعة للوقت والجهد،
 وصرّفهما إلى ما لا طائل تحته. وقد صرح بهذا غير ما مرة، يقول بعد أن أجاب عن
 السؤال الرابع: «مع أن السؤال عن مثل هذا لا يفيد علما، فألست أهلك العلم وأقلامهم
 مصونة عن السؤال عما لا طائل تحته»⁽²⁾، ويقول بعد الجواب عن السؤال السادس:
 «وأما البحث في بيانه فمما لا يجدي ولا يفيد، كما أن السؤال عنه من العبث الذي لا
 يُعني ولا يزيد»⁽³⁾. ويقول في نهاية جوابه عن السؤال الخامس: «وهذا كله من الخوض
 الذي لا طائل تحته، ولا برهان عليه من كتاب ولا من سنة»⁽⁴⁾.

ورغم التنصيص المتكرر من قبل الولاتي بعدم جدوى أسئلة الأدوزي، فإنه أجاب
 عنها كلها، وكان بإمكانه أن يعرض عن الجواب مادام السؤال لا طائل تحته، بيد أنه لم
 يفعل لأنه ربما يخاف أن يكون إعراضه عجزا عن الجواب وانتصارا للفقهاء السوسی.
 لقد أجاب الولاتي عن الأسئلة سؤالا فسؤالا، وهو في أجوبته يعتمد الأدلة
 الشرعية ويفسرها حسب مقتضى اللغة العربية والشرع الإسلامي، وإذا نقل فإنما ينقل
 عن علماء ثقات.

بيد أن أجوبة الولاتي لم ترض الأدوزي، وهكذا راجعه في قضیة ابتداء النبوة،
 وكيف عرف العاقل أنه عاقل؟ فأجابه الولاتي عن القضية الأولى بما مفاده أن النبي صنی
 الله عليه وسلم عرف أنه نبي بالوحي، ولا علم له قبل الوحي بأنه نبي، وعسن الثانية بما
 مفاده أن ماهية العقل غير معقولة للإنسان حتى يتعقل الدليل الذي عقل به ماهية عقله.
 ولما وصل الجوابان إلى الأدوزي اعترض على جواب الولاتي في القضية الأولى
 بأحد عشر اعتراضا حاول من خلالها أن ينسف رأي الولاتي وأن يثبت رأيه الداهب إلى
 أن النبي عليه السلام عرف أنه نبي قبل بدء الوحي. ويبدو أن هذا الرد وهذه
 الاعتراضات هما الكتاب الذي ألفه في هذه القضية وسماه "العروس المخبوءة" في ابتداء
 النبوة، انتصارا لرأيه.

ويبدو من خلال حديث محمد المختار السوسی عن هذا الكتاب أنه وقف عليه،

(1) - "الرحلة"، ص: 105.

(2) - نفسه، ص: 108.

(3) - نفسه، ص: 114.

(4) - نفسه.

إذ نقل منه مفتحه، ثم قال معلقا عليه: «ثم أطلت النفس في الموضوع، وأكثر النقول، ولكن غالب ما ينقله ينقله عن كتب الصوفية، رحمهم الله، وقلما يُعرج على غيرهم»⁽¹⁾. ولما وصل هذا المؤلف إلى الولائي رد على اعتراضات الأدوزي، وبين بطلان ما يدعيه مستندا في رده إلى الكتاب والسنة، وإلى أمهات الكتب الفقهية والتفاسير المعتمدة، ولم يُعرج على أقوال الصوفية إلا مرة واحدة حين استشهد بكلام شيخه التجاني في تفسير آية استدلال بها⁽²⁾.

وقد بين منهجه في الرد والاستدلال حين قال: «فأجبت عن اعتراضاته كليا، تتبعتها كلمة كلمة بالنقض والإبطال بالأدلة الشرعية النقلية التفصيلية، والأدلة الكلية الإجمالية، والقواعد الشرعية القطعية، لا بالأدلة العقلية، ولا بالأدلة العادية، ولا بالكشوفات، ولا بالمراتي والخوارق، ولا بالإلهامات»⁽³⁾؛ «إذ لا حكم للعقل ولا للحس، ولا للوجدان في الشرعيات»⁽⁴⁾.

من القولة السابقة يتضح أن الولائي في رده سلك طريقة الفقهاء بالاعتماد على الأدلة الشرعية النقلية، وهذا ما خالف به مناظره الأدوزي الذي لم يسلك المهيغ ذاته، بل اعتمد في التدليل على صواب رأيه وخطأ رأي الولائي على آراء الصوفية وكتبهم، وقد سبق ذكر إشارة المختار السوسي إلى هذا المنزع: «ولكن غالب ما ينقله ينقله عن كتب الصوفية...»، وهذا المسلك لم يقبله الولائي لأنه - في نظره - لا تُبنى عليه الأحكام الشرعية، بل إن الولائي وأخذ على سلوك هذا المسلك لما قال له: «فالحاصل أنك أيها الأخ شحنت كتابك بكلام أهل التصوف الذي لا يوافقه دليل من كتاب ولا من سنة، وإنما هو من طرق الكشف المنبوذة شرعا، وشحنته أيضا بحكايات كشفهم وخوارقهم تستدل بذلك على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى وقت علمه بها، وما به علمها. وقد اتفق الفقهاء على أن ذلك لا عبرة به، ولا اعتداد به في شيء من الشرعيات، فأحرى أمر النبوة ودلائلها»⁽⁵⁾.

إن مسلك الأدوزي في الاستدلال مرفوض لدى الولائي رفضا مطلقا، ولهذا حذره من سلوكه مرة أخرى في مُحاججته فقال له: «فإياك إياك يا أخي إن أردت أن

(1) - "المعسول": 174/5.

(2) - "الرحلة"، ص: 133.

(3) - نفسه، ص: 114.

(4) - نفسه، ص: 112.

(5) - "المعسول": 174/5.

تكتب لنا شيئا في هذه المسألة، أو في غيرها من المسائل الشرعية أن تورد لنا فيه كلام أهل الكشف والتصوف الذي لا دليل له من كتاب أو سنة. وإذا أوردت آية أو حديثا فلا تفسرهما إلا بكلام الفقهاء الذي تقتضيه اللغة، فإنه لا عبرة به شرعا. وقد اتفق الفقهاء على أن تفسير القرآن أو الحديث بما لا يقتضيه من حيث اللغة اعتمادا على كلام أهل الكشف من المتصوفة إلحاد في الدين»⁽¹⁾.

فهل استحباب الأدوزي لتحذير الولاتي وعدل عن مسلكه؟ كلا، بل أجابه بقوله: «هذا الرجل قد نادى على نفسه بالجهل وقلة المعرفة، لأنه رام أن يُبذل علم التصوف بأسره لأنه عن أهل الكشف وأرباب القلوب أخذ. وهذه حماقة، كمن أراد ردَّ نور الشمس في كبد السماء، والاستدلال على مثل هذا تحصيل الحاصل الذي يضيع معه العمر»⁽²⁾.

إن رد الأدوزي هذا فيه ثامل على الولاتي وتقويله ما لم يقل، لأن الولاتي لم يدع إلى تبذ علم التصوف جملة وتفصيلا، بدليل أنه متصوف على الطريقة التجانية، وإنما رفض الاستدلال بأراء الصوفية وكشوفاتهم ومرائبهم في المسائل الدينية فقط.

وإذا تأملنا جيدا كلام الأدوزي السابق سيبدو لنا فيه تغتته وهدفه المضمر من مساجلة الولاتي. هذا الهدف الذي يتجلى في إظهار جهل الولاتي وقلة معرفته، تأمل معي هذه العبارة: «هذا الرجل قد نادى على نفسه بالجهل وقلة المعرفة...». إنها الهدف المنشود، وقد وصل إليه الأدوزي في النهاية حسب رأيه. ويعضد هذا ما نقرأ في عبارة أخرى يظهر منها أن الأدوزي لم يُرفه ما تمتع به الولاتي من صيت ذائع ومكانة عالية في العلوم والمعارف، يقول: «لما رأيت غلو الناس في مدح علوم هذا الإنسان قبضت له رجلي، ثم أقول اليوم: الآن بمد أبو حنيفة رجله»⁽³⁾. ألا ترى معي أن الأدوزي غاظه ما يتمتع به الولاتي من ذبوع صيت من غير استحقاق لأن الناس إنما يغالون في مدح علوم هذا الرجل الذي لم يسمه الأدوزي إلا بـ "الإنسان" تنكيرا له وتحقيرا، ثم إن الأدوزي لما خبر علمه ومعرفته مد رجله إحالة على من كان يظنه أبو حنيفة عالما فقبض له رجله احتراما، فلما تبين جهنه مد أبو حنيفة رجله.

وإضافة إلى ما سبق، فإن الأدوزي كان ينوي تأليف كتاب آخر ليرد على الولاتي، واختار له هذا العنوان: "صخرة العصر على بعض أهل العصر" الذي يدل على

(1) - "المسول": 174/5.

(2) - نفسه: 175/5.

(3) - نفسه.

هذه الرغبة الجامحة في التحطيم، تحطيم الآخر لإظهار تفوق الذات. ننتهي بعد بسطنا لأطراف من هذه المساجلة العلمية بين عالم سوس وعالم الصحراء إلى أن المتساحلين يقفان على طرفي نقيض؛ لأن الأول -العالم السوسي- يسير في مهيع التصوف، والمنزع الصوفي هو أحد الجوانب البارزة في شخصيته، إن لم نقل إنه كان الطاعني عليها⁽¹⁾، بينما كان الثاني -العالم الصحراوي- ينزع منزعا فقهيا رغم كونه صوفيا بجانبا. وأنتى هذين الطريقين أن يلتقيا؟ أو يتفقا على رأي واحد، وهكذا بقي الأدوزي والولائي متشبهين برأيهما، وانتهت المساجلة دون تحقيق أي هدف سوى استعراض كل من المتساحلين لما لديه من بضاعة وما يملكه من طرق الحاجة والاستدلال. وتخلص في النهاية إلى أن رحلة محمد يحيى الولائي الحجازية قد أوقفتنا على جانب مهم من جوانب التواصل العلمي بين سوس والصحراء، هذا الجانب تجلّى في المساجلة القيمة والممتعة التي بسط الولائي وقائعها في رحلته والتي دارت حول قضايا علمية مختلفة أهمها مسألة ابتداء النبوة، وانتهت إلى ما وقفنا عليه سابقا.

المراجع:

- الارتباط الثقافي بين المغرب و صحرائه، منشورات جمعية رباط الفتح. (أعمال ندوة نظمها الجمعية في نونبر 1991)، المطبعة الملكية، الرباط 1998.
- ثقافة الصحراء، د. عباس الجراري، دار الثقافة، الدار البيضاء 1978.
- الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، د. محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1978.
- الرحلة الحجازية، محمد يحيى الولائي، تخريج وتعليق: د. محمد حجي. منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، الطبعة الأولى 1990.
- روضة الأفنان في رفيات الأعيان، محمد بن أحمد الإحمراري، تحقيق: حمدي أنوش، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، 1998.
- مدينة تزنيّت وباديتها، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، 1996.
- المعسول، محمد المختار السوسي، الطبعة الأولى.
- الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية: معلمة الصحراء، عبد العزيز بن عبد الله، مطبعة فضالة، 1976.

(1) - "شخصية محمد بن العربي الأدوزي العلمية من خلال شرحه لرحلته"، محمد الحفاقي، ندوة: تزنيّت وباديتها، ص: 272.

أدباء صحراويون في المدرسة الإلغية

المهدي السعيد (*)

مقدمة:

بين سوس والصحراء علاقات وطيدة في كل الميادين، فمن سوس دخل ترسيخ الإسلام إلى الصحراء، وانتشر على عهد المرابطين وزعيمهم عبد الله بن ياسين التمارتي الجزولي، ومن الصحراء انطلق المرابطون ليوطدوا دولتهم في المغرب كله. وترجع العلاقات السياسية والاقتصادية إلى قرون قبل ذلك في عهد حكم الولاة للمغرب، واستمرت بتكاثر الهجرات القبلية من منطقة إلى أخرى لأغراض مختلفة خاصة طلب العيش الرغيد، ولأغراض علمية حيث يستوقفنا في القرن الثامن الهجري مظهر من مظاهر التواصل العلمي وهو خير عن هجرة خمسة من أبناء مدينة تارودانت إلى منطقة شنقيط، حيث تعاينوا على الاستقرار هناك والصبر على نشر الإسلام والعلم⁽¹⁾، كما تواصلت خلال القرون التالية وفادة العلماء الصحراويين على سوس، ولعل أكثرها أهمية في العصر الحديث هجرة الشيخ ماء العينين - رحمه الله - أوائل القرن الرابع عشر الهجري.

وتبعاً لهذا التواصل العلمي نشأت صلات علمية وأدبية بين علماء الإقليم نتيجة اهتمامهم بالأدب وولعهم به دراسة ومطالعة وإبداعاً، فكانت لقاءاتهم مناسبات لمعاظرة كؤوس الآداب ولإقامة نواد أدبية حافلة بفنون القول.

وقد طاب للمقام للأدباء الصحراويين في المراكز العلمية السوسية خاصة المدارس الأصيلية، حيث كانوا يستقبلون خير استقبال، ويحتفى بهم، ويستقرون ما طاب لهم الاستقرار.

ومن المراكز العلمية التي أقام بها الأدباء الصحراويون حتى صاروا كآهلها المدرسة الإلغية⁽²⁾ التي زارها أو استقر بها مدة من الزمن عدة أدباء صحراويين، نذكر منهم محمد

(*) - أستاذ جامعي - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الحادير.

(1) - "بلاد شنقيط: المنار والرباط"، تحليل التحوي، ص: 98، تونس 1987.

(2) - "شعر داود الرسومي"، تحقيق: الراضي اليزيد، ص: 42-43، نشر جمعية إيلغ 1992.

تحيى الولائي ومحمد بايه الصحراوي والشيخ سيديا ومحمد سالم العلوي الصحراوي ومحمد الإمام بن الشيخ ماء العينين وماء العينين بن العتيق والمحمود الحضرمي وسيدي محمد بن عبد العزيز^(١). وقد استقر هؤلاء الأدباء بالغ مددا طويلة حتى صاروا من أهل ذلك البسيط، وكذلك اعتبرهم الإلغيين واهتمامهم بالأدب وبإجادتهم لفنونه، من ذلك تفضيل الشيخ أحمد الهية بن الشيخ ماء العينين الأستاذ الأديب علي بن عبد الله الإلغي عن كل معاصريه في الكتابة الثرية، وذلك بقوله: «... إن الأستاذ الإلغي في النثر أبرع ولا يشق له فيه غبار، وليس دون وادي أم الربيع إلى شنتيقت من يوازيه في النثر»^(٢).

١- أسباب اتصال الصحراويين بالإلغيين:

للاتصال الصحراويين بالإلغيين وتوطد أسباب الخبة والصدقة فيما بينهم عدة أسباب يمكن إجمالها فيما يلي:

- قرب المدرسة الإلغية من الصحراء، فهي تقع جنوب الأطلس الصغير في منطقة مطلة عليها تبعد حوالي 100 كلم شمال إيمي أوكادير (فم الحصن). من ثم كان التقرب مساعدا على الاتصال.

- اشتهار المدرسة الإلغية رغم كونها من المدارس المتأخرة في التأسيس، إذ بنيت سنة 1297هـ، لكنها بلغت شأوا كبيرا بعد تأسيسها الفقيه الأديب الأستاذ محمد بن عبد الله الإلغي. ثم خلفه من بعده أخوه علي، وخرجت عشرات الطلبة الذين انتشروا في سوس والصحراء، بل في مناطق المغرب، ناشرين ذكرها، ومنوهين بها، مما شوق علماء هذه المناطق إلى زيارتها ولقاء أساتذتها.

- اشتهار المدرسة الإلغية بنزعتها الأدبية التي أسست عليها من أول يوم، فكانت دراسة الآداب ومطالعة كتيبه وعقد ندوات لتداوله وتشجيع الإبداع عبر المراسلات والمساحلات من عادات الإلغيين الراسخة، وقد استرعى ذلك انتباه الصحراويين الذين كانوا مغرمين بهذا النهج المبالي إلى أهلهم وعيالتهم إلى الأدب سجية، قال الشيخ محمد الإمام في كتابه: "الجأش الربيط": «وأما فنون الآداب في سائر أحوالها والأشعار والمحاضرات فهي جيلة في كثير منهم، لا يحتاجون فيها كثير معاناة، فهي من باب

(١) - "المفسول"، المختار السوسي: 26/3 وما بعدها، و284/4 وما بعدها.

(٢) - المرجع نفسه: 349/1.

السجاية والغرائز»⁽¹⁾. وهكذا كان لقاء الصحراويين بالإلغيين واتصالهم بهم لقاء الأديب بقرينه والصديق بخله.

- مشاركة الإلغيين وخاصة أساتذة المدرسة في الحركة الجهادية للشيخ أحمد الطيبة، ومساندتهم لها بالنضال العسكري وبالمناصرة بلسان الأدب في إطار ما واكب ذلك الجهاد من حركة أدبية نشيطة، كانت مناسبة لبروز أدباء المدرسة الإلغية: «ففجرت قرائحهم، وشجذت أذهانهم، وألمتهم قصائد شعرية جيدة»⁽²⁾. فكانت هذه الحركة الجهادية مناسبة أدبية لفت فيها أدباء المدرسة الإلغية وتلاميذها أنظار الصحراويين إلى أدبهم وإبداعاتهم. ومن شارك في هذه الحركة من تلاميذ المدرسة الإلغية نذكر الشاعر الطاهر الإفرائي الذي كان: «... ينبل هذه الحركة الصداح، فقد تغنى بمحمد الأسرة المعنوية، وأشاد بالطيبة وخليفته من بعد، ووشح صدريهما بأوسمة الشعرية الرائدة، وحنّد مآثر هذه الأسرة بقصائده الطنانة»⁽³⁾. ثم محمد التونسي التلملي ومحمد بن عني الإلغي وأحمد أبناو الإيعشاني وأحمد بن سعيد الإكماري والفقير الأستاذ عني بن عبد الله الإلغي. وقد سجل إبداعات كل هؤلاء الشعراء الأديب ابن العتيق في كتاب له بعنوان: "بحور البدائع المحتوية على درر الأشعار المصطفوية"⁽⁴⁾.

2- الأدباء الصحراويون النازلون بالمدرسة الإلغية:

نزل بالبحر، كما أشرنا من قبل، عدد من الأدباء الصحراويين مددا متفاوتا، استضافهم فيها الإلغيون مكرمين وفادتهم. ومن هؤلاء الصحراويين:

- العلامة محمد يحيى الولائي (1260-1330هـ): ينسب إلى قبيلة ولاتة في الحوض جنوب شنقيط، أخذ عن علماء بلده، ثم زاول التجارة والتدريس، وعند ارتحاله لنحج في شهر صفر 1312هـ مر بالبحر، فاستضافه الإلغيون مدة خمسة عشر يوما، واستغنوا مقامه لأخذ البيان عنه، قال عن ذلك في "رحلته": «... فأوانا الليل إلى بيت سيدي عني، ففرح بنا ورحب، وأنزلنا في مكان وطيء طيب، فأقمنا عنده ست عشرة ليلة، فوجدناه يدرس علم المعاني والبيان لبعض طلبته وهو لا يحسنهما، فأصلحنا له بعض ما احتل في تصاب الدرس الذي يفسر لطلبته. فأقبل إلينا، وصار يتعلم هو وطلبته

(1) - "الجافز الربيع"، الشيخ محمد الإمام، ص: 40، مطبوعات دار العلم، 1957.

(2) - "شعر داود الرسموكي"، ص: 43.

(3) - المرجع نفسه، ص: 44.

(4) - "تحليل جزولة"، المختار السوسي، 187/2.

منا علم المعاني، فتعلموا منا ما أمكنهم تعلمه في المدة المذكورة»⁽¹⁾.

- الشيخ سيدي الديباني الصحراوي (1295-1373هـ): من بني ديمان القبيلة التي انتشر فيها العلم، درس بين أهله ثم على الشيخ ماء العينين في السمارة، وبقي ملازماً له، ثم صحبه في هجرته إلى سوس حيث تنقل بين تزيت وأيت رخا وإلغ وتالعيت بأيت جرار، وقد استقر بإلغ بضع سنوات في ضيافة علي بن عبد الله الإلغي. ولسعة علمه وعمق معرفته اللغوية كان الإلغيون يستعينون به في درس المسائل العويصة⁽²⁾.

- محمد بابيه الشنكيطي: مريد الشيخ ماء العينين، وناسخ كتبه أديب أرحي وشاعر مفتق، استقر بإلغ عند الأستاذ علي بن عبد الله الإلغي مشاركاً في الندوات الأدبية، قال عنه العلامة السوسي: «كان لمتحرم ذكاء وقاد، وقرينة أدبية علمية، فكان يشارك في كل ما يعن في المجالس الإلغية من البحوث، فكان مما يشارك فيه إرسال القوافي...»⁽³⁾.

وقال عنه محمد الإمام بعدما وصف حسن خطه وحقه للقرآن الكريم حفظاً ورسمًا وحسن أداء: «... وهو فوق ذلك شاعر مفتق، حسن الأخلاق، رقيق الحاشية، لذيق المفاكهة، عزوف عن سفاسف الأمور، مهذب الطباع، يتوقد ذكاء، كرس حياته على علم يفيد أو يستفيد، مع انقباض عن سوى ذلك، لا يطيب له المقام في كثير من الأوقات إلا في إلغ لما رأى في أهله من الدين المتين والفضل، ولهم به حماسة وإعجاب كبير»⁽⁴⁾.

- محمد سالم الصحراوي (1322-1364هـ): من قبيلة إداو علي نزل أبوه على الشيخ ماء العينين وصحبه، وهناك نشأ ودرس على يد محمد بابيه والشيخ النعمة وعن غيرهم من علماء الصحراء كما درس اللغة والأدب شأن الصحراويين. ثم لازم الشيخ النعمة حتى وفاته فعاد إلى الصحراء ثم رجع إلى سوس، وسكن بإلغ ضيفاً على الفقيه المدرس المدني بن علي الإلغي: «... يقاسمه ما تيسر، مع ضيق ذات اليد... نحو ثلاث سنوات»⁽⁵⁾. كان أديباً مفوهاً، قال عنه العلامة السوسي: «هذا شاعر فطري مفوه

(1) - "الرحلة الحجازية"، محمد يحيى الولايتي، ص: 31-32، تفريح وتعليق: د. محمد حجي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، الطبعة الأولى.

(2) - "المعول": 26/3.

(3) - المرجع نفسه: 29/3.

(4) - نفسه: 29/3.

(5) - نفسه: 36/3.

عبقري، يعرف كيف يسبك وكيف يصوغ؛ ولم يلفت نظري مما يقوله الصحراويون النازلون بسوس بعد الفحلين الفذين محمد الإمام وابن العتيق إلا أقوال المترجم»⁽¹⁾.

- محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين (1311-1389هـ): درس على الشيخ الحضرمي والأحمد الأبياري ومحمد البيضاوي وعن الأديب محمد بايه وعلي والده الشيخ، برز في الأدب حتى قال فيه السوسي: «شاعر مفوه، لا أقدم عليه وعلي ابن العتيق..»⁽²⁾، كان ينفذ مرة بعد مرة على إلغ في وقد من الصحراويون ينزلون على الأستاذ علي بن عبد الله الإلغي. فيستقبلهم بالقصائد الرائقة مرحبا، ويحيونه على العادة الجارية في مقابلة القرى الأدبي بأفضل منه.

- ماء العينين بن العتيق (1310-1376هـ): درس على أستاذه ريني وعلي عمادو بن سيدي وعن خاليه الشيخين الطيبة والتعمة، وأنهى دراسته على جده الشيخ ماء العينين، قصدر عنه عالما محصلا أدبيا متفوقا، وقد رأينا قول العلامة السوسي فيه حين جعله قرين خاله محمد الإمام، كان ينفذ على إلغ زائرا رفقة خاله المذكور، فيشارك في الندوات الأدبية الإلغية⁽³⁾.

- محمد بن عبد العزيز (1290-1370هـ): درس على الشيخ ماء العينين ولم يأخذ عن سواه، ولزم أبناءه من بعده، فكان كاتباً لشيخ الطيبة وقاضيا في حضرته ثم مع أخيه الشيخ مربية ربه، اشتهر بتقواه وورعه، كان يزور إلغ أحيانا ضمن الوفد الصحراوي⁽⁴⁾.

- المحفوظ بن الحضرمي: سبط الشيخ ماء العينين، كان ولوعا بالأدبيات حفظا وجمعا لآثار أهله منها، وكان ينفذ على إلغ مع وفد الصحراويين⁽⁵⁾.

3- مظاهر التواصل الأدبي بين الإلغيين والصحراويين:

رأينا أن الصحراويين يعشقون الآداب وأنها فيهم جيلة، وذكرنا شغف الإلغيين بالآداب وتشيعهم بالأريحية، فكان طبيعيا أن تنفق سوق الآداب عند لقائهم، وتروج الأشعار والرسائل فيما بينهم، وقد برز ذلك في عدة مظاهر هي:

- المظهر الأول: الوفد الأدبي:

ازدهرت المدرسة الإلغية فخرجت التلاميذ النابغين الذين انتشروا في سوس،

(1) - "المعسول": 36/3.

(2) - "المعسول": 284/4.

(3) - المرجع نفسه: 294/4.

(4) - المرجع نفسه: 299/4.

(5) - نفسه: 299/4.

وجعلوا من المدارس التي أقاموا بها للتدريس حقائق أدبية غناء انتشر عبيرها في المغرب كله، ولم ينقطع اتصال التلاميذ بأساتذتهم، بل كانوا يزورونهم مرة بعد مرة، واتخذت هذه الزيارات طابعا أدبيا صرفا، حيث كان الوافدون أفرادا أو جماعات ينظمون قصائد في مدح شيوخهم؛ لأنهم كانوا يعلمون أن أفضل ما يقدم للأديب هو الإبداع الأدبي، وكان الشيوخ المضيفون يردون على تلك القصائد بما يماثلها وزنا وقافية، في مساحلات متتالية ترفع للأدب رايته، وتتفق بها أسواقه.

وهكذا نشأ تقليد الوفود الأدبية والقرى الأدبية، ولم تقتصر هذه العادة في الاحتفاء بالوافدين على تلاميذ المدرسة، بل تجاوزتهم إلى كل وافد أديب يعرف للأدب قيمته، ومن هذه الوفود التي كانت تتردد على إلغ نذكر الوفد الإفرائي ورئيسه الشاعر الفحل الطاهر الإفرائي، وكان هذا الوفد يضم أدباء مدرسة تانكرت ووادي إفران، كما كان للأدباء الصحراويين وفدهم الذي كان يرأسه الشيخ محمد الإمام ويضم الأدباء: ماء العينين بن العتيق والمحفوظ بن الحضرمي وغيرهم، وقد وفد الأولان مرة على إلغ فقال النقيب الأديب عبد الله بن محمد الإلغي يستقبلهما⁽¹⁾:

أهلا أسيدنا الإمام والعلم * ما العين من بهما قد ضاعت الظلم
أقبل والله لي السعد المبين بطن * عمة محبيكما وزالت الغمم
فمرحبا بكما خير الوري كرم * فأنتما خير من وفئت لهم ذمم
فأجابه ابن العتيق:

جزيت بالخير يا من دأبه الكرم * لا يعزبك ونى عنه ولا سام
فمن ينعم بك عبد الله راحلة * عن قلبه ينزح الإحاش والغمم
دامت بنا ويكم موصولة رحم * وإغما رحم الآداب ذي الرحم
وأجابه كذلك محمد الإمام مغيرا الوزن والقافية:

فبوركت عبد الله لجل محمد * كريم السجايا طيب الأصل ماجده
تلقينا بشرا فتلكم فيكم * أبا آل عبد الله الزم قاعده
أبوك الذي عمت مزاياه في الوري * ولا عجب أن شابه النجل والده

— المظهر الثاني: الندوات الأدبية:

كان من عادة الأدباء الإلغيين عقد ندوات أدبية لتداول ما جد من إبداعات

(1) — "المسول": 286/4.

خاصة إذا كان هناك ما يستدعي ذلك كميلاد مولود أو زواج أو أوبة من سفر أو حج... أو غير ذلك، وكان الأدباء الصحراويون يحضرون هذه المجالس: ويشاركون فيها، فتمتزع أقوال أدباء الصحراء بأدباء سوس في انسجام وتآلف حتى سماها بعض المؤرخين ندوة الأدباء العرب والعجم⁽¹⁾، وكانت هذه الندوات مجالاً لعدة أنشطة منها:

• **المباحثات اللغوية:** كان الإلغيون مفتونين باللغة وبالحث فيها وضبط معانيها⁽²⁾، فكانت مجالسهم لا تخلو من بحث في كتب اللغة، وكان الصحراويون يساهمون بما لديهم من معرفة لغوية عميقة، ومن هؤلاء الشيخ سيديا الديناني. ففي بعض المجالس جرى ذكر كلمة لغوية وحوار المتنبون فيها، «... فقال الأستاذ علي بن عبد الله الإلغي: أفتى ومالك في المدينة؟ أيمكن لأحد أن يقول وهذا الشيخ سيديا الذي إليه الأعنة؟ فكل الصيد في جوف الفرا». كما جرى مرة أخرى ذكر كلمة إلغ، هل تصرف؟ أم تمنع من الصرف؟ فأتى سيديا ببيت السيوطي في "الفريدة":

وابن البلاد والقبيل والكلم * على الذي تقصده كما رسم
ومقصوده أن لك صرفه وعدم صرفه، وهكذا يكون علمه معه رحمه الله⁽³⁾.

• **المساجلات الشعرية:** تعتبر الندوات الأدبية مناسبة للمساجلات وإثارة القرائح لتعاطي الأشعار وحث الحاضرين على المشاركة في ذلك الجو الأرنحي الإخواني. وقد كان الصحراويون النازلون ببالغ يشاركون بارتجال القصائد والمقطعات في مخاطبة الإلغيين وفي الرد على الوفود النازلة هناك.

ومن المساجلات التي شاركوا فيها تلك التي بدأها الشاعر محمد بن الطاهر الإفرائي، وقد وفد على أستاذه علي بن عبد الله الإلغي بقصيدة رائعة مطلعها⁽⁴⁾:

سيري مطية وقطعي البداء * فعسى يبتغى المسير رجاء
فأجابه الأستاذ الإلغي بقصيدة مطلعها:

هدي بروق في الحمى تترأى * أم تغر مهْدَد في السراقع ضاء

(1) - "المعسول": 286/4.

(2) - بل هذا ديدن كل المغاربة، وما يحكي من طرائف هذا الشغف باللغة والحرص على صحتها أنه عندما انتهى الدكتور طه حسين في بعض زياراته للمغرب من إلقاء محاضرة، مثل بعض العلماء المغاربة ممن كان حاضرا عن رأيه فيما قال، فأجاب وهو يبدى أصابعه المعقودة: لقد نحن سبع عشرة مرة، وهاهي ذي أصابعي لازالت معقودة على أخطائه.

(3) - "المعسول": 27/3.

(4) - "المعسول": 30/3.

فقال الشاعر الأديب محمد بابه وقد هزته الأرضية:

عهود الصبا ذكرت يا هبة الصبا * فلا حرج إن حنّ ذو الشوق أو صبا
ويا نسعات القرب هل من وسيلة * إلى معهد الأحباب في زمن الصبا
ويا نسمة الأسحار هل لك لمة * بقلب مشوق بالغمّام تنهيا
ويا سلسيل الوصل هل لحشائني * شفاء من أشفاء إلى القبر قربا
ويا بارق البرق المموج معارضا * شئت لعمى أعمى المؤشر أنشأ
كفأك فقد حرّكت ما كان ساكنا * وحاكيت لكن كان أضوا وأعذبا
رعى الله أيام الصبا وصفاءها * من أكدار ولش أو رقيب ترقبا
تقربت الأحوال من طول عهدها * ولا عجب فالدهر ما انفك قلبا
لحى الله دهرًا راعني بفراق من * أود وأبلى بالوشاة وعذبا
وصير قلبي لا يفارق محني * رقيب تسدي أو حبيب تغيبا
فيا دهر مهلا قد تسنمت نفحة * بوفد لها لا بد أن أناهيا
بوفد حباننا ما حبا بقدمه * ألا مرحبا أهلا وسهلا ومرحبا
ومن هذه المساجلات تلك التي خاطب بها محمد سالم الصحرأوي أحمد بن
الشيخ علي الدرغاوي يطلب رفده، فأجابه بناية عنه الطاهر بن علي الإلغي مداعبا، قال
الصحرأوي في مطنعها⁽¹⁾:

مني إليك مع المدائح أحمد * أنسى سلام لا يزال يجدد
فأجابه الطاهر بن علي الإلغي يداعبه متجاهلا قصده:

يا من يطيب به الزمان الأنكد * ويطيب منه مصدر والمورد
أنس الحزين ونجعة للمعتفى * ذاك الإمام ابن الإمام الأجد
منا على صوغ غلدوت بدره * ما الشعر يصيبنا سلام يعمد
هذا وإن شعركم في قنبنا * معنى يكاد من اللطافة يعقد
ما فيه من عيب وحقت غير ما * يبدو لحضرتكم إذا ما ينشد
لم ندر ما قصد الأديب بشعره * أمن النوال به يقام ويقعد؟
إن كان ذلك مثل ذاك فلا يكن * طول الزمان من المياه توقد
أو كان مدحا خالصا فجوابه * ما قال سيدنا النبي محمد

(1) - انظر المساجلة كاملة في "مزعجات الكورس في آثار طائفة من أدباء سوس"، مخطوط لدي نسخة
منه، ص: 351-352، وفي "المسول": 36/3.

أحسوا التراب بأوجه المدايح ذا * ك جزاء مثلك يا فصيح محمد
أو قلت إني ما أقول لغير وجه * الله والمجد الصمسم يشيد
فجزيت عما قلت من رب الورى * خير الجزاء به تسود وتسعد
منا عنيك مع الجواب تحية * كالروض يشدى مع الحمام يغرد
لا تأخذن الشعر في إبطائه * فنظير شعرك في الورى لا يوجد
أنى يرى أبناء ممس في القوافي * في مثل أبناء لعيلة محمّد
وقال العلامة محمد المختار السوسي عن تلك المداعبة السجالية: «انتهت المداعبة
التي فاكه بها الإلغيان ذلك الأديب الشنكيطي اللطيف الفكه، فإن كانت المهددة في هذا
الشعر زيادة على الإبطاء والإقواء قلادة في عين القارئ، فذلك كله مقصود عمدًا، وإلا
فلا يُفَعَّقُ لأديب إلغي في ذلك بشان، والصحراويون يقولون في السوسيين ومن إليهم
أبناء ممس من أعلام النسوة عندهم كعيلة عند العرب»⁽¹⁾.

- المظهر الثالث: المراسلات:

لم يكن التواصل الأدبي متحققا بين الصحراويين والإلغيين بالتلاقي في إلغ أو في
حضرة الشيخ أحمد افية، بل كان مستمرا بالمراسلات الأدبية التي كانت تنتقل بين إلغ
وترنيت أو آيت ارخا أو كردوس، وهي مراسلات كثيرة يغلب عليها الطابع الأدبي
البياني، حيث الاحتفاء بالسجع والجناس والطباق، والترصيع بالأبيات المحكمة، ونقل
القصائد الطنانة، ومنها رسالة من محمد بابو إلى الأستاذ علي بن عبد الله الإلغي يعتذر
فيها عن تأخره في القدوم إلى إلغ قال فيها:

«... حدث حادث، وهجمت إحدى الكوارث، فتأخرت عن الموعد، إلى أن
تمر عيد المولد، ثم أفى بقدمي عاجلا، راكبا وإن لم يأتي منكم مركوب آتيكم راجلا،
وسيدنا الإمام يسلم عليكم وهو يشاق إليكم، وطالما أفاض عنكم أيها الإلغيون من
دعواته، لتبقوا دائما مفخرا من مفاخر نبلاته، وقد أنشدني يوما وقد اعتذرت له عن
تخليفي عنه بلزومكم وهو يقصد أحوالكم وكيف يكون الضيف عندكم:

نزلت على آل المهذب شاتيا * غريبا عن الأوطان في زمن الخجل
فما زال بي إحسانهم وافتقادهم * وبرهم حتى حسبتهم أهلى»⁽²⁾

(1) - "مزعجات الكورس في آثار طائفة من أدباء سوس"، ص: 352، (مخطوط).

(2) - "المعسول"، 31/3.

— المظهر الرابع: تقدير الصحراويين للإلغيين:

تأثر أدباء الصحراء بما لقوه من الإلغيين من حسن ضيافة وكرم غامر وبر ومن قرى أدبي ممتع، فعبروا عن تقديرهم لهذا الخلق ولأصحابه، ومن أوائلهم محمد يحيى الولاتي الذي قال⁽¹⁾:

يا أهل تحت الحصن أنتم فوقه * معني وحصنكم بعلم يشرف
ما ضر من بالفوق معني وصفه * إن كان في حسن بتحت يوصف
فارقوا جحد واجتهاد للعللا * ترقوا معالي حدها لا يوصف
ثم محمد باب، الذي قال⁽²⁾:

بنو إلح أهل العلم والمجد والفضل * يصدق فيهم كل ما مسهب يملئ
علوم وآداب وجود وخلصة * صفت كرحيق كأس أو شهدة النحل
ودين ودنيا والشهامة كلما * يشار إذا جد التضال إلى النصل
وجود فمن يلتم بهم يسر أنه * وإن لم يكن من أهلهم أحد الأهل
نسب الصبا سلم على إلح من قتي * يرى كل إلغي له مخلص الخل
ثم ماء العبتين بن العتيق الذي قال⁽³⁾:

يا آل تحت الحصن إن يقع النوى * فيحفظ ودكم الفؤاد زعيم
لأزلتكم مأتى الوفود وإن دهمت * سنة وناب من الخطوب عظيم
إننا بلونناكم فالغياكم * ما منكم في الثائبات مليم
أنتم مناخ بن السبيل وحيكم * أبدا بقارعة الطريق مقيم
(إن امرءا جعل الطريق لبابه * طيبا وأدى حقه لكريم)

إلى غير ذلك من القصائد والمقطعات الدالة على ما بين الفريقين من المحبة الثابتة المتأصلة المبنية على إجلال العلوم وعشق الآداب مما اشتهر وانتشر في سوس ووصل صدها إلى آذان محبي الآداب في كل مكان، وقد سجل أثر هذا الاتصال بين أدباء إلح

(1) - "المسول": 64/1.

(2) - المرجع نفسه: 66/1.

(3) - المرجع نفسه: 65/1، والبيت الأخير بيت قديم مضمتا بعد تعديل، وأصله:
إن امرءا جعل الطريق لبابه * طيبا وأنكر حقه للقيم

والصحراء الشاعر الفذ الحسن البونعماني بقوله⁽¹⁾:

حييت إلغ فما أجلك مجعاً * لوفود شعر أين من يستكف
علماء صحراء الفسيحة جددوا * فيها عكاظا للنهي تستوقف
أحبا للولائي في الموات حدائقا * غلبا بفكر في المعارف تقطف
وابن العتيق مطرب بقريضه * وعليه أعلام البيان ترفرف
وعليهما نبغاء إلغ أغدقوا * كرما وآدابا وما يستظرف
هم أفعموا من كل فذ أكوسا * للوافدين وبالنوادر أنحفوا
صف بالمفاخر إلغ فهي جديرة * وأنا بـإلغ في المفاخر أعرف

هذه، إذاً، بعض مظاهر التواصل الأدبي بين الصحراويين والإلغيين تعبر عن عمق الترابط الثقافي والفكري بين سوس والصحراء، وهذا التواصل في حاجة إلى دراسات أكثر عمقا بالاستناد إلى ما يجد من وثائق ومخطوطات تبرزها الدراسات المتعمقة بإسهامات هذين الإقليمين في النهضة الثقافية والفكرية التي شهدتها المغرب خلال تاريخه الحافل.

(1) - "ديوان الحسن البونعماني"، جمع وتحقيق ودراسة: الحسين آغا، ص: 475، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1996.



العالم الشيخ محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين
وعن يمينه محمد بن الشيخ مريبه ربه، وعن يساره الفقيد

المساحلات الشعرية بين شعراء سوس وشعراء الصحراء المغربية

ماء العينين النعمة علي (*)

عرفت الصحراء المغربية نهضة ثقافية متميزة، عمّت سائر المجالات الأدبية والعلمية، وساهمت في إغناء حركة التأليف والبحث. فنبغ فيها علماء وأدباء كبار، خلفوا أعمالاً أدبية وعلمية غزيرة، استطاعت أن تنهض بالتراث الأدبي. وأن تخرجه من الانغلاق والجمود الذي كان يعيشه.

ويعتبر الشعر أبرز وجوه هذه النهضة، فقد ازدهر 'ازدهار' كبير في الصحراء. وظهر سامقاً على الألوان المعرفية والفكرية الأخرى، ولا نكاد نجد قطراً من أقطار البلاد العربية يبرر فيه من الشعراء الفحول، مثل ما نجده في الصحراء المغربية.

وتسجني معالم هذا الازدهار، فيما خلفه أدباء هذه المنطقة من ثروة شعرية غزيرة، وتركوه من دواوين ضخمة كبيرة، مما يدعو إلى القول بأن الحركة الشعرية الصحراوية، لم تكن متخلقة عما شهدته باقي المراكز الثقافية في شمال المغرب، من رقي فكري وأدبي، ولكنها توازي في تراكمها الكمي، وتعبيرها عن واقع المرحلة التاريخية التي عاشتها، ما عرفته سائر الأقاليم المغربية، من نشاط شعري. إن لم نقل تفوقها، كما وكيفاً.

ولا غرو فيما ذهب إليه العلامة الشنقيطي من أن الصحراء المغربية «يسكنها الشعراء وعشاق الشعر»⁽¹⁾. أو ما قاله المختار السوسي من أن قول الشعر كان «أسهل على الصحراويين من شرب الماء»⁽²⁾. وهذا ما يؤكد الدكتور عباس الجراري قائلاً: «الصحراء بطبيعتها شعر، وأهل الصحراء يكادون أن يكونوا كلهم شعراء، بل إنهم يقولون الشعر كما يتنفسون الهواء»⁽³⁾.

(*) - أستاذ باحث - تزيت.

(1) - "الوسيط في تراجم أدباء شنقيط"، محمد الأمين الشنقيطي، ص: 4.

(2) - "حلال جزولة"، المختار السوسي: 20/1.

(3) - "شعر الصحراء"، عباس الجراري، مجلة دعوة الحق، العدد: 273، السنة: 30، يناير-مارس

1989، ص: 113.

ولم يكن شعر الصحراء شعرا منعزلا متغلقا يتحرك في بيئته، ولكنه كان وما يزال وسيلة تواصل بين الشمال والجنوب: «تند أطرافه إلى الوطن ليندمج فيه، وينصهر داخل بوتقته، في عملية أخذ وعطاء مستمرين»⁽¹⁾. سيما وأن التواصل الثقافي والعلمي والأدبي ظل قائما غير منقطع، يتجلى في إقبال علماء الصحراء على أقاليم الشمال، يأخذون من علمائها وأدبائها، ويساجلونهم، كما أن كثيرا من علماء هذه الأقاليم كانوا يرحلون إلى الصحراء ليأخذوا عن علمائها وأدبائها⁽²⁾.

وقد حظيت منطقة سوس بنصيب وافر وكبير من هذا التبادل الثقافي والأدبي لعوامل متعددة، أهمها:

أولاً: العلاقة القديمة والعميقة بين سوس والصحراء، مند هجرة عبد الله بن ياسين التمارتي من الحلو إليها لنشر العلم والدين.

ثانياً: سوس كانت وما تزال محطة رئيسية لعلماء الصحراء وأدبائها، يتوقفون بها وهم في طريقهم إلى أقاليم الشمال، أو لأداء مناسك الحج، فيلتقون بعلمائها وأدبائها، مما أفضى بهم إلى محاورات ومساحلات أدبية وفكرية.

ثالثاً: انتقال الشيخ ماء العينين إلى مدينة تزنيت واستقراره بها كان له دور كبير في نهضة الأدب بالمنطقة؛ فقد رافقته جماعة من الشعراء والأدباء الصحرأويين، الذين تجاوب معهم أدباء سوس وشعراؤها، مما جعل الصلات الأدبية تتقوى وتشتد، دون أن تعرف انقطاعا. فعرفت الساحة الأدبية تعاوناً كبيراً بين الأدباء السوسيين والصحراويين عن طريق المساحلات الشعرية، فانتالت القصائد والمقطوعات، تجدد الشعراء والأدباء، وتثني على براعتهم الأدبية، وملكتهم الشعرية، وتنوّعت إمكاناتهم العلمية، مما ساهم في ازدهار الحركة الشعرية الأدبية السوسية والصحراوية.

والمساحلات تشمل مجموع الأشعار التي كان الشاعر يوجهها إلى غيره، فيجيبه على نفس البحر والروي، أو يتداولها في بحالسه ومسامراته، كوصف الشاي، وبث الأشواق للإخوان والأحباب، وغيرها من المواضيع التي تعبر عن امتلاكه لخاصية الشعر وقدرته على البديهة والارتجال.

(1) - "شعر الصحراء"، عباس الجراري، مجلة دعوة الحق، العدد: 273، السنة: 30، يناير - مارس 1989، ص: 115.

(2) - "الشعر العربي في الصحراء المغربية: جذوره التاريخية - فلوله وقضاياها"، أحمد مغدي، دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط: 568/3، السنة 1990.

وقد ساعدت الفترة التاريخية الممتدة ما بين 1910 و1960 التي عاش فيها شعراء الصحراء وسوس، على ازدهار هذا اللون من الشعر «وهو الذي تدفع إليه الظروف أكثر من غيره، والملاحظ أن هذا الشعر يحظى بعناية المغاربة منذ قرون»⁽¹⁾.

كما أن العلاقات الاجتماعية والثقافية التي تحيط بهم، ساهمت في توجيههم هذه الوجهة الأدبية؛ فقد وجدوا أنفسهم أمام ثلة من الأدباء والعلماء والشعراء، الذين يشيدون بأعمالهم وفضائلهم، وينوهون بأخلاقهم وآدابهم، ويعترفون بفضلتهم ومكارمهم، ويوزرونهم من حين لآخر، يتبادلون معهم ملح الأشعار ونوادر الأخبار، فكانوا يكرمونهم، ويحسنون إليهم، ويشيدون بهم وبخصائصهم وأفكارهم ومكانتهم الأدبية الرفيعة، ويتخذون الشعر وسيلة لذلك، فيسجلون فيه انطباعاتهم عنهم، وشعورهم تجاههم، وما يحسون به من انشراح واطمئنان وحبور بينهم.

بالإضافة إلى هذا، فإن «انعدام الجمهور المثقف الذي يتقن العربية الفصحى، ويفهم الشعر ويتذوقه، جعل الشعراء يميلون إلى الأغراض التي تجعل شعرهم موجهًا إلى من يفهمه ويقدره»⁽²⁾.

ومن بين هذه الأغراض شعر المساجلات الذي «لا يوجه إلى الجمهور، بقدر ما يوجه إلى الأديب أو الفقيه المخاطب به، فالعملية لا يبعد أن تكون احتيالا من جانب الأدباء، الذين أعوزهم الجمهور المثقف، فمالوا إلى الإخوانيات والمساجلات التي ينتجها الأدباء، في محاولة لتحقيق اكتفاء ذاتي من نوع جديد، ولعل ذلك هو سر كثرة الإخوانيات كثرة مفرطة في الأدب المغربي»⁽³⁾.

وأهم ما تنطوي عليه هذه المساجلات هو:

- 1- إعجاب الشعراء بالشعر الذي يجيئون عنه، وإشاداتهم بالفكر الذي نظمته وأبدعه.
- 2- التنويه بعلم وأدب وأخلاق ومكانة المخاطب.
- 3- توجيه السلام إلى المخاطب وإرشاده ونصحه والدعاء له بالرفعة والسمو والعلو.

وهذا ما سيظهر لنا من خلال النماذج الآتية:

(1) - "شعر داود الرمحوكي"، اليزيد الراضي، ص: 133، منشورات جمعية إبليغ للتنمية والتعاون، السنة 1992.

(2) - المرجع نفسه: 133.

(3) - نفسه: 133.

- قال عبد الله بن محمد الإلغي يخاطب ماء العينين بن العتيق لما وفد على إلغ هو وأصحابه⁽¹⁾:

أما العين بل يا نور إنسانها الذي * جلوت به السراء لائحة النقش
أنخ مرحبا أهلا وصحبك من بهم * أتنا المتى نخال مسرعة تمشى
وقروا عيوننا إليها دار سيد * يلاقى النزيل بالمسرة والهش
فأبقاه من أرقاه حصن سعادة * يقينا صروف الدهر ذي المكر والبطش
فأجابه ماء العينين بن العتيق⁽²⁾:

أنخنا بكم لله در أيكم * فبادرتم بالرحب والبش والهش
بدار من اعتاد القرى فكأنه * يضيق به ذرعا فراحته تغشى
وإني أرى سيم السيادة والعلا * أيا آل عبد الله داركم تغشى
فأجابه أيضا عبد الله⁽³⁾:

عروس غدت فوق الأرائك والعرش * تتيه دلالا في غلائلها الرقش
أم الشمس في برج السماء تبرجت * أشعتها وسط الهواء وفي القرش
أم الزهر في روض الرياحين جاده * لدى سحر سح الغمامة بالرش
نعم إنها ألفاظ در تروق إذ * ترق وصافي الود من ضمنها تغشى
إمام الهدى ما العين سيدنا الذي * أنه حسان المجد سافرة تمشى
عليكم سلام الله ما جن غاسق * على عاشق فجن مذكرا ينشى

- وقال أيضا يرحب بماء العينين بن العتيق والشيخ محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين⁽⁴⁾:

أهلا وسهلا بالإمام وما الـ * عيين من ضيفين قد وفدا
ونازلين منزل القلب في * ضلوع هذا العبد طول المدى
بشرا كما عيني قد وردا * ماء كما الزمزم عذبا ردا
لازتما ولا أزال أنسا * معكما على يساط الندي

(1) - "المعبر"، المختار السوسي: 184/2، مطبعة قضاة الحمدي، المغرب، السنة 1960.

(2) - المرجع نفسه: 185/2.

(3) - نفسه: 185/2.

(4) - نفسه: 185/2.

فأجابه ماء العينين بن العتيق⁽¹⁾:

أمن كان لأركان الندي شيدا * واعتاد ما من فضله عودا
وأذهب الوحشة إيناسه * وأبهجت رؤيته المنتدى
وروح السروح وجثمانها * وأحسن المنشأ والمنشدا
ساعدك الدهر لقد سرنا * يوم بليالك لنا أسعدا
أنحفك الله بنبيل المنى * وكف عن نيلك كف العدا
- وقال عبد الله الإلغي يخاطب الشيخ محمد الإمام وماء العينين بن العتيق⁽²⁾:

أهلا أسيدنا الإمام والعلم * ما العين من بهما قد ضاعت الظلم
أقبل والله لي السعد المبين بطن * نعة محييكما وزالت الغمم
فمرحبا بكمما خير الوري كرما * فأتتما خير من وفست لهم دمم
فأجابه ماء العينين بن العتيق⁽³⁾:

جزيت بالخير يا من دأبه الكرم * لا يعزيت ونى عنه ولا سام
فمن ينحيت عبيد الله راحلة * عن قلبه ينزح الإيحاء والغمم
دامت بنا وبكم موصولة رحم * وإنما رحم الآداب ذي الرحم
- وقال الشيخ محمد الإمام وقد خرج عن الروي⁽⁴⁾:

فبوركت عبد الله نحل محمد * كريم السجايا طيب الأصل ماجده
تلقيتنا بشرا فتلكنكم فيكم * أيا آل عبد الله الزم قاعده
أبوك الذي عمت مزاياه في الوري * ولا عجب إن شابه التحل والده
- وقال أبو الحسن الإلغي يخاطب الشيخ محمد الإمام⁽⁵⁾:

طلعتم طلوع الشمس بعد غمام * فأبرء جرح القلب بعد كلام
حنلتهم محلا مستطيرا بنزلكم * فأشكر دهري إذ رعي لدمامي

(1) - "المعسول": 185/2.

أشير إلى أن الكثير من هذه المساجلات ورد في كتاب "تجنية الطروس" لابن العتيق، مخطوط، ورقة: 150 وما بعدها.

(2) - "المعسول": 286/4.

(3) - نفسه: 286/4.

(4) - نفسه: 286/4، وانظر كذلك: "تجنية الطروس"، ورقة: 168.

(5) - "المعسول": 287/4.

أتاني بخير الفاضلين على جوى * إليهم وشوق ضاق عنه حزامي
 فلم يث أحلى من وصال أخاير * محياهم في العين بدر تمام
 أنيخوا أنيخوا فالديار دياركم * وهذا العبيد خادم كغلام
 عليكم سلام الله ساعة وصدقكم * أيا من لقاهم كان كل مرامي
 فأجابه الشيخ محمد الإمام⁽¹⁾:

أزهر نجوم أم بدور تمام * أزهر اكمام ذا أصب غمام
 أم الدر من بحر الهدى قذفت به * قرحة حبر لا يرام همام
 على أنه أبهى من الدر متظفرا * ويفعل بالألياب فعل مدام
 علي المقام اسماء على مثل اسمه * كريم الفروع ينتمي لكرام
 جوى فضلهم مع فضله ولو أنهم * سواهم لسودته نفس عصام
 فكس لأمر العارفين مؤازرا * فقد قل من يدري حقوق إمام
 فلازلت في عين العدو قبلى لها * ودمت لجنب الدين خير حسام
 - وقال محمد يحيى الولاتي⁽²⁾:

يا أهل تحت الحصن أنتم فوقه * معنى وحصنكم بعلم يشرف
 ما ضر من بالفوق معنى وصفه * إن كان في حس بتحت يوصف
 فارقوا مجد واجتهاد للعلا * ترقوا معالي حدها لا يوصف
 - وقال ماء العينين بن العتيق في غير الروي⁽³⁾:

يا آل تحت الحصن إن يقع النوى * فحفظ ودكم المواد زعيم
 لازلتُم مأتى الوفود وإن دهرت * سنة وناب من الخطوب عظيم
 إننا بنوناكم فالفييناكم * ما منكم في الثابتات مليم
 لم تفجروا فطباعكم محمودة * والعرض مما يستند سليم
 أنتم مناخ بنى السبيل وحيككم * أبدا بقارعة الطريق مقبم
 إن امرأ جعل الطريق لبابه * طنبا وأدى حقه لكريم
 فعليكم أسمى التحايا ما شددت * ورق على أيك وهب نسيم

(1) - "المسبول": 287-286/4.

(2) - مجموع المرحوم ماء العينين علي مريه ربه، مخطوط حزانته، الورقة: 10.

(3) - المرجع نفسه، الورقة: 25.

فأجابهما الحسن البونعماني⁽¹⁾:

لله ما قد هاج ذلك الموقف * وعيون إلغ من الوداع تكفكف
نظموا دموعهم قصائد وهي في * حسن أجل من العقود وأشرف
كم توجهوا قبل الرحيل بحالسا * ولكم بشعرهم المسامع شنفوا
ذهل الودع والمودع لنسوى * فكأنما دارت هناك القرقف
حييت إلغ فما أجلك مجعاً * لوفود شعر أين من يستنكف
علماء صحراء الفسيحة جددوا * فيها عكاظاً لنهت تستوقف
أحيا اللاتى في الموات حداثاً * غبا بفكر في المعارف تقطف
وابن العتيق مطرب بقريضه * وعينه أعلام البيان ترفرف
وعليهما بغياء إلغ أعدقوا * كرماً وأدباً وما يستظرف
هم أفعموا من كل فن أكوساً * للوافدين وبالنواذر أقعفوا
صف بالمفاخر إلغ فهي جديرة * وأنا بالعلم في المفاخر أعرف

ولم تقتصر هذه المساجلات على منطقة سوس وحدها. بل تعدتها إلى مناطق الشمال، ففي سنة 1938 قام الشيخ مرييه ربه بن الشيخ ماء العيشين. برحلة إلى الديار الحجازية لأداء مناسك الحج، وفي طريقه توقف بمدينة تطوان، وقام فيها بنشاط علمي وأدبي وسياسي وديني قبل توجهه إلى الحج وبعد عودته منه. وقد مدحه العديد من الشعراء في هذه المدينة، ذاكرين مقلّمه، ومرحّبين به وتجميع وفده، من بينهم الشاعر إبراهيم الإلغي بن الحاج علي المدرقاوي الذي حاطبه بقصيدة طويلة مطلعها⁽²⁾:

خطر النسيم مبشراً بالأسعد * ويد الصباح تبل وجه الأنجسد
إلى أن قال:

هذي الوفود المازلون برحبنا * لبوا نداء الله دون تردد
يخدوهم الشوق الكمين على النوى * كيما يحجوا بيت عتق سرمد
فلحجهم من غير شك حطلة * فهمو أتوه من مكان أبعد

(1) - "ديوان الحسن البونعماني"، تحقيق: الحسين آقا، ص: 475، السنة 1996، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.

(2) - "مع أدباء الصحراء المغربية"، رضا الله إبراهيم الإلغي، مجلة دعوة الحق، العدد: 5، السنة 19 ماي 1978.
وانظر كذلك: "تحفة الطروس" لابن العتيق (مخطوط)، ورقة: 215، وديوان "مركز الإمداد ومصبه فيما قاله أو مدحه به الشيخ مرييه ربه"، ماء العيشين أبو بكر بن الشيخ مرييه ربه (مخطوط خاص)، ورقة: 61.

إلى أن قال:

هذا أميرهم مربيه ربه * أنعم به من قدوة للمقتدي
بصروا به علما أشم وشامخا * إرشاده يهدي الجميع فيهتدي
عنموا مكاتته العلية في الوري * علما وأخلاقا ورفعة عتدي
يكفيه فخرا أنه الحصن الذي * حرس الديانة في الجنوب الأبعد
فالسوس يعرف فضله ويحمله * وله عليهم عهدة المتقلد
قد قاوم الدخلاء في طغيانهم * وأذاقهم شر الويال الأسود
لا غرو إن كرم الهزبر وإثما * أقدامه طبعها نجاسة فرهد
أسلاف هذا الشيخ كانوا حجة * في الدين والعلم الصحيح المسند
أعظم بهم أعلام قطر ما وسعوا * إلا لرفع الدين فوق الفرقد
قابن العتيق الفحل بازل قومه * يرمي بفكر كالفسي مسدد
أما معانيه فوحي ملهم * واللفظ منه كنولؤ وزمرد

إلى أن قال:

الداء كل الداء في تقريقنا * فعتى نسمو إلى الوفاق المنجد
لله عهد نحس فيه ووحدة * والقطر تحت أوامر لموحد
لا شيء يصلح حالنا كتعارف * وتزاور وتعاون وتودد
فأجابه ماء العينين بن العتيق، وذكر معه الشاعر إدريس الجاي⁽¹⁾ بقوله⁽²⁾:
الشعر في يد الخليل بمقود * ينقى ولنجاتي نجي طوع اليد

(1) - كان الشاعر إدريس الجاي قد نظم قصيدة في مدح الشيخ مربيه ربه لما حل بمدينة تطوان، وهذا ما جعل ابن العتيق يذكره في قصيدته مع إبراهيم الإنقي، مطلعها:

نفى عن جفوني النوم بُعد سعاد * وهل بعدها يوما يطيب رقادي
إلى أن قال:

وإن تستزلوا تطوان أعظم بخرها * ألا طواني تطوان كل بلادي
فقد حل فيك العلم والفضل والتقى * فمن ربه رباه وهو له هاد
ومن هو للإسلام أكبر ناصر * وللعلم والأدب خير عتاد
- انظر القصيدة كاملة في ديوان: "مركز الإمداد ومصبه، فيما قاله أو مدح به الشيخ مربيه ربه"، ماء العينين أبو بكر بن الشيخ مربيه ربه، مخطوط خاص، الورقة: 65.
(2) - المرجع نفسه، الورقة: 66. وانظر كذلك: "تحلية الطروس" (مخطوط)، الورقة: 190.

فحلان فكر كليهما لم ينبعث * إلا إلى نظم القريض الجيد
 في السودد اصطحبا اصطحاب الفرقد * من فأدركا فيه مناط الفرق
 في سادة من تلقه منهم تقل * ما أبصرت عيني كهذا السيد
 أهدي لنا النديان في النادي ابني * فكر كسمطي لؤلؤ وزبرجد
 نفتا عن الجفن الأسى إذ منهما * خطر النسيم مبشرا بالأسعد
 بالإضافة إلى هذه المساحلات الشعرية التي تدخل في باب التعبير الإخواني المتميز،
 هناك مساحلات أخرى هي عبارة عن أبيات كانوا ينظمونها ويتبادلونها وهم يشربون
 الشاي، مما يعبر عن سرعة بديهتهم وارتخاؤهم. ومن أمثلة ذلك قول الشيخ مرييه ربه بن
 الشيخ ماء العينين⁽¹⁾:

نعم الأتاي أتاي القائد المدني *

فقال الطاهر الإفرائي:

* موافق شهوات الروح والبدن

وقال الشيخ مرييه ربه:

يا حبذا صفو كاسات لطافتها * أرق من هبة الأسحار في وهن
 وقال الشيخ عبد الله الإلغي:

مازلت أطرب والكاسات دائرة * حتى كأنني بالأفراح في عدن
 وقال أيضا الشيخ مرييه ربه⁽²⁾:

يطيب الشرب من طيب الأنيس *

فقال الطاهر الإفرائي:

* وتطفئ في الخشأ نار الرسيس

وقال الشيخ مرييه ربه:

وتنيسط القلوب بذكر حب * منيح الثغر كالدرد النفيس

(1) - مجموع محمد بن الطاهر الإفرائي، مخطوط، الورقة: 20، حزمة الأستاذ المحترم أحمد أبو القاسم، تزيت.

(2) - نفسه، الورقة: 26.

وردت هذه المساحلات كذلك في كتاب "العقد الثمين في المفيد من السجالات الشعرية والنثري
 الرصين" للشيخ مرييه ربه، مخطوط خاص، الورقة: 200 وما بعدها.

وقال الطاهر الإفرائي:

به تعلّى هموم القلب مهما * تراكم حادث الدهر الخسيس
وقال الشيخ مرييه ربه:

إذا ما ربي ملتفتا تداعت * إليه غلبة همم الجليس
وقال الشيخ عبد الله الإلعي:

يغار حسنه بدر منير * ويسبي قلبه قلب الرئيس

وقال الطاهر الإفرائي يخاطب الشيخ مرييه ربه:

كأن لحاظه سيف نضته * يمينك عند مخدم الوطيس
فأنت البحر في الحدودى ومهما * سطوت تهيت آساد خيس
فبارك فيك ربك يا إمام الد * مكارم ما حدا الحادي بعيس
ونشير أخيرا إلى أن هناك الكثير من القصائد والمقطوعات، التي خاطب بها شعراء
سوس أدباء الصحراء وعلماءها، والشعر نفسه يقال بالنسبة لشعراء الصحراويين الذين
خاطبوا علماء سوس وأدباءها، إلا أننا لم نعثر على أحربة هذه القصائد والمقطوعات،
وكمثال على ذلك نسوق هذه النماذج:

- قال سيدي عبد الله الإلعي يخاطب العلامة سيدي محمد بن عبد العزيز⁽¹⁾:

يا قادما فضله في العلم والعمل * قد كان أسير من طيف ومن مثل
وسيدا عممت الدنيا صنائعه * أنجى فكريت أضحى غاية الأمل
أحييت بالوصل حيا قد نزلت به * نزول قطر بقطر سيم بالخلل
يا نجح عبد العزيز يا إمام هدى * لم يرض مذ شرب أن يرعى مع الظمل
لازلت يا خير طب ماهر فطن * تشفي برأيك ما بالدين من علل
أصغيتك الود في الرحمن حين صفت * منك الخواطر من غش ومن دخل
عبيك منى سلام الله ما طلعت * شمس وما غربت عن غارب الطفل

- وقال محمد بن الطاهر الإفرائي يخاطب الشيخ محمد الإمام⁽²⁾:

سلام يزدري زهر الكمام * على مشوى محمد الإمام

(1) - مجموع الأستاذ المحترم ماء العينين مرييه ربه حامي، وجان.

(2) - "المعسول"، 287/4-288.

علي فرد حوى كل المعالي * وساد فعاليه أبدا مسام
 سليل الشيخ ما العينين قطب الـ * حكارم والعلا شمس الظلام
 وبعد فإن ودك في فوادي * رسا فله به أسنى مقام
 أدام الله فضلك في اعتزاز * وصيتك يزدرى مسك الختام
 - وقال المحفوظ بن الحضرامي يخاطب المختار السوسي⁽¹⁾:

أمن مسلك النصيحة في الدروس * ويسا زين الدفاتر والطبوس
 ومن حاز الفضائل من صباه * ينشر العلم في فاس وسوس
 وفي مراكز الحمراء تبدي * علومها جملة وسط الدروس
 فأنت الحافظ الأستاذ من لا * يسامى في الفهوم لدى الجلوس
 جليس العالم المختار أبشر * فيا لله درك من جنيس
 هو العقد النفيس من اللآلي * فشديدا على العقد النفيس
 قدم للعلم والعليا جميعا * لتخليد المقام من طروس
 - وقال الشيخ محمد الإمام يخاطب الطاهر الإفرائي⁽²⁾:

يا طاهر انعرض يا كثر الوداد ألم * بأن الوصال فبالقلب الغرام ألم؟
 فالقلب بعدكم ما انفك ذا وصب * رهين شوق لتقياكم وحيف ألم
 - وقال ماء العينين بن العتيق يخاطب محمد بن الطاهر الإفرائي، ومحمد بن علي
 الإلغي، وقد ورد هو والشيخ محمد الإمام إلى المدرسة التانكرتية بإفرا⁽³⁾:

ألا يا حبذا سفر حدانسي * إلى من يدعيان محمدان
 رضيعي ندي آداب وعلم * بتقصار العلا متقدان
 نجسي طاهر العرض المجنسي * فمن ذا في الرهان له يدان
 أنجنا عنده فقرى وثني * وكانا للسنزيل يساعدان
 فباتا في نواذر كل فن * شهى بيننا يتواردان
 فإن تنشدهما استمعا ومهما * أصححت يحدثان وينشدان

(1) - "المعسول": 300/4.

(2) - "المعسول": 286/4. وانظر كذلك مجموع المرحوم ماء العينين علي مرييه ربه، الورقة: 97، مخطوط.

(3) - نفسه: 287/4. وانظر كذلك: "تخليد الطروس"، مخطوط، الورقة: 340، ومجموع ماء العينين علي مرييه ربه، مخطوط، الورقة: 115.

سماء المجد مذيقتان * تقارن في السماء الفرقدان
ولا عجب إذا ولدان يوما * أشادا ما بناه الوالدان

ونخلص إلى أن هذه المساحلات الشعرية قد أدت دورا كبيرا وفعالا في ازدهار الأدب العربي عامة، والشعر خاصة، بمنطقة سوس والصحراء؛ لأنها ذاعت وانتشرت لرقتها وجمالها وروعيتها، وطبقت شهرتها الأدبية آفاق المغرب، وساهمت بقسط كبير من النشاط الأدبي، ليس في سوس والصحراء وحدهما، بل في سائر مناطق المغرب. كما ساهمت في إبراز مظهر مهم من مظاهر التواصل الأدبي المتميز بين سوس والصحراء الذي يعبر عن متانة الترابط الفكري والعلمي، والتفاعل الثقافي الرصين بينهما الذي لم تزده الأيام إلا قوة وصلابة، والذي يعبر عن وحدة المغاربة، ليس في منطقة سوس والصحراء فحسب، بل في مختلف ربوع الوطن المغربي الموحد.



جلسة الشهادات والقصائد الشعرية



شهادات

السيد علي كما عرفته

ماء العينين محمد بن الشيخ الجيه (*)

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد
خاتم النبيين وإمام المتقين.

يسعدني أن أتناول الكلمة في هذا اليوم الدراسي الثقافي، الذي ينظم لتكريم
السيد ماء العينين علي بن شيخنا الشيخ مرييه ربه، لإلقاء شهادة في حقه رضي الله عنه
وأرضاه.

لقد عرفت السيد علي منذ زمن بعيد، ومنذ عرفته لم ألمس ولم أسمع ولم أنظر فيه
إلا ذلك الشاب المثالي، المستقيم، الوطني، المخلص لدينه ولوطنه ولملكه، هذا الشاب
كما سمعنا من الكلمات السابقة، جزى الله أصحابها خيرا، يعد قدوة ومثالا يحتذى،
رغم أن ما قالوه في حقه ليس في الحقيقة إلا النزر القليل، لأنني أنا شاهدته وشاهدني،
وعايشته وعاشني -والحمد لله- مدة طويلة.

قبل أن يكون موظفا في وزارة العدل، كان رضي الله عنه وأرضاه عصامي
النفس، متشبها بجميع الأخلاق القاضية قولاً وفعلاً، ومن أحسن شباب عقبه وعصره.
كان مقاوما ومدافعا عن الوطن بكل ما يمكن من عمل باليد، ودعوى باللسان، لا يأل
جهدا في هذا.

توظف في وزارة العدل هذه المدة الطويلة من سنة 1961 إلى سنة 1997، ولم
نشهد أحدا يقول عنه: قال لي فلان، أو أخذ مني فلان كذا، بل كان مستقيما وغنصا
في عمله رضي الله عنه وأرضاه. فلا أحد يستطيع أن يقول إنه سمع كلمة سوء من السيد
علي، بل إنه كان بشوشا في وجه زائريه، سخيا بكل ما تسمح به الظروف، متفانيا في
الإخلاص في العمل، لا يأل جهدا فيما كلف به.

و نحن هنا نشكر بهذه المناسبة كل من ساهم في إنجاح هذه التظاهرة، وعلى
رأسها السلطات المحلية، ثم بلدية ترزيت وعلى رأسها رئيسها، ومؤسسة الشيخ مرييه

(*) - عضو المجلس العلمي لأقاليم ترزيت محولين طافا.

ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، وكل من ساهم من بعيد أو قريب في تحضير وتنظيم هذا الملتقى الفكري الهام.

ونحمد الله تبارك وتعالى على أنه إذا مات علي، فإنه خلف لنا من أجل مكانه، فأمثل يقول: «ما مات من خلف»، والله تبارك وتعالى يستحي أن ينزع البركة من موضع قد جعلها فيه، فنحن نضع البركة، ونأمل الخير على الأستاذ النعمة بن علي بن شيخنا الشيخ مربيه ربه، ولا غرو أن يخلو الولد حذو أبيه، فالهدد الطيب يخرج نباته بإذن ربه طيبا.

نرجو الله تبارك وتعالى أن يوفقنا جميعا لما فيه الخير والسداد، ويعيد هذه الذكرى، ذكرى عيد الشباب المجيد، على مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، وأن يقر عينه بولي عهده الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه مولاي رشيد، وسائر الأمراء والأميرات، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

في ذكرى الأستاذ ماء العينين علي

مربيه ماء العينين بن سيدي محمد^(*)

بسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله وسلم على النبي الكريم.
أيها الحضور الكريم.

إننا نجتمع هنا اليوم قاطبة، في هذه القاعة المباركة، التي تحمل اسم الشيخ ماء العينين، أحد رموز العلم والتصوف والنضال. في هذه الربوع الغالية من وطننا الحبيب. لنستحضر ذكرى أحد أحفاده الأجلاء، الذين بصموا تاريخ الأسرة المعينية ببصمات واضحة لا ينكرها إلا حاحد. وساهموا في إثراء رصيدها الفكري والأدبي بشكل جلي، ذلكم هو قريبي. وأخي في الله. الأستاذ المجاهد ماء العينين عني، الذي جمعتني به صداقة متينة، وأخوة حميمة، لمدة تزيد على ثلاثة عقود.

وكان لاهتماماتنا الأدبية المشتركة أثر كبير في توطيد هذه العلاقة، ونسج لحمتها بوشائج لا تنفصم، ولا أنكر هول الفراغ الذي خلفه رحيله في نفسي؛ فقد كانت رسائله الغنية، منهلاً لي أطلع من خلاله على ما جد من بحوث، وإنتاجات أدبية، وأشعار ظهرت أخيراً لأعلام المدرسة المعينية، كما أن زيارته المتعددة لوجان بين الفينة والأخرى، كانت التسيب الذي يطفئ حرارة الجو. نظراً لما عُهد فيه من أريحية، وحسن خلق، فضلاً عن حلاوة حديثه، وحسن معاشرته.

ولا أنسى زيارته الأخيرة لي في وجان. رفقة بجهة البار الأستاذ ماء العينين النعمة أشهراً قبله قبل وفاته رحمه الله، على الرغم من مرضه، نصلة الرحيم، وإحياء ذكرى الأجداد، متمثلة في مجالسهم الأدبية، وحزنه الشديد عني ما أصاب سوق الأدب والشعر من كساد، وما لحق هذا الجيل من فتور، بله إقباله على السفاسف والقشور.

وما تشبث الختني به بزيارة أصدقائه ومسامرتهم، إلا رغبة منه في إحياء سنة الأسلاف، خاصة وأنه عايش كردوس رفقة والده حين كانت في أزهى أيامها مدرسة متألقة بين قمم الجبال تهوي إليها الأفئدة، وملتقى لجهابذة سوس والصحرَاء، حيث كانت تعبيراً مكثفاً عن هذا التواصل الحضاري الذي لم ينقطع عبر تاريخنا المجيد بين

(*) - عالم وفقه بوجان.

موس والصحراء من جهة، وبين الصحراء والوطن الأم الذي هو المغرب من جهة أخرى. فكان الأستاذ ماء العينين علي كثيرا ما يستحضر، بخشين وشوق، تلك الحقبة الزاهية، شاكرًا ربه أن جعله أحد شاهديها.

ولعل ما يوضح أهمية هذه المرحلة في حياته، هما هذان البيتان، وكان قد أنشدهما في معرض حديثه عن كردوس أثناء لقائي الأخير به في وجان:

مسي سلام إلى الغر الأوداء * أرباب كردوس أموات وأحياء

من مات في جنة لا زال منزله * والحي لا زال في عز وعماء

وليتنا عبارة عن نحية مقعنة بالحب إلى رفاق، كان المختفى به شديد الاعتزاز بهم، لا بدلاً المجدس إلا بذكرهم، والتعني بأشعارهم، وقد كانت ذاكرة الأستاذ ماء العينين علي تحفظ الكثير من أدب الراوية المعينة. لذلك كنت حريصاً على الاستفادة منها كلما أتيت لي الفرصة، كما استفاد منها أغلب الباحثين في أدب الصحراء.

واستحوالي بعد هذا الحديث عن بعض ذكرياتي مع الفقيد. أن أحاول رسم صورة مختصرة عن حياة هذا الرجل الفد، الذي ظل، طوال حياته، يعمل عمل المجدين في صمت، بعيداً عن الأضواء. محتسباً عمله لله عز وجل؛ لأنه كان يرى في ذلك واجباً منه نحو آله وأساتذته.

ولد الأستاذ ماء العينين علي في 11 شتنبر 1934 بقرية كردوس التي تقع شرق إقليم تونيت. أيام كانت مركزاً غمياً، وجهادياً تزدحم بأفواج المجاهدين والعلماء، يتزعمهم والد المختفى به. العالم العلامة الشيخ مريه ربه بن شبيخنا الشيخ ماء العينين الذي كان يولي لأبنائه عناية كبرى. رغم مهامه العديدة، وانشغاله اليومي بالحروب والمعارك ضد المستعمر.

وكان أن اجتمع لهذا الجيل في كردوس نخبة من الأساتذة والعلماء قلما تجتمع في جامعة ماء فيكفي أن نذكر العلامة سيدي علي بن عبد الله الإلغي، والشاعر سيدي الطاهر الإفراي، وابنه البنيغ سيدي محمد، والفقير سيدي الحاج محمد الحبيب بن الحاج إبراهيم اليوشواري المديكي، والشيخ سيدي محمد بن عبد العزيز، والعلامة الشيخ محمد الإمام، والأستاذ العلامة ماء العينين بن العتيق، وغيرهم كثير، نذكر كم كان حظ المختفى به وفيراً، وهو ينهل مع زملائه من هذه النخبة العظيمة.

لذلك لا نبالغ إذا قلنا بأن المختفى به كان محصنة ونتيجة لهذا التفاعل الذي حدث في كردوس بين الصحراء وسوس. حين وجدت هموم الوطن الواحد، والدفاع عن كلمة الله، هذه الثمة العالمة في تلاحم رائع.

هذه الثلة المباركة كانت تتناوب على إلقاء الدروس والمحاضرات، وعقد المساجلات الشعرية بين فطاحل الشعراء، على مسمع من الطلبة الذين كانوا يتبعونها بالتدوين والحفظ، وكان الأستاذ ماء العينين علي، رغم صغر سنه، ملازماً - بشهادة جل زملائه - هذه الدروس، حافظاً نهماً لأشعار أساتذته وآله، كما كان كثير الملازمة لوالده الشيخ مربية ربه الذي ما فتئ يرعاه، ويوجهه لما لمس فيه من رغبة أكيدة في طلب العلم، وظل على دأبه ذلك إلى أن أجازته والذي القاضي الشيخ سيدي محمد بن عبد العزيز في علوم اللغة والأدب، وبعض الأوراد، وذلك بتاريخ 1373 هـ الموافق 1953م، ولم يكن طلب العلم الهاجس الوحيد الذي شغل الأستاذ ماء العينين علي. ولكنهما آخر كان ينازع اهتمامه، وهو هم المستعمر الذي كان المغرب يروح تحت وطأته، متأثراً بالجو والبيئة التي نشأ فيها، فالوسط الذي نشأ فيه الأستاذ ماء العينين علي كان متكوناً من عظماء وأدباء ألوا على أنفسهم جعل الجهاد في سبيل طرد المعتدين هدفهم الأسمى، فكان القلم رفيق السلاح.

لذلك نشأ الخلف علي نفس المتوال، فكان يختفي به رفيقاً دائماً لوالده في كل تنقلاته الجهادية، ثم انضم بعد ذلك إلى صفوف المقاومة الوطنية، متكبداً في ذلك كل الصعاب: سيرا على نهج والده المجاهد، إلى أن بزغت شمس الحرية على الوطن الحبيب، لينخرط في سلك الوظيفة العمومية بوزارة العدل بإقليم طانطان، وليواصل جهادا آخر تمثل في جمع إنتاج والده الزاخر، من شعر ورسائل، وآليف عديدة، منكباً عليه، تحقيقاً وتنقيحاً. وقد كنت شاهداً على عمله ذلك أثناء زيارتي له بطانطان سنة 1981، فوجدته منشغلاً في هذا العمل الجليل، الذي جعله فيما بعد مرجعاً أساسياً لا غنى عنه لكل باحث، سواء في حياة والده أو في أدب الراوية المعنية، يشهد بذلك كل الباحثين الذين اتصلوا به، فوجدوا قلبه مفتوحاً قبل باب بيته.

وتعد خزانته العنصرية العامرة ملجأ لكل دارس، لا حاجب ولا حائل دونها، والمتصفح للدراسات التي أنجزت حول أدب الصحراء المغربية يجد اسمه حاضراً بقوة في أغلب صفحاتها كمصدر من مصادر البحث الأساسية، وظل على عمله ذلك حتى وفاته رحمه الله، ويشهد ابنه الأستاذ ماء العينين النعمة بمدى أهمية عمل والده، فقد وجد التربة مهيأة، والمادة الخام جاهزة، ليواصل بدوره عمله الأكاديمي، في إخراج كنوز جده الأدبية.

ولم يقف عمل الأستاذ ماء العينين علي عند هذا الحد، بل سعى في سنواته الأخيرة، رغم الجهد والمرض، إلى تحقيق أمنية طالما حدثني عنها، وتمثل في إقامة ملتقى

ثقافي مواز لموسم الشيخ مربيه ربه، ليكون مرآة عاكسة لأشعة تراث الأسرة المعينية، يتناول به البحث والتحليل الباحثون الذين ترايد عددهم في السنوات الأخيرة. وكان أن حقق الله مراده، فرأى الملتقى الثقافي الأول يتم بتأطير الأحفاد، تنويجا لجهود الآباء. وكانت سعاده الكبرى حين برزت أعمال الملتقى مطبوعة عام 1996 تحت عنوان: "جوانب وحدوية من ثقافة الصحراء المغربية"، على نفقة صنوه الأستاذ ماء العينين هبة أحمد، أطال الله حياته.

إلا أن القدر لم يجعله ليرى أمنيته تتحقق، حتى صارت تقليدا، سواء في الملتقى الثقافي الثاني، أو في اليومين الدراسيين اللذين نظمتهما بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، فقد حطفت يد المنون يوم الأحد 6 يوليوز عام 1997م على الساعة الواحدة زوالا بأكادير، وأبى إلا أن يرقد جثمانه الطاهر على مقربة من جده القطب شيخنا الشيخ ماء العينين.

تغمد الله الفقيد برحمته الواسعة، وأسكنه فسيح جناته. مع من أنعم عليهم من النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا، وجعل البركة في خلفه وابنه الأستاذ ماء العينين النعمة، الذي سار على نهج والده في التحصيل والبحث والدراسة، مزودا بعلوم عصره، رغم أن مهمته تضاعفت، فقد صار من الواجب عليه الاهتمام بآثار والده، إلى جانب اهتمامه بتراث جده الأدبي والفكري، الذي يدخل في صميم عمله العلمي، وهو يعون الله قادر على ذلك، وكأنني بالأخ الأستاذ ماء العينين علي لم تمت حين أُنجب ابنا في منزلة الأستاذ النعمة، مصداقا للحديث الشريف الذي رواه مسلم، قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له». وقد أحسن من قال:

وما مات امرؤ ترك المزايا * وخلف بعده ولدا نبيلًا
وأرجو أن أكون قد أحطت بفيض من فيض، في حق هذا الأستاذ الجليل، الذي تظل معاشرته السبيل الوحيد لإدراك مكانته، وعلمو كعبه بين معاصريه، وفي الختام لا يسعني إلا أن أشكر اللجنة المنظمة على هذه الالتفاتة الكريمة لتكريم شخصه، وكان الأجدد أن يكرم في حياته، ليدرك قيمة عمله وأثره بين الناس، لكن مع ذلك فالمبادرة تستحق التنويه والتشجيع.

شكرا للحضور الكريم على حسن الإصغاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمين، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.



الفقيه مع رئيس مؤسسة الشيخ مريه ربه
لإحياء التراث والتبادل الثقافي



الفقيه مع نخبة من المشاركين في موسم الولي الصالح الشيخ مريه ربه بتافودارت

الوفاء

سيدي عثمان الشريف حسن^(*)

للكون قدرته الكامنة على السير عبر نظام محدد لا يحدد عنه، وكلما ظن الإنسان أن خطئاً في جانب ما من الحياة، اكتشف الخطأ الموجود في الأداة التي كان هو (الإنسان) يتعامل بها مع ذلك الجانب.

تسير الأمور إذاً حسب مخطط وضعه الله لها بقدر وتقدير مُقدَّر، فلا مجال للصدفة إلا في عُرْفنا، فنحن كلما عجزنا عن تفسير أمر، أو فوجئنا بوجود شيء، عزوناه للصدفة، قصوراً منا عن المعرفة، وتكاسلاً عن البحث.

ترابط الأشياء فيما بينها لتشكّل نسيجاً معيناً أو وحدة ما، يجعل كل شيء مكماً للآخر، يعترف له بحاجته إليه وينقصانه إذا غلبه.

الإنسان جزء من المجتمع، منه ينشئ، به يعتز، عنه يتعلم، إلى إفادته يتطلع. وما لم تكن للإنسان فائدة على مجتمعه فهو ميت الأحياء، ومكانة الإنسان تتحقق بعطاءه لمجتمعه.

والمجتمع الذي لا يعرف لأبنائه حقهم، ولا يحافظ لهم على مكائدهم، ولا يُعْتَدُّهم في ذاكرته قدوة، ولا يشيد بهم عطاء ورمزاً للنسوة، مجتمع محكوم عليه بالاضمحلال، أو في أبسط الأحوال بالنزول وفقدان الشخصية.

من هنا يكون الاحتفاء برموز المجتمع حقاً على عائق أبنائه، إن هم تغلبوا عنه دفعوا بمجتمعاتهم إلى الانتحار والاندثار، وإن أقاموا نماذج المجتمع أمكنة لائقة بهم في أفكار الأجيال، ليأخذوا عنهم القدوة، ويلبثوا عطاءهم، ويستمعوا عملهم، ويشقوا طرقاً موصولة بطرقهم، ومعبدة سبلاً لأفاق جديدة، كان المجتمع أصيلاً متجدداً ذا طابع يميزه عن غيره، لخدمة شخصيته المتميزة، وتنوير عطاءه الثمر، ولن يكون له ذلك إلا بالشموخ، رفعا لكل إنجازاته، متخلصاً من سلبياته.

فواجبنا كلما سنحت لنا فرصة لذكر أحد أعلام مجتمعتنا، أن نبادر إلى التعريف

(*) - مدير الشؤون الثقافية بالمجلس العلمي للأقاليم الصحراوية - العيون.

به، وفاء لعهدده، وسيرا لعطاءه، وإخلاصا لعمله.

لا غرابة إن توقفت قليلا عند علي بن الشيخ مرييه ربه رضي الله عنهما، عرفانا بحميل، وتذكرا لحنيل، ووفاء لعطاء نبيل.

وعى السيد علي رحمه الله الرسالة التي تركها السلف الصالح، من سهر على العلوم، وتحصيل للمعرفة، وجمع للكتب، وتدارس لها، وتربية النشء على طلب العلم والنهج القويم الذي يمثله القرآن الكريم والسنة المطهرة، فانرى للدراسة وجمع الكتب وتحصيلها، ورغم ما لاقاه رضي الله عنه من تعب للحصول على العديد من المخطوطات النادرة، لم يكن ذلك سببا لمنعها عن مستحقيها، فقد كان قبلة الباحثين في مجالات شتى، خصوصا كل باحث عن أدب الجنوب، أو تاريخ أبناء الجنوب، أو مدونات وفقهيات وفتاوى أبناء الجنوب، وعرفت مكتبته - رحمه الله - العديد من طلاب المعرفة، نهنوا منها قراءة وكتابة وتصويرا، وما يخل على أحد منهم برأي ينيره، أو ملاحظة تعينه، أو تفسير يفينه، ولن أفي المرحوم علي - رضي الله عنه - حقه مهما أطلت، ولذا اكتفي بما أسلفت من حروف شجيحة، وأقول آياتا يستحقها علي رضي الله عنه:

علي بالوفاء سما ونالا * من الخيرات أعظمها حصالا
لقد جمع الترات بكل صير * وأبرزه الكتابة والمقالا
فلم يستكثما للعلم كالا * فقد أعطى العلوم لها أنالا
أيكتمه وقد ورث المزايا * عن الآباء واخترق الجبالا
تعرفية ولين واحترام * رعى نهج المكارم حيث صالا
فيا ربّي علي ترحمته * ووسّع قيره يا من تعالى
وكن لبنيه إنهما فتاة * وابن يسعيان بك النوالا
وأثمما فضنها كي تراهم * بفضل يتقيان الخلالا
وأمة أحمد الهادي فعنها * وأبعد عن مرايعها الضلالا
وصل علي محمد يا إلهي * ومن رلم المحجة والكمالا
وفي الأخير أتقدم بالشكر والتقدير لأسرة الفقيد والمشرفين على هذا التكريم،
وكل من ساهم فيه من قريب أو بعيد.

الأستاذ علي: أصفى الجنوب المغربي

محمد فاضل اسند (*)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد النبي العظيم.
أيها السادة الكرام:

لم يترك لي الإخوة الأساتذة المتدخلون، ما أقول في حق المرحوم المختفى به ماء العينين علي مربيه ربه، فقد جاءت شهاداتهم موثقة ومنهجية، ولكنني بدوري سأقدم شهادة في حق المختفى به، أجملها في أربع نقاط:

1) العلاقة الشخصية:

بحكم القرابة، فقد عرفت السيد ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، منذ طفولتي، يشوشا، يهش في وجه محدثه أول ما يلقاه. وأشهد له بحسن الخلق، كما يشهد له به غيري. كان طيب المعاشرة، لا يُمل حديثه، ولا يسأم جلوسه، كنت أنزله منزلة الوالد والعم، لكنه كان يعتبرني صديقا وأخا صغيرا. تواضعا منه، وإكبارا لنا، نحن جيل الاستقلال. ولقد كان الرجل كبيرا في غير تكبر، متواضعا في غير تذلل.

2) الاهتمام بالتراث:

إن هذه الندوة جاءت في وقت ومكان مناسبين، وتكريما مناسبيا للرجل له اهتمام كبير بالتراث، فقد كان مولعا به. وإليه يرجع الفضل في تحصيل قسط لا يستهان به من تراثنا العربي في الجنوب المغربي، يشهد على ذلك خزائنه التي تتوفر على عدد هام من ذخائر الأدب، شعرا ونثرا، مخطوطا ومطبوعا. وكان هو نفسه مصدرا مهما، ومرجعا ناطقا في الشعر والنثر والتاريخ والفقه والتصوف، فما ذكرت له قضية إلا وحدث عنها بقليل أو كثير. وكثيرا ما كان يحض الروايات فيحضرها لثواتر ومنطق العقل، فيرجح رواية دون أن يدحض أخرى إلا بحجة علمية بينة. وكان يحز في نفسه -رحمه الله- ما طبع المرحلة من تفريط في التراث وضياعه، بسبب القلاقل والاضطراب. ولكن انصراف الجيل الحاضر عنه وتهميشه له كان يحز في نفسه أكثر. لذلك كان يبحث على العودة إليه واستجلائه وانصرافه. وكان يتحدث عنه في اعتزاز وإكبار واحترام.

(*) - أستاذ باحث - أنجادير.

(3) مساهماته العلمية:

إن الأصمعي والمفضل الضبي وأبا زيد القرشي وغيرهم، دخلوا التاريخ بجمعهم لعبون الشعر العربي في العصر الجاهلي والإسلامي. وإن علياً أصمعي في الجنوب المغربي ومفضله؛ لأننا مديونون له بجمع وتحصيل الكثير من التراث العربي في الجنوب المغربي، فما من شاعر عرفته المنطقة أواخر القرن الماضي إلا وجمع له ما تيسر. ولم تتوقف مهمته بمجرد الجمع، بل أذاع ما جمع وأشاعه، واستفاد منه الطلبة والباحثون، من بحوث الإجازة، إلى رسائل السلك الثالث، إلى أطروحات دكتورة الدولة، به المشاركين في الندوات والبحوث والدراسات.

وكانت مساهماته إيجابية متميزة؛ إذ لا يكتفي بتوفير الوثيقة، بل يوضح غامضها، ويحدد إطارها الخارجي والداخلي، ويعين على تأويلها بالتعريف بأسبابها (ظروفها)، ومعرفة الأسباب التي تعين على التأويل. وكثيراً ما يوجه ويصحح ويحفز الباحثين الشباب على المزيد من الغوص والتنقيب، ويعتبر الجيل السابق قد أدى ما عليه رغم إمكاناته المحدودة؛ فعلى الجيل الحاضر أن يكيف إمكاناته لتخدم البحث.

هذا الرأي التقدمي من المرحوم، يدين "الكاثمين" الذين يسجنون الوثائق في بطون الصناديق، ويخلون بها على المهتمين، وينبه على أن الوسائل العلمية المتاحة في هذا العصر، بلغت شأواً عظيماً يمكن من نفض غبار الكتمان، وجلي حلقة النسيان عن تراثنا المغربي في الجنوب، بدءاً بالتصوير والاستساخ، وانتهاء بالإعلاميات...

(4) حضور البديهة:

إن المختفى به كان يتميز بحضور بديهة تخص التراث العربي في الجنوب المغربي، فقد كان يصنفه حسب الزمان والمكان والطبقات، بسهولة بالغة، ولا يكاد يتبادر الحديث في قضية أدبية أو فكرية أو فقهية حتى يبادر في تحليلها وعرضها، واستعراض مختلف وجهات النظر فيها. وكثيراً ما عدت إلى القضايا الأدبية المطروحة للنقاش، فوجدت رأيه فيها محيطاً بجميع الآراء وملخصاً لها.

هذا قليل من كثير في حق المرحوم، وقد تعمّدت أن يكون في حدود الشهادة، ولو أردت أن أفصل القول، لأطلت عليكم، ولكن شهادات الإخوة الأساتذة السابقة قدمت ما فيه الكفاية.

إن هذه النلوّة تسر اختفى به في حياته، ولاشك أنه مسرور بها في حياته الأخرى، فالعظماء لا يودعون بالدموع، بل بالأعمال العظيمة، وأستسمحكم إن أطلت عليكم. والسلام عليكم ورحمة الله.

الأستاذ علي، الوطن الغيور

محمد الأغظف ماء العينين أبو بكر (*)

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة﴾⁽¹⁾.

الحضور الكريم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إن مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، بتعاون مع المجلس البلدي لمدينة تزنيت السلطانية، بتنظيمها لهذا اليوم الدراسي في موضوع: «سوس والصحراء المغربية: تواصل ثقافي وفكري»، أثلجت الصدر، وبعثت ارتياحا منقطع النظير في النفوس الأبية. وهي ظاهرة كريمة، جاءت في وقتها والحاجة ماسة إليها؛ فثقافة أهل الصحراء المغربية وسوس العالم، ظلتا على الدوام في سفر واحد خلال وطائع ماجدة تلاحت.

فقد وقفوا كباقي جهات المملكة سدا منيعا في وجه المستعمر الغاشم، وكانوا يجرون وراء الكلمة السامية الهادفة لتحرير من ربة الاستعمار، ومجاهته والمحافظة على البيعة للعرش العلوي المجيد، المطوقة للأعناق والتشبث بالوحدة الوطنية. فجرت هذه الخلال في العروق، ونسجت إبداعا جاش في النفوس، وترك الميسم في الأفئدة. ولاح جليا في الأفق كما قيل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما * جعل اللسان على الفؤاد دليلا
فالتواصل السوسي الصحراوي المغربي، جسم على الدوام وعرف تجاوبا كبيرا، انطلاقا من حركة الشيخ ماء العينين الجهادية وأبنائه من بعده، والتي لازالت حاضرة في الذاكرة التاريخية. وقلة كرموس الشاهقة خير دليل على ذلك. ولعلي لا أكون مبالغا إذا قلت: إن الحركة الجهادية للشيخ ماء العينين التي مزجت التصوف الطرقي بالمقاومة

(*) - محام - العيون.

(1) - سورة النور الآية: 61.

والجهاد، ساهمت في ربط جسور التواصل بين سوس العالمة والصحراء المغربية.
ووسط هذا الزخم العرم من الأحداث، عاش زين العابدين علي بن الشيخ مريده
ربه بن الشيخ ماء العينين، في كنف والده العالم العلامة والمجاهد الشيخ مريده ربه، ينهل
من حياض العلم والمعرفة. الشيخ مريده ربه الذي قام بدور كبير في مقاومة المستعمر
الفرنسي في سوس لمدة تزيد عن اثنين وعشرين عاما، وساهم في ازدهار النهضة الثقافية
والأدبية والعلمية في هذه المنطقة، من خلال اتصالاته الدائمة بعلمائها ومساجلاته
لأدبائها وشعرائها، مما جعله ظاهرة تاريخية فريدة لا تنسى مع مرور السنوات والأيام.
وأستحضر هنا قول الشاعر:

لعمري رأيت المرء بعد زواله * حديثا بما قد كان يأتي ويصنع
فحيث الفتى لا بد يذكر بعده * فذكراه بالحسنى أجل وأرفع
وقول دريد:

وإنما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى
إن المرحوم ماء العينين عني، واجه المستعمر الغاشم كباقي إخوته ببسالة منقطعة
النظير، الذي حاول تفريغ العقول من القيم النبيلة، وكانت المواجهة بالإيمان؛ إذ
القدرات المادية ندرتها مشهودة، لكن الطاقات البشرية المتأججة موجودة. بفضل الإيمان
المذكي في النفوس، وبفضل هذا النوع من الرجال المؤمنة الواعية، التي تأتي أن تبسح
دينها بدينها، والمتمسكة بمبادئها السامية، والتي عضت عليها بالنواجذ، فحالفها
النجاح. هؤلاء الرجال الذين تحلوا كل ما من شأنه أن يعرقل مسيرتهم التضالية، غير
عابئين بالأباطيل الزائفة، وتزوير الحقائق، فتأكد المستعمر أنه لن ينجح ولن يفلح أمام
هؤلاء المجاهدين، أمثال الأستاذ المرحوم ماء العينين علي الوطني الغيور، الذي ألقى وطنه
بجميع منافع نفسه، وخدمه بكل ما يملك. وكيف لا! وهو ابن الفضيلة والشرف
والحسب. ونقول مع القائل:

وحق لمن كان ذا فعله * أن يسرق رقباب البشر
إن المرحوم الأستاذ ماء العينين علي كان من النجباء، قلعه معلق بين الأنامل
حذوه القرطاس، يكتب ويدون، ويقرظ ويفكر، إنه بحق فريد عصره، والمشارك في كل
العلوم. زحرت مكتبته بكل نفيس من الفنون، وثمرات المطابع، واستطاع بمجهوده
الخاص، أن ينتقل في البوادي والخواضر، باحثا ومنقبا ومفتشا ودارسا، فوجد ضالته.
ساعد الطلاب بفتح خزائنه، وأعطاهم من المعين الذي لا ينضب ما لا مثيل له، وأنفق
من الصور الجميل ما لا يوصف، لإيجاد هذا الرصيد من النفائس، فحق لنا أن نغترف مما

ترك، ونهتدي بدلالاته. وما أحسن قول الشاعر في صياغة فكرة أن الفضل للمتقدم:
هذا جزاؤك منا لا نمن به * فضلا بفضيل وكان الفضل للبادي
ولا نبالغ إذا قلنا إنك فنرت بموقعك الفاعل في مجتمعك بنجاح، وسعيت إلى
تحقيق هذه الشئشنة المحمودة، فحققت الفضائل في جميع المناحي الحياتية، وكنت شاهد
هذا العصر وأحد شخصياته الكبار، فحزت احترام الجميع عن جدارة واستحقاق.
إن الأستاذ المرحوم ماء العينين علي، كان قدوة ومعروفاً بميله للقناعة، وكثيراً ما
كان يردد آياتنا الحجة الإسلام الإمام الغزالي، وحق لي أن أرددها هنا:

طوبى لعبد تسمى على ثقة * إن الذي خلق الأرزاق يرزقه
فالعرض منه مضمون لا يدنسه * والوجه منه جديد ليس يخلقه
إن القناعة من يخلل بساحتها * لم يبق في دهره شيئاً يورقه
هذا هو الأستاذ المرحوم ماء العينين علي مريه ربه.
وأختص لأقول: إن الثبات وحده لا يمكن أن يميز الطريق والسبيل، بل لابد
للحيل الذي يريد المحافظة على هذا التواصل: أن يملك القدرة على العطاء، حتى يسود
الفكر المتطور المنفتح، فنحن في صحرائنا المغربية نحني أبناء سوس العالمة، وكل جهات
المملكة السعيدة، أرض المكارم، ومنبع الفضل، هؤلاء الذين أقاموا المعامل الجهادية
والمدارس العلمية، وبذا كان التواصل، وإننا نحفظ لك العهد المتقدم.
لاشك أن رحيل الأستاذ علي بن الشيخ مريه ربه، خلف خسارة كبيرة، وصدق
الذي قال: «ما مات من خلف»؛ فالأستاذ خلف لنا ثغله الأستاذ ماء العينين النعمة،
وسيحافظ -لاشك- على هذه القيم، فهو أصل لها، إن المنون وإن خطفت هذه الزهرة
اليانعة، فقد خلف هذا الخطف حزناً غريباً، وأسى عميقاً، فالوديعه ردت، وأثارها باقية،
ونقول مع الشاعر:

وما المال والأهلون إلا ودائع * ولا بد يوم أن ترد الودائع
ونقول كذلك:

وزهرة الدنيا وإن أينعت * فإنها تسقى بماء الزوال
ولا يدوم البقاء للخلق، لكن دوام البقاء للخلق.
رحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جناته.
وأطال الله عمر رائد البلاد، ومقخرة الإسلام، جلالة الملك الحسن الثاني، نصره
الله وأعزه، وأقر عينه بصاحب السمو الملكي الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه السعيد
مولاي رشيد، وباقي الأمراء والأميرات، إنه سميع مجيب.

الأستاذ علي: الأديب العالم المقاوم

محمد فاضل بن الشيخ حسن بن الشيخ مرييه ربه (*)

بسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه.
لقد حالت عملية تحديد الهوية، لقبيلة الشرفاء أهل الشيخ ماء العينين دون
حضوره للملتقى العلمي القريد. لنخبة العلماء والأدباء في قلب سوس العالمة.
ويحضور أعيانها وشيوخها ومجاهديها ومنتخبها، ذلك الملتقى الذي نظمته
مشكورا المجلس البلدي لمدينة تزنييت، بتعاون مع مؤسسة الشيخ مرييه ربه لإحياء التراث
والتبادل الثقافي، تخليداً لذكرى وفاة عمنا المجاهد الأكبر: والوالد الأطهر، الذي عرفناه من
خلال جهاده إلى جانب والده، والمجاهدين حوله من سوس والحوز وقبائل الصحراء
المغربية.

عمنا المرحوم علي، الذي دل عليه اسمه الذي سماه به والده: المجاهد الكبير
والعلامة الفذ الشهير، الشيخ محمد مصطفى مرييه ربه بن شيخنا الشيخ ماء العينين،
تمننا باسم الإمام علي رضي الله عنه حيث قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: «أنا
مدينة العلم، وعلي بابها». فكان تخيد وفاته رضي الله: بمثابة الباب المفتوح على
مصراتيه، والنبوع المتدفق، علما وعرفانا وجهادا، من سوس عبر الصحراء، إلى شمال
ووسط المملكة وبقيّة نواحيها، ومن الصحراء عبر سوس.

ولقد كان هذا اللقاء كذلك، تحديداً للأواصر المتينة، والوحدة الخالدة بين أطراف
المملكة المغربية، وأفراد رعايا العرش العلوي المجيد، من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق
إلى الغرب.

عاشنا عمنا المرحوم، فعرفناه بنطاقته وحسن خلقه، وانكبايه على العلم وتحصيله،
وجمعه وتحريره وتنقيحه. وقد قام بدور طلائعي وجهد مضني متواصل، في جمع الكثير
من الكتب والمخطوطات للكثير من العلماء والأدباء، وبصفة خاصة مؤلفات وكتب
ومخطوطات والدنا وشيخنا العلامة الشيخ محمد مصطفى مرييه ربه، الذي بسبب المعارك

(*) - أستاذ باحث - العيون، شيخ تحديد هوية قبيلة أهل الشيخ ماء العينين.

التي خاضها ضد المستعمر هنا وهناك، والقصف الجوي الفرنسي على حاضرة قرية كركوس، في قلب سوس العالمة المجاهدة، لأول مرة في تاريخ المنطقة، احترقت خرائطه التي تضم أعرق الكتب العربية والإسلامية والتاريخية، والمخطوطات العلمية النادرة، وخاصة مؤلفاته ومخطوطاته التي وصلت نيفا وثمانين، وباقي علماء الصحراء وسوس وأديانهم.

فتصدى لجمع هذا التراث بكل ما في ذلك من جهد وتعب ومعاناة، المرحوم صاحب الذكرى المقاوم والعالم والأديب، عمنا السيد علي بن شيخنا الشيخ مريد ربه. وهكذا فإن هذه المحمدية الكبيرة، والخصلة المنيقة، تضاف إلى سجل تاريخه النضالي، لأنه خريج مدرسة آباءه وأجداده العلماء والأدباء المجاهدين، وفي مقدمتهم العلامة شيخنا الشيخ ماء العينين.

لذلك لا يسعني إلا أن أنوه وأشيد بهذا اليوم الدرامي الثقافي، في الوقت الذي لم أستطع الحضور للأسباب التي ذكرتها في أول السطر، وهي كوني شيخ قبيلة أهل الشيخ ماء العينين، وأقوم رفقة زملائي شيوخ القبائل، في تحديد الهوية التي تشرف عليها بعثة الأمم المتحدة (النيورسو). فنحن نقاوم ونجاهد تلبية لنواجب الوطني، وطاعة للأمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، حتى يتم إلحاز آخر شروط من تثبيت دعائم وحدتنا الترابية، أرضنا وإنساننا، من طنجة إلى الطهيرة، ويتم القضاء على أعداء وحدتنا الترابية.

ولا يفوتني إلا أن أشكر كل الفعاليات التي ساهمت، من قريب أو بعيد، في إلحاح لقاء تزييت المبارك، من سلطات محلية ومنتخبين، وعلماء وأساتذة وباحثين، وأدباء وأعيان، وأصدقاء المرحوم الذين أدوا أمامكم تلك الشهادات الحثيرة المنيرة، في تاريخ المرحوم رحمه الله تعالى، وجعل فينا وفيكم استمرارا للنهج الآباء والأجداد، وامتدادا لعلمهم وورعهم، وأدبهم وحسن سلوكهم ومعاملاتهم. والسلام عليكم، ورحمة الله وبركاته.

وفاء وعرفان

محمد ناجي بن عمر (*)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله.
﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ، وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾^(١).

الحمد لله الذي من على عباده بالألفة تطلوا وامتنانا: فأصبحوا بنعمته إخوانا، ونزع الحقد والغل من صدورهم، فطنوا في الدنيا أصدقاء. وفي الآخرة رفقاء وخلائا، والصلاة والسلام على مولانا محمد وعلى آله وأصحابه، والذين تبعوه وتسكوا بسنته، واقتدوا به قولاً وفعلاً، وعدلاً وإحساناً^(٢).

إن علاقتي بالفقيه المجاهد عبي ماء العينين مربية ربه، ابن الشيخ ماء العينين، جاءت ثمرة لعلاقتي مع لعله أخي وصديقي النعمة منذ تعارفنا على طلب العلم بالديار الرباطية؛ وعندما وصلت إلى الديار السوسية كنت أحس بغربة كبيرة لولا أن تنقفتني الأسرة المعينة الكريمة من خلال الفقيد ونجده، الذين رسموا معي عرى الصداقة والمحبة في الله، وأصبحت وجهها أليفا في وسطهم المحترم، وكنت ممن يقتدي بقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(٣). وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد والطبراني من حديث سهل بن سعد، ورواه الحاكم من حديث أبي هريرة وصححه: «إن أقربكم مني مجلسا أحاسنكم أخلاقا، الموطؤون أكتافا، الذين يألفون ويؤلفون». ومما أخرجه ابن حبان والحاكم من حديث أنس بن مالك، قال صلى الله عليه وسلم: «ما اصطحب اثنين قط إلا كان أحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه». وقال الراجز:

لا خير فيمن لم يكن ألوفاً * ولم يكن لغيره مألوفاً
وتوطدت هذه العلاقة النبيلة حتى إنني ثنيت أن أحشر في زمرة أبي إدريس

(*) - أستاذ جامعي - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - المكناس.

(١) - سورة الأحزاب: 23.

(٢) - إحياء علوم الدين للغزالي: 157/2.

(٣) - آل عمران: 103.

الخولاني حين قال لمعاذ بن جبل: إني أحبك في الله، قال: أبشر، ثم أبشر، فإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يُنصب لطائفة من الناس كمراسي حول العرش، ومنابر من نور تضيء عليها يوم القيامة، وجوههم كالقمر ليلة البدر، يفرح الناس ولا يفرحون، يخاف الناس ولا يخافون، هم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. فقيل: من هؤلاء يا رسول الله؟ قال: هم المتحابون في الله»⁽¹⁾.

وحسبي بأبي عبد الله محمد القوري، يقول:

يُظِلُّ الله تحت العرش قوما * وهم سبع كما قال المصدق
إمام شيب في حب وجمع * وبكفاء ومدعو تصدق
ومعلوم أن المحبة مستويات أربعة: إما أن يُحب الإنسان أخاه الإنسان لذاته، أو لغرض دنيوي، أو لغرض أخروي، أو يكون حبه له وصحبته معه لله. ومعلوم - سيداتي وسادتي - أن التقيد توافرت فيه جميع شروط الصحبة، التي انتهت بالمحبة في الله، وأهم هذه الشروط: العقل، فهو رأس المال؛ وهو الأصل؛ قال علي رضي الله عنه:

فلا تصحب أحبا جهل * وإيـاك وإيـاه
فكم من جاهل أردى * حليما حين وافاه
يقال المسرء بالمسرء إذا * مما المسرء ماشاه
وللشيء على الشيء * مقاييس وأشـباه
وللقليب على القليب * دليل حين يلقـباه

ثانيها: حسن الخلق، كأنني بآب علقمة العطار (ت. 56هـ) حين أوصاه أبوه لما حضرته الموت قائلا: يا بني، إن عرضت لك صحبة إنسان، فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤنة مانك. إصحب من إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأى فيك حسنة عدها، وإن رأى منك سيئة سدها، من إذا سأله أعطاك، وإن سكت ابتداك، وإن نزلت بك نازلة واساك، من إذا قلت قولاً صدقت، وإن حاولت أمراً أمرك، وإن نازعته أترك»⁽²⁾.

ثالثها: الصدق، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾⁽³⁾؛ وقال بعضهم:

(1) - أخرجه أحمد والحاكم والترمذي.

(2) - آداب الصحبة، ص: 49.

(3) - النحل: 105.

وما شيء إذا فكّرت فيه * بأذهب للمسروقة والجمال
من الكذب الذي لا خير فيه * وأبعد بالبهاء من الرجال
كما كان - رحمه الله - مراعىا لحقوق الصّحية، من مشاركة في متاع الحياة الدنيا،
والمنزلة منزلة النفس، والإيثار على النفس، والعفو عن الزلات والمفوقات.
ومن لم يُغَمِّضْ عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يُمُتْ وهو عاتِبُ
ومن يتبع جاهدا كل عثرة * يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب
والخلوص في المودة، والتخفيف وترك التكلف والتكليف، والدعاء بالخير حضورا
وغيابا، والتصيحة في الدين والدنيا.
لا خير فيمن ليس يتصحّ خلقه * حتى يراه يلازم التسديدا
رحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جناته. وإنا لله وإنا إليه راجعون.
والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

القيادة العامة للجيش التحرير بـمـغـرـبـ

بتاريخ 1959/7/27

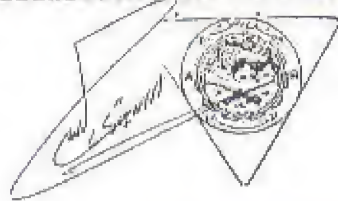


الموضوع: شهادة القيادة العامة

تشهد القيادة العامة ان الاشتداد بماء العينين على مريه ربه
انه اول معتقد لهذا في بعض المناطق الصحراوية في الميدان السياسي
والعسكري وان له مواقف جميلة ضد المستعمرين في جميع تطوراتهم كما له شرف
واحد وثقة عامة في جميع طبقات الشعب الصحراوي ونسأله وقد
احرزت القيادة العامة للجيش على معلومات جمة مفيدة الى النهاية
بفضل سياسة وموقفه الحازم ولم يزل يخدم في صف الجيش بهذه البلاد
الصحراوية من يوم تأسس الى اليوم بكل نشاط وحزم.
فلا يخفى الاشتداد السيد بماء العينين على مريه ربه جـهـلـ الشكـر
والثناء على خدماته الجليلة الواجبة نحو الوطن.

الامضاء: القيادة العامة للجيش

اعضاء: المسؤول عن الجيش



شهادة تقدير من قيادة جيش التحرير الصحراوي المغربي
للمرحوم ماء العينين علي مريه ربه

بتاريخ 19/01/1989 .

قيادة العمليات
لجيش التحرير الصحراوي المغربي

شهادة

نحن نحن رئيس قيادة جيش التحرير الصحراوي المغربي -
نشهد بان المجاهد علي مريه ربه، قائد لفرقة...
تقوم الايام بالاجابات والفرقة...
نفس الجنود كعسرة (الذخيرة) (والفرقة السدرة) والفرقة...
بعدة طرقات حربية...
المعتدلة ضد العدو المستعمر ومن جيرانه...
ودفاعه من البراسن واخلاقه...
الاتحاد بالماله من اموال ونفاه واخلاقه...
وقد سعت له عائته الشهادة لمساعدته...
والعمل الشرس...
والسلامة

الامضاء رئيس القيادة العمليات
لجيش التحرير الصحراوي المغربي



شهادة تقدير من قيادة جيش التحرير الصحراوي المغربي
للمرحوم ماء العينين علي مريه ربه

قصائد شعرية

بليلة سوس والصحراء

حديثة أبي بكر ماء العينين (*)

يقولون: من سوس، فقلتُ لهم: نعم. * بها كان ميلادي ومهدُ طفولتي
يقولون: من سوس، فقلتُ لهم: نعم. * أليس بها مثوى الجدود وحلتي
يقولون: من سوس، أقول لهم: نعم. * لئن كنتُ من سوس فلتك حقيقتي
يقولون: والصحراء، قلتُ: كذلككم. * تقاسمتِ الصحراء والسوس مهجتي
أحنُّ إلى هدي، وتلك. وإدُّ لي * هنا موطني الأصلي، ونسَمِ أرومتي
غنيّتُ بكَلَمَاتِ الْجَنَّتَيْنِ طَنِينَةً * وأقطفُ من داني القُصُوفِ مودَّتِي
وغنيّتُ حتى قبل: بُبْلَةٌ شَدَتْ * وما كان شدوي غيرَ بوحِ قصيدتي

(*) - أستاذة باحثة - أولاد تاجمة (هواره).

العلاقة بين سوس والصحراء

حديثه أبي بكر ماء العينين (*)

هو الشعر في كفي يشي الإرادات * متى شئت لبي بأسمى العبارات
أحول بعقل الشعر فاح غيره * فأقطف من زهر القوافي الندبات
تنضد أزهار القوافي قصيدة * بها ذوبٌ روحي وارتباد الصبابات
متى ذكر القلب المعنى حبيب * حرت غيرة الوهان رغم المسرات
فعاش على ذكر الأحيّة علّة * بهم يتناسى ألهم في كل حالات
هلموا إلى سوس نقبل تراثها * نخلد بها أرواح أهل المروءات
نكرم منهم واجداً إثر واجد * وتكرّمهم في سوس أضعاف مرأت
قفوا وقفة المستغبر الصب وأقرأوا * على روح نجل المصطفى (١) سبم
وإما قرأتم آية لترحّموا * فلا تتركوا صحباً وأهل القربات
لئن كرمت سوس أدينا لعلمه * فقد أدركت فيه المزاي الكثرات
وذكرها الصحراء سامر أهلها * من الشعراء الغرّ إلغا ليمقات
واحيوا ليالي الأنس رغم ظروفهم * فواعجباً أنى اهتدوا للدراسات
فصّوا في جهاد مستمر نهارهم * فما عرفوا غير القنا والتراعات
أقامت رجالات الجنوب تواصلاً * يظل شعاعاً حاملاً للرسالات
أجادوا فأحيوا للقديم وجدّوا * عكاظ لأرباب الحجا والمهارات
فجنّ إلى الصحراء سوس لساعة * وكم حنت الصحرا إلى سوس ساعات
بها الشيخ ماء العينين خطّ رحاله * يذود عن الإسلام حسير الديانات
ليخلفه أبناءه ويتمموا * مسيرته في طرد جيش الجمايات
مزيم وعربان يؤلف بينهم * جهاد وعلم واتحاد الإرادات
وكلّ عن الأوطان ظلّ مدافعاً * فكم هجمات سدّوها وغارات
لقد أفلحت قومي مزيمًا وعرباً * وفي ظلّ حامي العرش رمز السادات
لئن جرّعوا كأس المنايا فحسبهم * بأن شرف الموت احتضان الرجالات
سبحيهم التاريخ برأ بوعده * فم بصمات قد أحيطت بهالات

(*) - أستاذة باحثة - أولاد تلمعة (هواره).

(١) - نجل للمصطفى: الفقيد ماء العينين علي مزيم ربه، لأن الاسم الحقيقي لوالده: محمد مصطفى مزيم ربه.

أترنيدت الحبيبة

ماء العينين الولي بن ماء العينين محمد بوي (*)

من بين الكرامات التي حص الله تبارك وتعالى بها شيخنا الشيخ مرييه ربه بن شيخنا الشيخ ماء العينين عن إخوته، مع أن كل واحد منهم نراس في كل شيء، كونه سمي بنيه على إخوته جميعاً، وزاد عليهم ما شاء الله لا قوة إلا بالله أسماء صحابة النبي صلى الله عليه وسلم.

وهكذا كان اسم علي على اسم جدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفعلاً لقد كان علي علياً في كل شيء، ربطته مع والدي وشيخي الشيخ ماء العينين محمد بوي صداقة حقيقية لاحظت من خلالها فيه أخلاقيات ما نسمعه عن جملة أسلافنا. لذلك حرصت، والله تعالى يعلم أنني وصلت من خارج الوطن منذ يومين، على حضور هذا اليوم التكريمي، أولاً لمكانة الفقيد، وثانياً لتحية مؤسسة الشيخ مرييه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي والمجلس البلدي لمدينة ترنيت، على هذه المبادرة الطيبة.

وفي الطريق كان هناك سرعة البديهة، وكان هناك حضور لضمير الشعر، فقلت:

أترنيت الحبيبة يا صحابي * دعنتني ما يكون إذا جوابي
دعنتني لتذكرك قلت مرحي * وذو بعض الأبايت في الجراب
أضمخ بالشأى منها المسمى * علياً في الحضور وفي الغياب
غلي في مكانته تسامي * كما تسمو النجوم على السحاب
أبي النفس موصول السحاي * بوالده المجاهد والمهتاب
لقد قيس الفتوة والترقي * من المنسوب حق الانتساب
إلى مكنون علم للمربي * تروثقه عقود من أداب
فتعلم العلم والأدب المرجى * ونعم العقل وصلاً للخطاب
سألت الله أن يرحم دواي * علياً بانسكاب في انسكاب
على أرض قد احتضنته هاذي * وتحتضن الجلود على الروابي

(*) - شاعر - مقيم بالإمارات.



صورة للفقيه

أبا نهمان

مروان الأكرمي (*)

أترنيت الحبيبة قد دعاني * إلى مغناك حب قد براني
أتيت يهزني شوق دفين * يخامرني فتذكيه الأمان
لأنثري في ربوعك من شعوري * ترائلا نجيش بها كيان
يفسح أريجها في كل حرف * يبت إلى الأجرة ما أعاني
تراتل في الفقيد أبي المريا * سليل الجند من فوق العنان
عليّ نحل قطب القطر طراً * مؤدّعنا إلى غلد الجنان
أبي النفس نرس البريا * عديم الند في هذا الأوان
سبي الخلق ذو نهج قوي * سديد الرأي ليس له مبدان
يصوم عن الفضول وكل لغو * ويحكم - صادقاً - برؤى الجنان
شريف ماجد نذب تقى * عزيز المكرمات رفيع شأن
جليل القدر شهم لا يضاهي * يُقرُّ بدا الأبعاد والأداني
عفيف لا يخور به حطام * وبمقت من يباهي بالمباني
طموح شبّ في طلب المعالي * فقي شتى العلوم له يدان
عصامي الجند يسعى باحتداد * إلى أن حاز سبقاً في الرهان
محزم قد تحدى به صروفاً * وعزم ما أتته يد الزمان
سلوا عنه الفضائل وهي تبكي * عني، فكم حماها بملهوان⁽¹⁾
سلوا عنه العلوم وقد رعاها * فوثقها بفهم وائتمان
فأداه الذي ظمأ شغوف * أمانة من تجرّ له النهاني
سلوا عنه لسان العرب كم صا * ن جوهره بأسوار البيان

(*) - أستاذ باحث - أنطاكية

(1) - ملهوان: من أهوان، حذفت النون للضرورة الشعرية.

ففي الشعر البديع له فنون * تصاهي السحر في الدرر الجيسان
 وأنعام بها تسمو القوافي * على من الخيال بلا عنان
 إذا أهدى القصيد ترى جموعاً * سكارى بالطريف من المعاني
 يقود الناشئين بها ويهدي * قواربهم إلى شاطئ الأمان
 يحضُّ على العلى دوماً ويدعو * إلى سعي حيث بلا توان
 سيقى في الزمان لنا مضيئاً * بنصحه ما تناوب فرقان
 فلسنا إن مضى بمخالفيه * على سبيل السلام والاطمئنان⁽²⁾
 أبنا نعمال نحن على عهد * كما ترضى نكون وبالتفاني
 سقت مثواك من ربي العوادي * من الرحمت تهمني كل أن
 وأمتع روحكم بجنات عدن * ففيها لظلكم كل الأمان
 لنا في الله بعدكم عزاء * وإن كنا نعاني ما نعاني

(2) - الاطمئنان: الاطمئنان، خلت الحمرة للضرورة الشعرية.

لله دركم يا سادتي

جهادي حسين البعمراني (*)

لله دركم يا سادتي طنعت * منكم فرائد مثل الشمس والقمر
أفدتكم من جزيل البحث ما عظمتم * به مدينتنا تزينت في العمر
أشدتكم بسليل ما العتير علي * وما رواء هنا ونهاج من درر
قد كان ذا فرع ذاك الطود فاجتمعت * في قطرنا من أصول العلم والفكر
ونهاج شيخ الهدى أهدى مزارته * شعاعه عم هذا القطر كالقادر
يُحاذق قد بدت اليوم شاعرة * في شخص سيدة النسوان والرمز
خديجة نلت من سحر البيان ذررى * والسحر منه حلال يا ابنة الغرر
لله درك يا لمطا وما ولدت * جزولة من بنات السيف والعبر
إننا نحس هنا بأصل ما رغنا * كما نجل هنا ما جاء عن عمر
لما أتم الشاعر هذه القصيدة، وقد ذكر فيها الشاعرة خديجة، أجابته بقولها:

جُرئت عن أسرة الشيخ الجليل علي * يا شاعرا صادق الإحساس والصور
دعوت قافية جاءتك طائفة * ألفت أرمتها في كف مقتدر
حتى تشيد بزين العابدين علي * له مزايا بعد غير منحصر
لقد ضمنت مدى التاريخ مفخرة * لما تشرقت بالتكريم للغرر
وفي الإشادة إخلاص ومكرمة * وكل حبيب صفًا من لؤلؤ الكدر
إيه جهادي فحسن العهد فاح به * شعر تغلبه من إمامك الذفر
تذكر عنيره والمسك خالطه * فيرتع الشعر في يستأنك العطر
بررت ونهاج فلتظفر بيمينه * ولترو عن عمر الفاروق واقتصر
وما جزولة أو لمطا سوى ذكر * من وحي تاريخنا توحى لمدكر

(*) - أستاذ باحث - الدار البيضاء

نص البرقية المرفوعة إلى صاحب الجلالة

الملك الحسن الثاني نصره الله

بسم الله الرحمن الرحيم.

برقية تجديد وشائج الولاء والمحبة والإخلاص لصاحب الجلالة نصره الله

إلى جناب مستشار صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، نصره الله وأيده.
الديوان الملكي
الرباط

سيادة المستشار:

السلام عليكم ورحمة الله، والدعاء لله عز وجل أن يزيد مولانا الإمام عزا ونصرا
وثقينا.

وبعد، فيتشرف رعايا صاحب الجلالة، الحاضرون في الملتقى الفكري الذي نظمته
في إطار احتفالات الأمة بعيد الشباب المجيد، مؤسسة الشيخ مريه ربه لإحياء التراث
والتبادل الثقافي، بتعاون مع المجلس البلدي لمدينة ترنيت يوم 12 يوليوز الجاري، تحت
شعار: «سوس والصحراء المغربية: تواصل ثقافي وفكري»، أن يلتبسوا من سيادتكم،
أن ترفعوا باسمهم إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، نص
البرقية التالية:

الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد الرحمة المهداة، وعلى آله وصحبه.
مولانا أمير المؤمنين، سبط حاتم التبيين، المبعوث رحمة للعالمين، صاحب الجلالة
الملك الحسن الثاني نصره الله.

السلام والرحمة والبركة على مقامكم العالي بالله.

إنه لشرف عظيم لرعايا جلالته، المتعلقون بأهداب عرشكم المنيف، الحاضرون
في الندوة التي نظمته مؤسسة الشيخ مريه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، بتعاون
مع المجلس البلدي لمدينة ترنيت، لتكريم أحد خدام عرشكم المثقون في محبتكم، الفقيه
المقاوم والأديب ماء العينين علي بن الشيخ مريه ربه رحمه الله، أن يغتنموا فرصة اختتام
أشغال هذا اليوم الدراسي، المنظم في إطار الاحتفالات بعيد الشباب المجيد، تحت عنوان:
«سوس والصحراء المغربية: تواصل ثقافي وفكري»، ليرفعوا إلى مقام الحضرة العلية،
أسمى آيات التهاني بمناسبة الذكرى العطرة لميلاد جدكم الأكرم صلى الله عليه وسلم،
وعيد ميلاد جنابكم الشريف أسماء الله، ورفع قدره وعلاه، مجددين لكم أعزكم الله

ثوابت الولاء والخبرة والطاعة والإجلال، وأواصر الإخلاص والامتنان والتعلق المتين بأهداب العرش العلوي المجيد.

مغتربين هذه المناسبة كذلك، وقد استمعنا، بامعان وإيمان، إلى الخطاب المولوي بمناسبة عيد الشباب المجيد، الذي يأتي في هذا الظرف التاريخي المتميز بتسيرات حسنة يباركها الرحمن، لنؤكد مولانا الإمام، عظيم الامتنان والإكبار، على كل ما تضمنه الخطاب المولوي السامي لفائدة الأمة المعتزة بالوحدة الوطنية، وبانتمائها إلى شعب الدوحة العلوية الشريفة، وبما حصه الحجاب الشريف من عطف وعناية وبواعث البشارات، لفائدة الشباب حاملي الشهادات، والأطفال الفقراء والمعاقين، وإن أفدته رعايا جلالكم لتفيض بالشكر الجزيل، لمقامكم العالي بالله على هذه الالتفاتة المولوية الكريمة التاريخية، والتي عداها الواسع تتعم بسابع الرحمة والعطف والإغاثة لفئة كبيرة من الأطفال الأبرياء الذين قسى عليهم القدر.

وإننا يا مولاي إذ نحدد التعبير عن العزم والوفاء بالعهد، وأسمى مراتب التعلق بشخص جلالكم العظيم، يعلم الله أننا لفخجرون بما يتمتع به شعبكم من تقدم ورفي وتكريم ومواكبة التقدم والتماء، جزاكم الله عنا خيرا، وأدام لنا نعمة وجودكم، ومتعكم بالصحة والعافية والبركة في العمر، قرير العين والفؤاد بأصحاب السمو الملكي الأمراء والأميرات الأمجاد، وعلى رأسهم ولي العهد الأمير سيدي محمد، وصنوه المجيد مولاي رشيد، وسائر أفراد الأسرة الملكية الشريفة، إنه تعالى على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

والسلام على مقامكم العالي بالله.

حرر بترنيت في: 17 ربيع الأول 1419هـ.

الموافق لـ: 12 يوليوز 1998م.

رئيس المجلس البلدي
أحمد إدعز

رئيس مؤسسة الشيخ مريه ريه
لإحياء التراث والتبادل الثقافي
ماء العينين هبة أحمد

اليوم الدراسي
في الصحف الوطنية

الذكرى الاولى لوفاة الشيخ ماء العينين مرييه ربه رمز من رموز الحركة الوطنية في الجنوب المغربي

ميكرا على يد والده وتشرب متون الكفة والطقة والعلوم واصول الدين ثم رحل لاسبانيا ليتابع دراسته ببرشلونة وعاد ليتخبط في صفوف الحركة الوطنية وفلتت السلطات الاستعمارية الإسبانية تطارده بسبب تحركاته والنقائه بأعم زعماء الحركة الوطنية.

الشيخ العلامة حاضل على الاجازة من كلية الشريعة ولم تكن المشغالات وهجومه الوطنية تمنع تولد نشاطه الابداعي ان لم تكن قد زادت توجعا وخماسة فقد خلف منثومات واشعار في مختلف الاغراض وتكاريير لكتب عديدة والخوانيات وقالات ساهم بها في تعميق النقاشات السياسية والوطنية وترك مكتبة قيمة تضم الكثير من المخطوطات والكتب الفلسفية التي سخر حياتها لجمعها.

يذكر ان اليوم الدراسي الذي ستحتضنه لاعة الشيخ ماء العينين بمدينة تزنيت سيعرف مشاركة شخصية من الاساتذة والباحثين القادمين من الرباط والعهدية واكادير وتزنيت.

د. م. ح.

هيئة الدولة المغربية وتوحيد صفوف ابنائها تحت قيادة سلاطين الاسرة العلوية الشريفة.

واضافت ان الشيخ ماء العينين على مرييه ربه يعتبر احد رموز الحركة الوطنية في الجنوب المغربي الذي حرص على كافة مجاليه من ايضاء ربوع الصحراء على الاستمرار في السير وفق هذا النهج حيث انخرط ميكرا في حزب الاستقلال ثم في الاتحاد الوطني للقوات الشعبية.

كما شارك في مؤتمر ام الشكاك سنة 1956 الذي ترأسه الشيخ محمد الاغلف بن الشيخ ماء العينين ومؤتمر بوخشبية سنة 1958 الذي ترأسه آنذاك جلالة الملك الحسن الثاني وهو ولي للعهد آنذاك. وحصل على عدة اوسمة ملكية سامية تقديرا لمواقفه الوطنية واخلاصه وولائه للعرش العلوي.

والشيخ ماء العينين على مرييه ربه المتوفى يوم 12 يوليوز 1997 هو حفيد الشيخ المجاهد مرييه ربه بن الشيخ ماء العينين نشأ في أسرة علم وصلاح وجهاد. حفظ القرآن

المغرب بجنوبه وساهمت في تسليح وشائج الناض والتأزر واواصر الانتماء الى هذا الوطن في ظل الوحدة والحسرية والاستقلال رغم المحاولات الاستعمارية.

واوضحت مصادر من مؤسسة الشيخ مرييه ربه ان هذا الملتقى الثقافي جاء ليسلم الاضواء على الكثير من الحقائق والمعطيات والشوايت التي اراد الاستعمار طمسها وتزييفها لاضعاف شوكة المغاربة وصرفهم عن السير على نهج اجدادهم واجادهم في استعادة

تنظم مؤسسة الشيخ مرييه ربه لاهياء التراث والتجديد الثقافي بالتعاون مع المجلس البلدي لمدينة تزنيت يوم 12 يوليوز القادم يوما دراسيا حول موضوع «سوس والصحراء المغربية... فواصل ثقافي وفكري» احياء الذكرى الاولى لوفاة الشيخ العلامة ماء العينين على مرييه ربه (1934-1997).

ويعتبر هذا اليوم الدراسي مناسية لتعريف بالجوانب التراثية والتاريخية والفكرية التي ربطت عبر العصور شمال

JEUDI 2 JUILLET 1998

Histoire de la Résistance **A la découverte d'un symbole**

Une journée d'étude sur l'œuvre de Cheikh Mrabih Rabbo

L'œuvre de Cheikh Maâ Al Aïnine Mrabih Rabbo sera au centre d'une journée d'étude, prévue le 12 juillet à Tiznit, à l'initiative conjointe de la Fondation Mrabih Rabbo et de la municipalité de la ville.

Selon la Fondation Mrabih Rabbo, cette rencontre, organisée en commémoration du premier anniversaire du décès de Cheikh Ali Mrabih Rabbo (1934-1997), ambitionne à faire la lumière sur les liens historiques et culturels entre le nord et le sud du Royaume, en particulier entre la région du Souss et les provinces sahariennes, et de mettre en exergue certaines vérités que le colonisateur s'efforçait à cacher et à falsifier pour affaiblir la volonté des Marocains et leur aspiration à l'unité sous la conduite des Souverains Alaouites.

Cheikh Mrabih Rabbo, qui a persévéré dans cette voie, est un symbole du mouvement national dans le sud marocain.

Il a rallié dans sa jeunesse le parti de l'Istiqlal avant de militer au sein de l'Union nationale des forces populaires (UNFP).

Il a également participé en 1959 au Congrès d'Oum Chegag, présidé par cheikh Mohamed Laghdaf Maâ Al Aïnine et à la conférence

de Boukhchiba, présidée en 1958 par le Prince Héritier Moulay Hassan.

Décoré de plusieurs Wissams Alaouites, cheikh Maâ Al Aïnine Mrabih Rabbo, décédé le 12 juillet 1997, est le petit-fils du cheikh Mrabih Rabbo Ben cheikh Maâ Al Aïnine.

Élevé au sein d'une famille de savoir et de jihad, il a appris précocement le Coran grâce à son père qui l'initia aussi à la langue arabe et aux sciences islamiques.

Après avoir poursuivi des études à Barcelone (Espagne), il regagne le Maroc pour rejoindre les rangs du Mouvement national, où il sera continuellement pourchassé par les autorités coloniales espagnoles.

Engagement

L'engagement politique de cet érudit, titulaire d'une licence à la Faculté de la charia, ne l'a pas pour autant empêché d'écrire des poèmes et des essais littéraires qui ont embrassé différents thèmes.

Cette journée d'étude, qui aura lieu à la salle cheikh Maâ Al Aïnine à Tiznit, verra la participation d'une pléiade d'universitaires et de chercheurs de Rabat, de Mohammédia, d'Agadir et de Tiznit. (MAP)

JEUDI 2 JUILLET 1998

Histoire de la Résistance **A la découverte d'un symbole**

Une journée d'étude sur l'œuvre de Cheikh Mrabih Rabbo

L'œuvre de Cheikh Maâ Al Aïnine Mrabih Rabbo sera au centre d'une journée d'étude, prévue le 12 juillet à Tiznit, à l'initiative conjointe de la Fondation Mrabih Rabbo et de la municipalité de la ville.

Selon la Fondation Mrabih Rabbo, cette rencontre, organisée en commémoration du premier anniversaire du décès de Cheikh Ali Mrabih Rabbo (1934-1997), ambitionne à faire la lumière sur les liens historiques et culturels entre le nord et le sud du Royaume, en particulier entre la région du Souss et les provinces sahariennes, et de mettre en exergue certaines vérités que le colonisateur s'efforçait à cacher et à falsifier pour affaiblir la volonté des Marocains et leur aspiration à l'unité sous la conduite des Souverains Alaouites.

Cheikh Mrabih Rabbo, qui a persévéré dans cette voie, est un symbole du mouvement national dans le sud marocain.

Il a rallié dans sa jeunesse le parti de l'Istiqlal avant de militer au sein de l'Union nationale des forces populaires (UNFP).

Il a également participé en 1959 au Congrès d'Oum Chegag, présidé par cheikh Mohamed Laghdaf Maâ Al Aïnine et à la conférence

de Boukhchiba, présidée en 1958 par le Prince Héritier Moulay Hassan.

Décoré de plusieurs Wissams Alaouites, cheikh Maâ Al Aïnine Mrabih Rabbo, décédé le 12 juillet 1997, est le petit-fils du cheikh Mrabih Rabbo Ben cheikh Maâ Al Aïnine.

Élevé au sein d'une famille de savoir et de jihad, il a appris précocement le Coran grâce à son père qui l'initia aussi à la langue arabe et aux sciences islamiques.

Après avoir poursuivi des études à Barcelone (Espagne), il regagne le Maroc pour rejoindre les rangs du Mouvement national, où il sera continuellement pourchassé par les autorités coloniales espagnoles.

Engagement

L'engagement politique de cet érudit, titulaire d'une licence à la Faculté de la charia, ne l'a pas pour autant empêché d'écrire des poèmes et des essais littéraires qui ont embrassé différents thèmes.

Cette journée d'étude, qui aura lieu à la salle cheikh Maâ Al Aïnine à Tiznit, verra la participation d'une pléiade d'universitaires et de chercheurs de Rabat, de Mohammédia, d'Agadir et de Tiznit. (MAP)

يوم دراسي في تنزيمت: سوس والصحراء المغربية.. نواصل ثقافي وفكري

وبوردها في خدمة البحث العلمي وسبيل الاقتناع بوجوب الوحدة والأجسام ومقتضى التواصل الفكري والوطني بين علماء سوس والإقليم الجنوبي والشمالي الفكري بينهما والأيام المحسنة أوتون في المدرسة الألفية لخصلا عن تناوله للمساجلات الشعرية بين أبناء المنطقة.

والقمت خلال الجلسة المتخصصة لهذا المحور قصائد شعرية لكل من الشاعر خبطة ماء العينين والشاعر حسن المدي. وكان قصود طلبة الإرباء والعلوم الإنسانية بجامعة آيا زهر ووليس مؤسسة الشيخ مربية ربه لأحياء التراث والتبادل الثقافي والمثوب الجولي للمؤسسة السابعة للنداء المقامون واعضاء جيش التحرير قد اكتموا في افتتاح هذا اليوم الدراسي أهمية مثل هذه المناسبات العلمية والأدبية في تسليط الضوء على الحقائق التاريخية والواقف الشابة.

لأبناء الوطن الواحد بخاصة عن الهوية الوطنية ومواجهة لكل التحديات والمؤامرات الاستعمارية.

وشارك في هذا اللقاء أساتذة وباحثون جامعون من الرباط والدار البيضاء والحدود والكثير وتنزيمت والخبير نضال إلى أبناء وعقربين من منطقة سوس والإقليم الجنوبية.

الشيخ العلامة حاء العفني على مربية ربه في صفوف الحركة الوطنية والإصلاحة الوطنية عمليتها وحكومة للثقافتها سواء داخل منطقة التطوير الاستعماري الإسباني أو الفرنسي مما جعله عرضة للمضايقات والملاحقات.

كما أكدت أن نشاطه الوطني والسياسي في حزب الاستقلال وفي الاتحاد الوطني للثوار الشعبي لم يكن يمنع تولد نشاطه العلمي والثقافي إذ تطورت من اللغة والفقه والعلوم والجهاد العلمية والثقافية البدائية.

وذكر المحور التاريخي لهذا اللقاء على مساهمة الشيخ ماء العينين على مربية ربه في الاجتماعات ونشر آراء الإسلام الجنوبية في مجالات المقاومة في هذه المناطق وجهاد الشيخ الراجل والقبائل السوسية من خلال وثائق محلية والتأرجح الثقافي والاجتماعي بين سوس والإقليم الجنوبية.

وخلصت المداخلات والوثائق والمخطوطات التي قدمت في الموضوع إلى أنه بالرغم من الجوانب الاستعمارية الوضعية بين شمال المغرب وجنوبه فإن العلاقة بقيت قوية وعيقة بين سوس والإقليم الجنوبية.

وتناول المحور الأدبي الرواية النقدية

■ نظام مؤسسة (الشيخ مربية ربه لأحياء التراث والتبادل الثقافي) في الأحد الماضي بتنزيمت يوما دراسيا حول موضوع «سوس والصحراء المغربية.. نواصل ثقافي وفكري» وذلك تكريما لرحل الشيخ ماء العينين على مربية ربه.

وتعميرت أعمال هذا اليوم الذي نظم بالتعاون مع المجلس البلدي لمدينة تنزيمت حول الإسهامات الفكرية والثقافية والجهادية للشيخ مربية ربه.

(1997، 1994) باعتباره أحد رموز الحركة الوطنية والنبوغ الديني والعلمي التي ظلت حريصة على التمسك بهويتها المغربية الأصلية رغم الظروف الاستعمارية التي حاولت طمسها.

وقد خصص برنامج هذا اللقاء جزءا كبيرا لإلقاء شهادات في حق المحتفى به تناولت جوانب كثيرة من حياته منذ نشأته الأولى في أسرة صحراوية غربية عرفت بصلابةها وعلمها وجهادها في سبيل وحدة الوطن والرافع عن سيادته وحريته تحت لواء نطل الحروب والإسلام جلالة المظفور له محمد الخامس في سلسلة في الكفاح جلالة الملك الحسن الثاني.

وركزت هذه الشهادات على الانخراط المع

فهرس

9

تقديم

١- الجلسة الافتتاحية

- 13 - كلمة السيد رئيس المجلس البلدي
- 17 - كلمة السيد ممثل مؤسسة الشيخ مرييه ربه
- لأحياء التراث والتبادل الثقافي
- 19 - كلمة السيد قيوم كلية الآداب والعلوم الإنسانية
- 23 - كلمة السيد ممثل جمعية الأعمال الاجتماعية
- لقضاة وموظفي وزارة العدل
- 25 - كلمة السيد المندوب الجهوي للمندوبية السامية
- لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير
- 27 - كلمة السيد المندوب الإقليمي لوزارة الثقافة
- 31 - كلمة أسرة الفقيد
- 35 - قصيدة شعرية بالمناسبة
- أحمد بن مبارك أبو القاسم

٢- المداخلات العلمية

- 41 - الحضور الثقافي لزاوية الشيخ ماء العينين
- بالجنوب المغربي
- د. محمد الطريف
- 51 - جهاد الشيخ مرييه ربه والمقاتل السوسية
- من خلال وثائق محلية
- النعمة عمي ماء العينين
- أحمد بومرعو
- 85 - التمازج الاجتماعي والثقافي بين
- سوس والصحراء المغربية
- شعبة ماء العينين

- سبيل الاقتناع بوجوب الوحدة والإجماع
89 قراءة في كتاب "دليل الرفاق على شمس الاتفاق"
محمد عيناك
- البرواية الشفوية ودورها في البحث العلمي
99 محمد ناجي بن عمر
- مظاهر التواصل العنسي والروحي بين
105 علماء سوس وعلماء الصحراء المغربية
أحمد بن مبارك أبو القاسم
- السجل العلمي بين سوس والصحراء
121 من خلال رحلة الولاتي
محمد الحاشي
- أدباء صحراويون في المدرسة الإلغية
129 المهدي السعيد
- المساحات الشعرية بين شعراء سوس
141 والصحراء المغربية
ماء العينين النعمة علي

III- الشهادات

- السيد علي كما عرفته
157 محمد ماء العينين بن الشيخ الجيه
- في ذكرى الأستاذ ماء العينين علي
159 مرييه ماء العينين بن سيدي محمد
- الوفاء
165 سيدي عثمان الشريف حسن
- الأستاذ علي ! أصمعي الجنوب المغربي
167 محمد فاضل اسند
- الأستاذ علي ! الوطني الغيور
169 محمد الأغظف ماء العينين أبو بكر

173 - الأستاذ علي : الأديب العالم المقاوم

محمد فاضل ماء العينين بن الشيخ حسن

175 - وفاء وعرفان

محمد ناجي بن عمر

١٧- قصائد شعرية

183 - بليلة سوس والصحراء

خديجة أبي بكر ماء العينين

184 - العلاقة بين سوس والصحراء

خديجة أبي بكر ماء العينين

185 - أترنيت الحبيبة

الولي ماء العينين بن محمد بوي ماء العينين

187 - أبا نعمان

مروان الأكرمي

189 - لله دركم يا سادتي

جهادي حسين البعمراني

٧- نص البوقية المرفوعة

193 إلى جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

195 ١٧- اليوم الدراسي في الصحف الوطنية



والمجتمع الذي لا يعرف لأبنائه حقهم، ولا يحافظ لهم على مكانتهم، ولا يُخلد لهم في ذاكرته قدوة، ولا يشيد بهم عطاء ورمزا للسمو، مجتمع محكوم عليه بالاضمحلال، أو في أسوأ الأحوال بالنزول وفقدان الشخصية.

من هنا يكون الاحتفاء برموز المجتمع حقاً على عائق أبنائه، إن هم تغلوا عنه دفعوا مجتمعهم إلى الانتحار والاندثار، وإن أقاموا لنماذج المجتمع أمثلة لا تفتقر بهم في أفكار الأجيال، ليأخذوا عنهم القدوة: ويبنوا عطائهم، ويستموا عملهم، ويشقوا طرقاً موصولة بطرقهم، ومعبدة سبلاً لأفاق جديدة، كان المجتمع أصيلاً متجدداً ذا طابع يميزه عن غيره، لخدمة شخصيته المتميزة، وتنوير عطائه النور، ولن يكون له ذلك إلا بالشموع، رفعا لكل إيجابياته، متخلصا من سلبياته.

فواجبنا كلما سنحت لنا فرصة للذكر أحد أعلام مجتمعنا، أن نبادر إلى التعريف به، وفاء لعهد، وسيرا لعطاءه، وإخلاصاً لعمله.